

الجزء الأول

دراسات مقارنة بين الشرائع السماوية والأديان الوضعية

أ. د. عماد محمد فرحان

٢٠١، ٤

ف ٤٣٢ فرحان، عماد محمد.

سلسلة مقارنة بين الشرائع السبائية والأديان الوبعية/ عماد محمد

فرحان. - ط ١. - بغداد: شمس الأندلس، ٢٠٢٥.

ج ١ (٢٧٢) ص؛ (٢٤) سم

١ - الديانات المقارنة - أ - العنوان

رقم الإيداع

٢٠٢٥ / ٨٦٩



بغداد - الأعظمية

٠٧٧٠٤٥٧٧٠٧١

لا يسمح بإعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات. أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواءً تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة وسواها. وحفظ المعلومات أو استرجاعها دون إذن خطي من المؤلف.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٨٦٩) لسنة ٢٠٢٥ م



9 789922 741376

الآية القرآنية

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا
نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾

سورة آل عمران: ٨٤

المحتويات

١.....	الآية القرآنية.....
٢.....	المحتويات.....
	السيدة (سارة) زوجة سيدنا إبراهيم الخليل (عليهما السلام) شخصيتها
٣.....	ومكانتها بين نصوص العهد القديم وآي القرآن الكريم دراسة مقارنة.....
٣٠.....	قصة خصمي داوود بين القرآن والعهد القديم.....
٦١.....	الإجهاض في الأديان السماوية.....
	مخاطر الظواهر الشاذة على بناء الإنسان وتماسك المجتمع ومعالجاتها
٨٣.....	في ضوء تعاليم الأديان السماوية – التحول الجنسي أنموذجا.....
	ماهية النفس الإنسانية تزكيتها ومراتبها بين التصوف الإسلامي والموروث
١٠٩.....	اليهودي والمسيحي.....
١٣٤.....	ترجمة الكتب السماوية تاريخها . غاياتها . حكمها.....
	دور الشباب في مناهضة الغلو والتطرف من خلال علم مقارنة الأديان
١٦٧.....	
١٩٣.....	قرايين الأمم السابقة بين العهد القديم والقرآن الكريم.....
	قيم المواطنة في الدين الإسلامي والديانة المسيحية - قيمة العدل
٢٢٢.....	والمساواة أنموذجا -.....
	حوار الأديان والقوميات والطوائف في العراق ودوره في تعزيز التقارب
٢٤٦.....	الثقافي.....

السيدة (سارة) زوجة سيدنا إبراهيم الخليل (عليهما
السلام) شخصيتها ومكانتها بين نصوص العهد
القديم وآي القرآن الكريم دراسة مقارنة

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه
سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن سارة من الشخصيات الرئيسة في الإسلام، واليهودية،
والمسيحية؛ فهي زوجة أب الأنبياء، سيدنا إبراهيم خليل الله تعالى، وهي
أم إسحاق، وجدة يعقوب، أب الأسباط، الذين ينحدر منهم بنو
إسرائيل، ومن نسله سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام، وهي
شخصية مقدسة عند اليهود والنصارى جميعهم، فهم يعدونها نبية،
فالذكورة ليست من شروط النبوة عندهم، وفي هذا البحث سيتم
تسليط الضوء على شخصية هذه المرأة المقدسة، وستكون الدراسة
مقارنة بين المصادر اليهودية والمسيحية (العهد القديم) والمصادر
الإسلامية من القصص القرآني، والحديث النبوي الشريف، وما خطه
المفسرون من إيضاح للآيات الكريمة.

وقد أجاب البحث عن أسئلة رئيسة، أهمها:

- (١) من هي سارة المرأة الشهيرة؟
 - (٢) وما هي مكانتها في الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام؟
 - (٣) وما هي أهم صفاتها الخلقية والخلقية؟
- ولم أظفر ببحث أو كتاب خاص أجاب عن هذه الأسئلة؛ فذكر
السيدة سارة طالما كان هامشياً، من غير توسع، بل تذكر دائماً ضمن
قصة زوجها سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام.
- وقد اخترت هذا الموضوع لأهميته؛ فالسيدة سارة شخصية
محورية في جميع الأديان السماوية، فهي أم الأنبياء عليهم السلام،
وزوجة خليل الله، ويقدها أهل الكتاب أيما تقديس، وذكرها ربنا
تبارك وتعالى في القرآن الكريم في مواطن عدة، ليس باسمها الصريح، في

أكثر من موضوع، وخاصة قصة حملها، وكيف أن الملائكة بشروها بالابن والحفيد.

وقد اقتضت المادة العلمية تقسيم البحث على ثلاثة مطالب، تكلمت في المطلب الأول عن سيرة هذه السيدة العظيمة في مصادر أهل الكتاب أي العهد القديم من الكتاب المقدس، وقسمته إلى فقرات، أولها في اسمها ونسبها ونشأتها، وثانيها: قصة زواج سيدنا إبراهيم عليه السلام بها، وثالثها: أسفارهما، ورابعها قصتها مع السيدة هاجر عليها السلام، وخامسها: قصة حملها بسيدنا إسحاق وولادته، وختمت المطلب بوقتها ومكان قبرها وآثارها.

وأما المطلب الثاني، فخصصته للكلام عن قصتها، وقسمته إلى: أولاً: اسمها ونسبها، ثانياً: الخلاف في نبوتها، ثالثاً: قصة حملها، رابعاً: عمرها.

وأما المطلب الثالث: فقد كان في شخصيتها وما تميزت به في القرآن الكريم والعهد القديم، وقسمته إلى: أولاً: الجمال، ثانياً: الصبر، ثالثاً: الإيثار، رابعاً: الكرم، خامساً: طاعتها لزوجها.

وإن مناهج دراسة الأديان تقسم على أقسام عدة، فمنها المنهج النقدي، ومنها المقارن، ومنها ما يعرض الآراء والمرويات دون حكم أو نقد، وقد اخترت المنهج المقارن؛ لتميزه عن باقي مناهج البحث العلمي.

والباحث في علم الأديان يجد من الصعوبة العثور على المصادر والمراجع، وخاصة اليهودية والمسيحية؛ فيعتمد إلى الكتب والرسائل باللغات الأجنبية، التي تمت ترجمتها إلى العربية، وهي من أكثر الصعوبات تأثيراً على عدم انتشار تخصص الأديان المقارنة في أوساط الباحثين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول: سيرة السيدة سارة في الكتاب المقدس

أولاً: اسمها ونسبها ونشأتها

تشير مصادر أهل الكتاب إلى أن السيدة سارة عليها السلام هي من نسل تارح، وهي الأخت غير الشقيقة - ليس فقط - لإبراهيم و - لكن أيضاً - لحاران وناحور، وهي عمة لوط وميلكا وإسكا وبيتوئيل.^(١) وحسب الرواية التوراتية فقد كانت تسمى في الأصل ساراي، في قصة (عهد القطع) إذ وعد الرب أبرام بأنه وساراي سيكون لهما ابن، وتم تغيير اسم أبرام إلى إبراهيم، واسم ساراي إلى سارة، وَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «سَارَائِي امْرَأَتُكَ لَا تَدْعُو اسْمَهَا سَارَائِي، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ* وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمًّا، وَمُلُوكٌ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ.»^(٢)

ولدت ساراي في أور كسديم، أو أور الكلدانيين، ويعتقد أنهم كانوا في العراق الحديث، في اليوم الأول من شهر أنو موندي، وفقا للتقويم العبري، وكانت ابنة حاران وحفيدة تارح، وكانوا من عبدة الأوثان الذين عبدوا إله القمر (نانا) ومن خدمة الملك النمرود، الذي حكم شنعار، أو بلاد ما بين النهرين.^(٣)

واسمها مؤنث، من سار بالعبرية (סָרָה) ويعني زعيم أو أمير وقيل إن معنى اسمها: أميرة، وهي المرأة ذات الرتبة العالية، وكانت سليلة

(١) سفر التكوين: ١٢: ١١ - ١٣.

(٢) سفر التكوين: ١٧: ١٥، ١٦.

(٣) كليفورد، ريتشارد جيه ؛ مورفي، رولاند إي، تحليل سفر التكوين، تحرير: في براون، ريموند إي ؛ فيتزمانير، جوزيف، إنجلوود كليفس، (نيوجيرسي، مطبعة برنتيس هول، ط ١، ١٩٩٠) ص ٣٢.

الجيل السادس والثلاثين من بعد نوح، ولم نظفر بأي تفاصيل عن حياتها أو معتقداتها الدينية قبل زواج سيدنا إبراهيم بها.^(١)

هذا من جانب الكتاب المقدس، العهد القديم، أما من جهة التلمود فهو يحدد ساراي ابنة حاران شقيق إبراهيم المتوفى، ويؤكد التلمود أن سارة هي ابنة أخت إبراهيم وأخت لوط وميلكا. أما المدراس الحاخامي فيولي قدرا كبيرا من الاهتمام لسارة، ويتم تصويرها مرارا وتكرارا كنموذج للتميز الشخصي والديني، وفي ضوء أوجه التشابه بين توصيف الحاخامات لسارة والموضوعات المسيحية المبكرة المرتبطة بمريم العذراء الشائعة في نفس الفترة، فالحاخامات استخدموا تصويرهم لسارة لتأسيسها كبديل يهودي لمريم العذراء.^(٢)

ثانيا: زواج النبي إبراهيم بها

في الرواية التوراتية ووفقا لسفر التكوين: في محادثة سيدنا إبراهيم مع ملك فلسطين أبيمالك من جيرار، كشف إبراهيم أن سارة هي زوجته وأخته غير الشقيقة، مبينا أن الاثنين يشتركان في الأب ولكن ليس الأم، جاء في سفر التكوين: **وَبِالْحَقِيقَةِ أَيْضًا هِيَ أُخْتِي ابْنَةُ أَبِي، غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَتْ ابْنَةُ أُمِّي، فَصَارَتْ لِي زَوْجَةً.**^(٣)

إلا أن العهد القديم في موضع ثان يؤكد بأن سارة هي أخت إبراهيم، جاء في سفر التكوين: **وَحَدَّثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ**

(١) في هيربرمان، تشارلز، سارة - الموسوعة الكاثوليكية، (نيويورك، شركة روبرت أبلتون، للطباعة، ط ١، ١٩١٣) ص ٩٢.

(٢) بليكنينسوب، جوزيف، إبراهيم كنموذج في التاريخ الكهنوتي في سفر التكوين، بحث منشور (مجلة الأدب الكتابي، ٢٠٠٩، العدد ١٢) ص ٢٢٥.

(٣) سفر التكوين: ١٢:٢٠. وقد تم حظر مثل هذه الاتحادات صراحة في سفر اللاويين (لاويين ١٨: ٩).

لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: «إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ الْمُنْظَرِ* فَيَكُونُ إِذَا رَأَى
الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هَذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ* قُولِي إِنَّكَ
أُخْتِي، لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكَ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكَ»^(١).

ووفقا لبعض الباحثين اليهود، فإنه في ذلك الزمان، كان يمكن
قانونا منح الزوجة لقب الأخت، وأن هذا هو أقدس أشكال الزواج،
وبالتالي أشار إبراهيم وإسحاق إلى زوجتهما باسم الأخوات لهذا
السبب، إلا أن أغلب علماء الآثار يعارضون هذا الرأي، ويرون أن
الأخوات في تلك المنطقة غالبا ما يتم منحهن لقب زوجة من أجل
منحهن مكانة أكبر في المجتمع، بينما يرى آخرون أن سارة كانت بالفعل
زوجة أبرام وأخته، ولم يكن آنذاك من المحرمات الزواج بالقربى؛ لأنها
كانت أختا غير شقيقة من أم مختلفة.^(٢)

ومن المعروف أنها تزوجت من إبراهيم، الذي كان يدعى أبرام
آنذاك، في وقت ما بين سن الأربعين والخمسين، وبعد إذلال زوجها
العلني للنمرود، غادرت مع والدها تارح وابن أخيها اليتيم لوط وخادمها
إليعازر وحوالي ثلاثمائة آخرين من أور كشميم إلى كنعان (بلاد الشام
الحالية) لإنقاذ إبراهيم من مؤامرة نمرود لقتله، كما أمر الرب بذلك.^(٣)

ثالثا: أسفارها مع زوجها سيدنا إبراهيم الخليل

في طريقهم إلى كنعان، توقفت المجموعة في (حران) واستقروا
هناك لمدة عشرين عاما، وبقي تارح هناك حتى وفاته عن عمر يناهز

(١) سفر التكوين: ١٢: ١١ - ١٣.

(٢) الكسندر، تي دي، هل حوادث الزوجة - الأخت في سفر التكوين هي متغيرات تركيبية
أدبية؟ (مطبعة فيتوس ويل، ١٩٩٢) ص ١٤٥.

(٣) شوارتز، رامي، الأم العذراء سارة - توصيف الأم في سفر التكوين، بحث منشور (مجلة
الدراسات اليهودية، ٢٠٢١) ص ٢٠١.

٢٠٥ عاما، حتى حثهم الرب على المضي قدما، فتركوا تارح وراءهم، وسافروا عبر شكيم وبيت إيل (كلتا المدينتين في الضفة الغربية الحالية) وعندما ضربت المجاعة المنطقة، قال الرب لأبرام أن يترك أرضه وبيت أبيه إلى أرض يريها له، واعدة بأن يجعل منه أمة عظيمة، ويباركه، ويجعل اسمه عظيما، ويبارك أولئك الذين باركوه، ويلعن الذي يلعنه، وبناء على أمر الله، أخذ أبرام زوجته ساراي وابن أخيه لوط والثروة والعبيد الذين اكتسبواهم، وسافر إلى شكيم في كنعان، وكان أبرام يبلغ من العمر ٧٥ عاما في ذلك الوقت.^(١)

وفي الرحلة إلى مصر، أمر أبرام ساراي أن تعرف نفسها فقط على أنها أخته، خوفا من أن يقتله المصريون من أجل أخذ زوجته، قائلاً: أعرف كم أنت امرأة جميلة، عندما يراك المصريون، سيقولون، هذه زوجته، ثم سيقتلونني لكنهم سيسمحون لك بالعيش. قولي أنك أختي، حتى أعامل بشكل جيد من أجلك وسأنجو بحياتي بسببك، وعندما أحضرت ساراي أمام فرعون، قالت إن أبرام كان أخاها، وأخذهما الملك إلى قصره ومنح أبرام العديد من الهدايا، وبعد ذلك بمدة أدرك فرعون أن ساراي كانت زوجة أبرام، إلا أن فرعون لم يعاقب إبراهيم ولم يطلب إعادة الثروة التي أعطيت له مقابل سارة، ومع ذلك، يأمرهم بمغادرة مزاريم، فغادروها وفي الطريق انفصل لوط عن قافلتهما، واستقر في النهاية في سدوم، بسبب نزاعات تتعلق بالماشية.^(٢)

(١) سفر التكوين: ١١: ٣١، ٣٢.

(٢) سفر التكوين: ١٢: ١٤ - ٢٠.

وفي الأدب الحاخامي: وعندما أحضرت سارة أمام فرعون، قالت إن أبرام كان أخاها، وبناء على ذلك منح الملك الأخير العديد من الهدايا وعلامات التميز، كرمز لحبه لساري، تنازل الملك لها عن ممتلكاته بالكامل، وأعطاهما أرض جوشن كملكية وراثية لها: لهذا السبب عاش الإسرائيليون لاحقا في تلك الأرض.^(١)

صلت ساري إلى الله أن ينقذها من الملك، وأرسل ملاكا يضرب فرعون كلما حاول لمسها. اندهش فرعون من هذه الضربات لدرجة أنه تحدث بلطف إلى ساري، التي اعترفت بأنها كانت زوجة إبراهيم. ثم توقف الملك عن إزعاجها. ووفقا لرواية أخرى، استمر فرعون في إزعاجها بعد أن أخبرته أنها امرأة متزوجة. عندها ضربه الملاك بعنف لدرجة أنه مرض، وبالتالي منع من الاستمرار في إزعاجها. ووفقا لأحد التقاليد: عندما رأى فرعون هذه المعجزات التي صنعت نيابة عن ساري، أعطاهما ابنته هاجر عبدا، قائلا: من الأفضل أن تكون ابنتي عبدة في منزل مثل هذه المرأة من عشيقته في منزل آخر.

رابعاً: موقفها من السيدة هاجر عليها السلام

بعد أن عاشت سارة في كنعان لمدة عشر سنوات وما زالت بلا أطفال، اقترحت ساري أن يكون لأبرام طفل من جارتها المصرية هاجر، وهو ما وافق عليه، وأدى ذلك بعد حين إلى توتر كبير بين ساري وهاجر، واشتكت ساري لزوجها من أن الخادمة لم تعد تحترمها، وفي مرحلة ما، هربت هاجر من سيدتها لكنها عادت بعد أن طلبت منها الملائكة ذلك، وأنجبت هاجر إسماعيل ابن أبرام، عندما كان أبرام في السادسة والثمانين من عمره، ويحاول اليهود التركيز على الخلاف بين

(١) بليينكينسوب، جوزيف، إبراهيم كنموذج، ص ٢٢٥.

سارة وهاجر، عن طريق المقارنة والتفضيل بين نسل سارة ونسل هاجر، جاء في العهد القديم: فَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «لَا يَفْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلَامِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَّتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لِأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ»^(١).

وفي وقت ما بعد ولادة إسماعيل ولكن قبل ولادة إسحاق، سافرت سارة وإبراهيم إلى جرار، كما يبين ذلك سفر التكوين، إذ وقعت أحداث عكست أحداث مزررايم، إذ اهتم ملك جرار أبيمالك بسارة؛ لجمالها، وكما فعل في مزررايم، قدم إبراهيم نفسه على أنه أخوها بدلًا من زوجها، لكن هذه المرة تدخل الرب من خلال الأحلام للملك والطاعون في مملكته، في اليوم نفسه الذي قابل فيه إبراهيم أبيمالك وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي». فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَّارَ وَأَخَذَ سَارَةَ..^(٢)

وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي، أخبر أبيمالك عبده بحلمه واقترب من إبراهيم مستفسرا عن سبب جلبه هذا الذنب العظيم على مملكته، فأجاب إبراهيم أنه يعتقد أنه لا يوجد خوف من الله في ذلك المكان، وأنهم قد يقتلونه من أجل زوجته، ثم دافع إبراهيم عما قاله على أنه ليس كذبا على الإطلاق: ومع ذلك فهي أختي؛ هي ابنة أبي، لكنها ليست ابنة أُمي، وأصبحت زوجتي فأعاد أبيمالك سارة إلى إبراهيم فَأَخَذَ أَبِيمَالِكُ غَنَمًا وَبَقَرًا وَعَبِيدًا وَإِمَاءً وَأَعْطَاهَا لِإِبْرَاهِيمَ، وَرَدَّ إِلَيْهِ سَارَةَ امْرَأَتَهُ..^(٣) ودعاه ليستقر أينما شاء في أراضي أبيمالك،

(١) سفر التكوين: ٢١: ١٢.

(٢) سفر التكوين: ٢٠: ٢.

(٣) سفر التكوين: ٢٠: ١٤.

وأعطى أبيمالك إبراهيم ألف قطعة من الفضة لتكون بمثابة تبرئة سارة، وَقَالَ لِسَارَةَ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُ أَخَاكَ أَلْفًا مِنَ الْفِضَّةِ. هَا هُوَ لَكَ غِطَاءٌ عَيْنٍ مِنْ جِهَةِ كُلِّ مَا عِنْدَكَ وَعِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، فَأُنْصِفْتُ».^(١)

ثم صلى إبراهيم من أجل أبيمالك وأهل بيته، لأن الله أصاب النساء بالعقم بسبب أخذ سارة... ووعد إبراهيم إنه سيصلي من أجله، إذ لم يكن لديه أطفال ولا وريث لأنَّ الرَّبَّ كَانَ قَدْ أَغْلَقَ كُلَّ رَحِمٍ لَبَيْتِ أَبِيمَالِكِ بِسَبَبِ سَارَةَ امْرَأَةِ إِبْرَاهِيمَ..^(٢)

خامسا: ولادة ابنها إسحاق

جاء في رسالة بولس إل العبرانيين: بِالْإِيمَانِ سَارَةُ نَفْسُهَا أَيْضًا أَخَذَتْ قُدْرَةً عَلَى إِنْشَاءِ نَسْلِ، وَبَعْدَ وَقْتِ السِّنِّ وَلَدَتْ، إِذْ حَسِبَتْ الَّذِي وَعَدَ صَادِقًا..^(٣)

وتشير المصادر اليهودية أنه عندما كان أبرام في التاسعة والتسعين من عمره، أعلن الله اسمه الجديد: (إبراهيم) أي الأب للأمم الكثيرة، وأعطاه عهد الختان، وأعطى الله ساراي الاسم الجديد سارة وباركها، وأكد إبراهيم لسارة أنه سيكون لها ابن، فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: «هَلْ يُوَلَّدُ لَابْنٍ مِثْلَ سَنَةِ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟»..^(٤)

فرد عليه الرب: فَقَالَ اللَّهُ: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأَقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ.... وَلَكِنْ

(١) سفر التكوين: ٢٠: ١٦.

(٢) سفر التكوين: ٢٠: ١٨.

(٣) رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين: ١١: ١١.

(٤) سفر التكوين: ١٧: ١٧.

عَمْدِي أَقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ
الْآتِيَةِ»..^(١)

وفي يوم ما، زار ثلاثة رجال إبراهيم وسارة، فَاسْرَعَ إِبرَاهِيمُ إِلَى
الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلَاثِ كَيْلَاتِ دَقِيقًا سَمِيدًا. اعْجِنِي
وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ».^(٢) وأخبر أحد الزوار إبراهيم أنه عند عودته العام
المقبل، سيكون لسارة ابن! وأثناء وجودها عند مدخل الخيمة، سمعت
سارة ما قيل، وضحكت على نفسها حول احتمال إنجاب طفل وهما
بهذا السن، فسأل الزائر إبراهيم: لماذا ضحكت سارة على فكرة إنجاب
طفل؟ لأن عمرها لم يكن شيئًا بالنسبة لله تعالى؟ وسرعان ما حملت
سارة وأنجبت ابنا لإبراهيم.^(٣)

وأطلق إبراهيم - الذي كان يبلغ من العمر مائة عام - على الطفل
اسم إسحاق (أي: يضحك بالعبرية) وختنه عندما كان عمره ثمانية أيام
وَأَفْتَقَدَ الرَّبُّ سَارَةَ كَمَا قَالَ، وَفَعَلَ الرَّبُّ لِسَارَةَ كَمَا تَكَلَّمَ. فَحَبِلَتْ سَارَةُ
وَوَلَدَتْ لِإِبْرَاهِيمَ ابْنًا فِي شَيْخُوخَتِهِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَكَلَّمَ اللَّهُ عَنْهُ. وَدَعَا
إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ابْنِهِ الْمُوَلُودَ لَهُ، الَّذِي وَلَدَتْهُ لَهُ سَارَةُ «إِسْحَاقَ».^(٤)

وحسب الرواية اليهودية، فإن فكرة الولادة وإرضاع طفل
بالنسبة لسارة في مثل هذه السن المتقدمة، جعلتها تضحك كثيرا في
الأيام اللاحقة، وَقَالَتْ سَارَةُ: «قَدْ صَنَعَ إِلَهِ اللَّهِ ضِحْكًَا. كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ
يَضْحَكُ لِي».^(٥)

(١) سفر التكوين: ١٧: ١٩، ٢١.

(٢) سفر التكوين: ١٨: ٦.

(٣) سفر التكوين: ١٨: ٩ - ١٥.

(٤) سفر التكوين: ٢١: ١ - ٣.

(٥) سفر التكوين: ٢١: ٦.

وَقَالَتْ: «مَنْ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: سَارَةُ تُرَضِّعُ بَنَيْنَ؟ حَتَّى وَلَدْتُ ابْنًا فِي شَيْخُوحَتِهِ!»^(١)

وأقام إبراهيم وليمة عظيمة في اليوم الذي كان من المقرر أن يفطم فيه إسحاق، وخلال هذه المأدبة، صادفت سارة الصبي إسماعيل آنذاك يسخر من إسحاق، وانزعجت لدرجة أنها طلبت نفيه هو وهاجر، وكان إبراهيم حزينًا في البداية من هذا ولكنه رضح عندما أخبره الله أن يفعل ما طلبته زوجته! وبعد حادثة ولادة إسحاق، استقر إبراهيم وسارة بين قادش وشور في أرض فلسطين.^(٢)

سادسا: وفاتها وأثارها

تربط الأساطير اليهودية موت سارة بمحاولة التضحية بإسحاق، وهناك نسختان من القصة، وفقا لأحدها: جاء إليها إسماعيل وقال: أمسك زوجك العجوز بالصبي وضحي به، وقد بكى الصبي كثيرا، لكنه لم يستطع الهروب من والده فأخذت سارة بالبكاء بمرارة، وماتت في النهاية من حزنها.^(٣)

ووفقا للأسطورة الأخرى: فقد جاء الشيطان إلى سارة متنكرا في زي رجل عجوز، وأخبرها أن إسحاق قد تم التضحية به، فصدمت كلامه وحزنت حزنا شديدا، وبكت بمرارة، لكنها سرعان ما عزت نفسها بفكرة أن الذبيحة قد قدمت بأمر من الله، وخرجت من منزلها من بئر السبع إلى الخليل، وكانت تسأل كل من قابلته إذا كان يعرف إلى أي اتجاه ذهب

(١) سفر التكوين: ٢١: ٧.

(٢) مور، ميغان بيشوب ؛ كيلى، براد إي، تاريخ الكتاب المقدس وماضي إسرائيل، (مطبوعة إيردمانز، ٢٠١١) ص ٣٨.

(٣) شوارتز، رامي، الأم العذراء سارة - توصيف الأم في سفر التكوين، بحث منشور (مجلة الدراسات اليهودية، ٢٠٢١) ص ٢٠١.

إبراهيم، ثم جاء الشيطان مرة أخرى في شكل إنسان وأخبرها أن خبر التضحية بإسحاق غير صحيح، وأنه حي وسيعود قريباً مع والده، فعند سماعها هذا، ماتت سارة من الفرح في مدينة الخليل، وعاد إبراهيم وإسحاق إلى منزلهما في بئر السبع، ولم يجدوا سارة هناك، وذهبوا إلى الخليل، إذ اكتشفوا أنها قد ماتت. وَمَاتَتْ سَارَةُ فِي قَرْيَةِ أَرْبَع، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَى إِبْرَاهِيمُ لِيَنْدُبَ سَارَةَ وَيَبْكِي عَلَيْهَا.^(١)

وفيما يخص عمرها حسب العهد القديم فقد ماتت سارة عن عمر يناهز ١٢٧ عاماً، وَكَانَتْ حَيَاةُ سَارَةَ مِئَةً وَسَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، سِنِي حَيَاةِ سَارَةَ.^(٢)

واشترى إبراهيم قطعة أرض، فيها كهف بالقرب من مدينة الخليل لدفنها فيها، وهي أول أرض يملكها آل إبراهيم في كنعان وفقاً للرواية التوراتية، وأصبح المكان يعرف باسم كهف البطارقة. وقيل: دفنت في كريات أربع، في الخليل، في كهف مكبيل. وَبَعْدَ ذَلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ امْرَأَتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمُكْفِيلَةِ أَمَامَ مَمْرَا، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ.^(٣)

ويعتقد اليوم أن سارة مدفونة في الكهف المعروف من قبل المسلمين باسم حرم إبراهيم، ويقع المجمع في مدينة الخليل القديمة، وهو ثاني أقدس موقع لليهود (بعد جبل الهيكل في القدس)، كما أنه يبجل من قبل المسيحيين والمسلمين، وكلاهما لديه تقاليد تؤكد أن

(١) سفر التكوين: ٢٣: ٢.

(٢) سفر التكوين: ٢٣: ١.

(٣) سفر التكوين: ٢٣: ١٩.

الموقع هو مكان دفن ثلاثة أزواج توراتيين. إبراهيم وسارة وإسحاق ورفقة ويعقوب وليا.^(١)

وقد ورد في رسالة بطرس الأولى مدح للسيدة سارة لطاعتها زوجها، إذ تم الإشادة بها وبإيمانها مع عدد من شخصيات العهد القديم الأخرى، كَمَا كَانَتْ سَارَةُ تُطِيعُ إِبْرَاهِيمَ دَاعِيَةً إِيَّاهُ «سَيِّدَهَا». الَّتِي صِرْتُنَّ أَوْلَادَهَا، صَانِعَاتٍ خَيْرًا، وَغَيْرَ خَائِفَاتٍ خَوْفًا الْبَتَّةَ.^(٢)

ووفقا لسفر التكوين: كانت سارة مشهورة بالكرم، مضيافة، وكان منزلها مفتوحا دائما بشكل يومي، ومن كراماتها أو معجزاتها أن العجين كان يزداد دائما، وكان يطوف عمود من السحاب فوق مدخل خيمتها.^(٣)

سابعاً: فوائد وعبر من قصة سارة في العهد القديم

قال في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: قد لا نجد شيئاً أصعب من الانتظار، سواء كنا ننتظر شيئاً صالحاً أو شيئاً رديئاً، أو أمراً مجهولاً، كثيراً ما نحاول التغلب على الانتظار الطويل – أو حتى القليل – بالشروع في مساعدة الله لتنفيذ خطته، وقد حاولت سارة ذلك، فقد كانت أكبر عمراً من أن تلد طفلاً، فظنت أنه لا بد من طريقة أخرى في فكر الله، ومن جهة نظر سارة المحدودة، لم يكن ذلك ممكناً إلا بإعطاء إبراهيم أبناء من امرأة أخرى، وكان ذلك أمراً مألوفاً في أيامها... وثمة طريقة أخرى نحاول بها التغلب على الانتظار الطويل، وهي أننا – شيئاً فشيئاً – نستنتج أن ما ننتظره لن يحدث على الإطلاق، لقد

(١) كليفورد، ريتشارد جيه، تحليل سفر التكوين، ص ٣٣.

(٢) رسالة بطرس الأولى: ٦: ٣.

(٣) سفر التكوين: ٢٨: ٢٢.

انتظرت سارة تسعين سنة عليها تلد طفلا، وعندما قال لها الله إنها أخيرا ستلد ابنا، ضحكت، ليس لعدم إيمانها بأن الله يستطيع، بل بالحري لشكها في ما يمكن أن يعمل من خلالها... ولعلها لم تشأ أن تكشف عن مشاعرها الحقيقية، لقد كانت سارة شديدة الوفاء لابنها، وأصبحت أما لأمة بأسرها، الأمة التي جاء منها المسيح، وكانت امرأة إيمان؛ فهي أول امرأة تذكر في قائمة الأديان في الإصحاح الحادي عشر من الرسالة إلى العبرانيين... ومن نقاط ضعفها التي ذكرها العهد القديم: أنها اهتز إيمانها في مواعيد الله لها، وحاولت أن تحل المشاكل بنفسها بدون استشارة الله، وحاولت أن تغطي أخطاءها بلوم الآخرين.^(١)

المطلب الثاني: سيرة السيدة سارة في القرآن الكريم

لقد اختص الله سبحانه وتعالى بعض البشر واصطفاهم على غيرهم، ومنهم آل سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهم زوجاته وأبنائه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ ﴾.^(٢)

أولا: اسمها ونسبها

وقد اختلفت المصادر الإسلامية – التي يعتمد عليها أهل الكتاب – في نسب السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام، إذ يروى أن سارة هي أخت لوط لأمه، إذ لا يحل أن الزواج بأخت ابن الأخ

(١) كتاب الحياة، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، (شركة ماستر ميديا، المعادي، مصر) ص ٤٧.

(٢) سورة آل عمران: ٣٣.

لأب أو لأب وأم، ولوط هو ابن هارون بن بارح أبي إبراهيم، وهارون هو أخو إبراهيم.^(١)

وقيل: إن سيدنا لوطا كان ابن أخي سيدنا إبراهيم، وآمنت به سارة وكانت بنت عمه، أو كانت سارة أخت لوط.^(٢)

ونقل المفسرون عن السدي قوله أن سيدنا إبراهيم انطلق بسيدنا لوط متوجها إلى بلاد الشام، فلقي قبل وصوله سارة، التي هي ابنة ملك حران، وكانت قد هجرت قومها؛ لشركهم، فخطبها وتزوجها. إلا أن المشهور أنها ابنة عمه هاران الذي تنسب إليه حران، ومن زعم أنها ابنة أخيه هاران أخت لوط، فقد أبعد النجعة، وقال بلا علم، وادعى أن تزويج بنت الأخ كان إذ ذاك مشروعاً فليس له على ذلك دليل، ولو فرض أن هذا كان مشروعاً في وقت، كما هو منقول عن الربانيين من اليهود، فإن الأنبياء لا تتعاطاه.^(٣)

(١) ابن أبي طالب، أبو محمد مكي حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ج ٧ (مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨) ص ٤٧٨١.

(٢) العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، تفسير القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ج ٢ (دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦) ص ٥٠٩.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج ١ (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) ص ٣٤٨.

أخرج البخاري في صحيحه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل. قوله: ﴿إني سقيم﴾ وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقليل له: إن هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ، فقال: ادعي الله ولا أضرك، فدعت الله فأطلق. ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتونني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر، فأنته وهو يصلي، فأوماً بيده: مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر، أو الفاجر، في نحره، وأخدم هاجر قال أبو هريرة: تلك أمكم، يا بني ماء السماء.^(١)

ثانياً: الخلاف في نبوتها

يؤيد بعض علماء العقيدة فكرة نبوة ثلاث نسوة؛ سارة زوجة سيدنا إبراهيم، وأم موسى، والسيدة مريم رضوان الله تعالى عليهن،^(٢) إلا أن الراجح أنه لا تكون أنثى نبية، خلافاً لأهل الكتاب، الزاعمين بنبوة السيدة مريم بنت عمران، وقد خالف في اشتراط الذكورة أبو الحسن الأشعري ثم القرطبي، وتبعهما على ذلك أناس من العلماء، والحق اعتبار الذكورية لأن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، والأنوثة

(١) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، الجامع الصحيح، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ج ٣ (دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣) ص ١٢٢٥ برقم (٣١٧٩) كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ج ١، ص ٣٥٢.

تقتضي التستر وتنافي الاشتهار لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع، وقد حكى العلامة ابن الملقن في شرحه على عمدة الأحكام خلافا في نبوة مريم وآسية وسارة وهاجر وأم موسى عليه السلام، واسمها يخابذ بنت لاوى بن يعقوب كما قال شيخ السنة البغوي، والحافظ ابن الجوزي في تبصرته.^(١)

ثالثا: قصة حملها وولادتها إسحاق

يذكر تعالى قصة البشارة بحمل سيدنا سارة بالتفصيل وفي أكثر من موضع، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ٦٩ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ٧٠ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ رَهًا إِيَّاسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ٧١ قَالَتْ يُوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ٧٢ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَّتْهُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ٧٣﴾.^(٢)

ويشير بعض المفسرين إلى أن الزوار الذين جاؤوا لزيارة سيدنا إبراهيم الخليل كانوا ثلاثة ملائكة: (جبريل، ميكائيل، وإسرافيل عليهم السلام) وعندما وصلوا إلى منزل إبراهيم، قام إبراهيم بمعاملتهم كضيوف مخلصين، وقد أعد لهم وجبة تشمل عجلاً سميناً من أفضل

(١) السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، ج ٢ (مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢) ص ٢٦٦.

(٢) سورة هود: ٦٩ - ٧٣.

أبقاره، وعندما قدّم إبراهيم الطعام للملائكة، لاحظ أنهم لم يبدوا مهتمين بالأكل، وهذا جعله يشعر بالقلق والاستغراب، فأخبروه أنهم ملائكة أرسلوا من قبل الله لقوم لوط ليدمروا القوم الفاسقين هناك، هذا الخبر أسعد سارة وجعلها تضرب بيدها على وجهها بسرور وتعجب، وقامت بالتقليد القديم إذ تقف النساء على رؤوس الضيوف، ثم أخبروها أنها ستلد إسحاق وبعده يأتي يعقوب، وهذا أثبت لها أنها ليست عقيمة كما كانت تعتقد، وأثبت لإبراهيم فرحًا كبيرًا بهذه البشرى وتثبيتًا لها، وهذا القصة تظهر كيف أثرت البشرى المفرحة على إبراهيم وسارة وكيف عبّرا عن سعادتهما واستغرابهما بطرقهما الخاصة.^(١)

وقد ذكر سبحانه وتعالى في موضع آخر تعجب سيدنا إبراهيم بالأمر، فقد قال لهم: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ ^(٢) يعني أَبَشَّرْتُمُونِي مع مس الكبر، بأن يولد لي. أى: أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فِيمَ تُبَشِّرُونَ هي ما الاستفهامية، دخلها معنى التعجب، كأنه قال: فبأى أعجوبة تبشرون. أو أراد: أنكم تبشرون بما هو غير متصوّر في العادة، فبأى شيء تبشرون، يعني: لا تبشرونني في الحقيقة بشيء، لأنّ البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء. ويجوز أن لا يكون صلة لبشر، ويكون سؤالاً عن الوجه والطريقة يعني: بأى طريقة تبشرونني بالولد، والبشارة به لا طريقة لها في العادة. وقوله بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ يحتمل أن تكون الباء فيه صلة، أى: بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه، أو بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعدته،

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ج ١، ص ٣٧٢.

(٢) سورة الحجر: ٥٤.

وأنه قادر على أن يوجد ولداً من غير أبوين، فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر.^(١)

رابعا: طول عمرها

قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾^(٢) يشير إلى الفرح والبشارة بولادة إسحاق، ثم بعد ذلك بولادة يعقوب، مما يظهر سعادتهما بهذه الأمور. إن إشارة القرآن إلى ولادة يعقوب بعد إسحاق تبرز أهمية وسرور والديه بولادة أبنائهما، وإن وجود تفصيل بولادة يعقوب دون غيره من أبناء إسحاق يعكس أهمية خاصة لهذا الحدث وفرحهما البالغ به، وأنهما استمتعا بولادة إسحاق ورأيا فيها بركة ونعمة من الله، ومع ولادة يعقوب، تجددت هذه البركة والفرح في حياتهما. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا آعَزَ لَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(٤) وهذا إن شاء الله ظاهر قوي.^(٥)

ويؤيده ما ثبت في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى. قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا

(١) الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه ورّبه: مصطفى حسين أحمد، ج ٢ (دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧) ص ٥٨١.

(٢) سورة هود: ٧١.

(٣) سورة الأنعام: ٨٤.

(٤) سورة مريم: ٤٩.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية: ج ١، ص ٣٧٤.

أَذْرَكْتُكَ الصَّلَاةَ فَصَلِّ، فَهُوَ مَسْجِدٌ.» وَفِي حَدِيثِ أَبِي كَامِلٍ: ثُمَّ حَيْثُمَا
أَذْرَكْتُكَ الصَّلَاةَ فَصَلِّهْ، فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ. ^(١)

أورد ابن عساکر في تفاصيل هذه القصة قوله: عن ابن عباس
أنه قال: إن سارة لما فعلت ذلك بهاجر وعفت عنها، أحب الله أن يهب لها
ولدا، وذلك بعدما أرسل إبراهيم، فأرسل إبراهيم إلى الأرض المقدسة،
ولوطا إلى المؤتفكات، وكانت قرى لوط أربع مدائن سدوم وأموراء
عاموراء وصبويراء وكان في كل قرية مائة ألف مقاتل فجميعهم أربع
مائة ألف، وكانت أعظم مدائنهم سدوم وكان لوط يسكنها وهي
المؤتفكات وهي من بلاد الشام ومن فلسطين مسيرة يوم وليلة، وكان
إبراهيم خليل الرحمن عم لوط بن هارون بن تارح وإبراهيم بن تارح،
وهو آزر، وكان إبراهيم ينصح قوم لوط وكان الله قد أمهل قوم لوط،
فخرقوا حجاب الإسلام وانتهكوا المحارم، وأتوا الفاحشة الكبرى... إلى
آخر القصة. ^(٢)

المطلب الثالث: صفات السيدة سارة عليها السلام الخلقية

والخلقية

أولا: الجمال

(١) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد
الباقي، ج ٢ (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥) ٦٣ برقم
(٥٢٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ
مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها
وأهلها، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، ج ٥٠ (دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥) ص ٣١٠.

كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يحبها حبا شديدا؛ لدينها، وقرباتها منه، وحسنها الباهر، فقد قيل: إنه لم تكن امرأة بعد حواء إلى زمانها أحسن منها ﷺ^(١) وقد مر بنا في قصة السيدة سارة عليها السلام مع الملك الجبار الذي خاف من سطوته سيدنا إبراهيم عليه السلام، فأخبره أنها لم تكن زوجته، بل أخته؛ ليمنعه من أخذها غصبا، وهذا دليل واضح على شدة جمالها عليها السلام، فالملوك لا تملأ عيونهم أي امرأة، بل يبحثون عن مواصفات خاصة، وجمال منقطع النظير، حتى أنه ذُكِرَ لفرعون جمال سارة زوج الخليل عليه السلام، وهي ابنة عمه هاران، فسأل إبراهيم عنها، فقال: هذه أختي؛ يعني: في الإسلام؛ خوفاً أن يقتله،^(٢) كما تقدم.

ثانياً: الصبر

الذي يمعن النظر في قصة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وزوجتيه، يظهر له جليا مدى صبر سارة وتسليمها بقضاء الله وقدره، ورضاها بما قسم لها، فهي بقيت تنتظر الحمل والولادة قرابة قرن من الزمان، فلم تيأس ولم تضجر، بل تحملت وقاست، وكانت المرأة الصالحة للنبي الكريم، من أولي العزم من الرسل، حتى أن بعض الروايات تشير إلى أن الذبيح هو سيدنا إسحاق - ابنها - وليس إسماعيل، وأنه لما فداه ربه عز وجل بذبح عظيم، رجع سيدنا إبراهيم

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٣٥٢.

(٢) المقدسي، مجير الدين بن محمد العلي الحنبلي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، ج ٤ (دار النوادر، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩) ص ٣٦٧.

إلى سارة فأخبرها الخبر، فقالت: يا إبراهيم، أردت أن تذبح ابني ولا تُعلمني! ^(١) فكانت مثالا للزوجة الصابرة المحتسبة.

ولا شك أن نساء المسلمين اليوم، بأمس الحاجة إلى تغليب مبدأ الصبر على غيره، فالمرأة إذا صبرت على شظف العيش من الحلال خير لها من وأقوم سبيلا، فأحيانا لا يستطيع الزوج تلبية كل رغبات الزوجة المادية، وكثير من نساء زماننا يجزعن ولا يصبرن، فكم من حالات الطلاق التي سمعنا ونسمع بها دائما، كان سببها عدم صبر الزوجة على زوجها، وعدم صبر الزوج على زوجته، فالصبر مفتاح الفرج، وقد ورد لفظ الصبر في القرآن الكريم أكثر من ستين مرة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ^(٢).

ثالثا: الإيثار

بينما تركز كثير من كتب التفسير، وكذلك نصوص العهد القديم في اليهودية والمسيحية على الغيرة التي تحصل بين الزوجات في البيت الواحد، ومما لا شك فيه أن المرأة غالبا يستحيل عليها أن ترضى لزوجها أن يتزوج عليها، مهما كانت الأسباب، شرعية أو طبية، عرفية أو نفسية، إلا أن السيدة الكريم سارة عليها السلام، لما رأت من زوجها النبي الكريم، شوقا وتحرقا إلى أن يكون له ولد، ودعوة صادقة يطلب فيها من ربه تعالى أن يرزقه الذرية ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(٣) ولما رأت من نفسها عدم إمكانية الحمل في هذه السن، طلبت من زوجها إبراهيم أن يتسرى (أو يتزوج) جاريته هاجر، تاركة وراءها العادات

(١) الطبري، جامع البيان: ج ٢١، ص ٧٥.

(٢) سورة البقرة: ٤٥.

(٣) سورة الصافات: ١٠٠.

والتقاليد، والرغبات الشخصية، وبالفعل لبي إبراهيم رغبته، ووهبه الله تعالى ابناً بعد عمر طويل من الانتظار، وكجزءاً على إثارها ونكران ذاتها وترفعها، جاءتها البشرية بالولد الصالح، بل والحفيد الصالح أيضاً في حياتها، فوهبها تبارك وتعالى إسحاق، ومن بعده يعقوب.

رابعاً: الكرم

اشتهرت السيدة سارة عليها السلام بفضيلتها الكبيرة، وكرمها العظيم، وقد تمتّ تسليط الضوء على هذه الصفات في القرآن الكريم من خلال قصة استقبال سيدنا إبراهيم عليه السلام للملائكة كضيوف له. ففي تلك الآيات الكريمة، ظهرت سخاء سيدة سارة حين قدمت لهم وجبة تضمنت عجباً سميناً، وهذا كان تعبيراً عن سعة قلبها وكرمها عليهما السلام... وثمة عدة نقاط توضيحية تبرز جوانب كرمها في هذه القصة الكريمة. منها:

راغ إلى أهله: عندما قدم الطعام للضيوف، لم تنتظر زوجته سارة حتى يطلبوا الطعام، بل ذهبت بسرعة لتحضير الوجبة، وهذا يظهر رغبته الكبيرة في تكريم ضيوفها وضيافتهم.

خدمة الضيف: لم يكن إبراهيم عليه السلام يأمر أحداً بتقديم الطعام، وكانت سارة هي التي تطبخ وتعد الطعام، مما يعكس رغبتهما الشديدة في خدمة الضيوف بشكل شخصي.

تقديم عجل كامل: لم تكتف سارة بتقديم جزء صغير من العجل، بل قدمت عجباً كاملاً، مما يظهر سخاءها الكبير واهتمامها

براحة ضيوفها... هذه النقاط تبرز جميعًا كرم وسخاء السيدة سارة عليها السلام وتظهر تفاصيل الضيافة الرائعة التي قدمتها لضيوفها.^(١)

خامسا: طاعتها لزوجها

تبين المصادر الإسلامية ومصادر أهل الكتاب مدى طاعة السيدة سارة لزوجها سيدنا إبراهيم الخليل عليهما السلام، فقد كانت نعم المرأة الصالحة، والزوجة التي تسر زوجها حينما ينظر إليها، فقد تحملت المشاق، والسفر الطويل، وجاهدت وعانت وقاست الأمرين، فلم تسخط ولم يرو عنها أنها أسمعت خليل الله كلمة تسوؤه، وحرّى بالنساء المسلمات الاقتداء بأمنّا سارة في هذا الخلق العظيم، وعدم عصيان ما يطلبه الزوج ما لم يكن فيه معصية لله تعالى، فكم من المشاكل الأسرية التي تسببت بهدم بيوت كاملة، كان سببها عصيان الزوجة لطلبات زوجها، ففقدت تلك العلاقة المودة والرحمة التي ميزهم الله تعالى بها، وتدهورت الأوضاع الاجتماعية في الأسرة، ثم المجتمع.

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، تفسير تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، (دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠هـ) ص ٤٨٨.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: ففي ختام هذا البحث، يمكن إجمال أهم النتائج التي تم التوصل إليها بما يلي:

تشير مصادر أهل الكتاب إلى أن السيدة سارة عليها السلام هي من نسل تارح، وهي الأخت غير الشقيقة لإبراهيم وحاران وناحور، وهي عمّة لوط وميلكا وإسكا وبيتوثيل، وحسب المصادر اليهودية: ولدت ساراي في أور كسديم، أو أور الكلدانيين، ويعتقد أنهم كانوا في العراق الحديث، وتشير المصادر اليهودية أنه عندما كان أبرام في التاسعة والتسعين من عمره، أعلن الله اسمه الجديد: (إبراهيم) أي الأب للأمم الكثيرة، وأعطاه عهد الختان، وأعطى الله ساراي الاسم الجديد سارة وباركها، وتربط الأساطير اليهودية موت سارة بمحاولة التضحية بإسحاق، وحسب العهد القديم فقد ماتت سارة عن عمر يناهز ١٢٧ عاماً ودفنت في المكان الذي يعرف باسم كهف البطاركة، ويعتبر أهل الكتاب السيدة سارة نبيه، وزوجة نبي، وأم الأنبياء، وأم بني إسرائيل جميعهم.

أما في المصادر الإسلامية: فهي زوجة نبي، وليست نبيه؛ إذ أن الذكورة من شروط النبوة. واختلفت المصادر الإسلامية – التي يعتمد عليها أهل الكتاب – في نسب السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام. ويرى بعض العلماء نبوة ثلاث نسوة: سارة زوجة سيدنا إبراهيم، وأم موسى، والسيدة مريم عليهن رضوان الله تعالى، إلا أن مذهب جمهور علماء العقيدة أن هذه النساء الثلاث صديقات، لا نبيات. وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام يحبها حباً شديداً؛ لدينها، وقربتها منه، وحسنها الباهر، فقد قيل: إنه لم تكن امرأة بعد حواء إلى

زمانها أحسن منها، وقد اشتهرت عليها السلام بصبرها وحلمها وتسليمها
بقضاء الله وقدره، ورضاها بما قسم لها، وكانت رمزا للإيثار والمحبة،
والتنازل عن الحقوق، في سبيل إرضاء وسعادة زوجها، كما اشتهرت
السيدة سارة عليها السلام بالكرم والضيافة، وخصوصا في قصة
الملائكة المكرمين، وكانت السيدة سارة مطيعة لزوجها في كل ما يطلب
منها، بدون تردد أو تشكيك.

قصة خصمي داوود بين القرآن والعهد القديم

المقدمة

إن القصص القرآني هو أحسن القصص والذي يتصف بالحسن الكامل والذي يكون مقبول في ذاته من قبل العقول السليمة التي تتصف بالتجرد من أي أهواء ذلك لأن القصص القرآني يقوم على الواقع المطلق والحقيقة الخالصة من أي تدنيس يمسها أي أن القرآن بذلك يعد وثيقة تاريخيه من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق، وقد نبه القرآن على كون هذا القصص حقيقي بقوله "تَحْنُ نَقْصُ عَلَيكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ"^١، وقوله "إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ"^٢، بالإضافة إلى ذلك أيضا كان من بين الأهداف التي جاء بها القصص القرآني هو تصحيح أباطيل العهد القديم الحاضرة والتي تم إلصاقها بالرسل والدليل على هذا قوله "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"^٣.

وأما بالتطرق لمعنى كلمة إسرائيليّات فهي جمع كلمة إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل وهم قوم نبي الله يعقوب الذين عرفوا باليهود، ومن أهم كتبهم التوراة والزبور وأسفار الأنبياء ومنها ما هو من الأساطير والخرافات، والأباطيل التي افتروها، أو تناقلوها عن غيرهم هذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التي ملئت كتب التفاسير، وقد ذكر العديد من المفسرين قصصًا من الإسرائيليات، بعضها صحيح في لفظه لكن القرآن لا يدل عليها، وفي هذا خطأ في الدليل، أي في دلالة الألفاظ

١ سورة الكهف: آية ١٣

٢ سورة الأنعام: آية ٥٧

٣ سورة النمل: آية ٧٦

٤ حسام العيسوي إبراهيم، أحسن القصص في إطار الوحدة البنائية للقرآن الكريم،

مكتبة الإمام الديواني، القاهرة، ٢٠١٧، ص ٢

على القصة، وبعض تلك القصص باطل في ذاته ولا يدل لفظ القرآن عليها لا من قريب ولا من بعيد، ويتكلف في دلالة لفظ، وفي هذا خطأ في الدليل والمدلول.^١

المبحث الأول: قصة داوود في العهد القديم والقرآن الكريم
خلت آيات القرآن الكريم من التفاصيل التي تم ذكرها في العهد القديم والتي جاء بها بعض المفسرين، ولذلك كان من الضروري توضيح الفرق بين كلاً من قصة داوود في العهد القديم والقرآن الكريم، ومن هنا سينقسم هذا المبحث إلى مطلبين يقوم المطلب الأول بتوضيح قصة داوود في العهد القديم، والمطلب الثاني يقوم بتوضيح قصة داوود في القرآن الكريم.

المطلب الأول: قصة داوود في العهد القديم

القصة كما وردت في العهد القديم

(ب) וַיְהִי לַעֲתָה הָעָרָב، וַיָּקָם דָּוִד מֵעַל מִנְשָׁכָו וַיֵּתְהַלֵּךְ עַל-גִּגְרֵית-הַמִּלָּךְ، וַיֵּרָא אִשָּׁה רֹחֶצֶת، מֵעַל הַגֵּג; וְהָאִשָּׁה، טוֹבַת מַרְאֶה מְאֹד. (ג) וַיִּשְׁלַח דָּוִד، וַיְדַרֵּשׁ לָאִשָּׁה; וַיֹּאמֶר، הֲלוֹא-זֹאת בֵּת-נָשִׁיבַע בֵּת-אֱלִיעֶזֶר--אִשָּׁת، אֲוִרְיָה הַחַתָּי. (ד) וַיִּשְׁלַח דָּוִד מַלְאָכִים וַיִּקְחָהּ، וַתָּבֹא אֵלָיו וַיִּשְׁכַּב עִמָּהּ، וְהָיָה מִתְקַדָּשָׁת، מִטְּמֵאָתָהּ; וַתָּשָׁב، אֶל-בֵּיתָהּ. (ה) וַתַּהַר، הָאִשָּׁה; וַתִּשְׁלַח וַתַּגִּד לְדָוִד، וַתֹּאמֶר הִרָה אֲנִי. (ו) וַיִּשְׁלַח דָּוִד، אֶל-יֹאבָב، שִׁלַּח אֵלַי، אֶת-אֲוִרְיָה הַחַתָּי; וַיִּשְׁלַח יֹאבָב אֶת-אֲוִרְיָה، אֶל-דָּוִד. (ז) וַיָּבֹא

١ محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط٤، مكتبة السنة،

القاهرة، ١٩٨٧، ص٥

אורִיָה, אֵלָיו: וַיִּשְׁאַל דָּוִד, לְשָׁלוֹם יוֹאָב וְלְשָׁלוֹם הָעָם,
וְלְשָׁלוֹם, הַמִּלְחָמָה. (ח) וַיֹּאמֶר דָּוִד לְאֹרִיָה, רֵד לְבֵיתְךָ וְרַחֵץ
רִגְלֶיךָ; וַיֵּצֵא אֹרִיָה מִבֵּית הַמֶּלֶךְ, וַתֵּצֵא אַחֲרָיו מִשְׁעַת הַמֶּלֶךְ.
(ט) וַיִּשְׁכַּב אֹרִיָה, פֶּתַח בֵּית הַמֶּלֶךְ, אֵת, כָּל-עַבְדֵי אֲדֹנָיו; וְלֹא
יָרַד, אֶל-בֵּיתוֹ. (י) וַיִּגְדּוּ לְדָוִד לֵאמֹר, לֹא-יָרַד אֹרִיָה אֶל-בֵּיתוֹ;
וַיֹּאמֶר דָּוִד אֶל-אֹרִיָה, הֲלוֹא מְדַרְךָ אִתָּהּ בָּא--מִדּוּעַ, לֹא-יָרַדְתָּ
אֶל-בֵּיתְךָ. (יא) וַיֹּאמֶר אֹרִיָה אֶל-דָּוִד, הָאָרוֹן וַיִּשְׂרָאֵל וַיהוָה
יִשְׁבִּים בְּסַפּוֹת וּבְאֲדֹנָי יוֹאָב וְעַבְדֵי אֲדֹנָי עַל-פְּנֵי הַשָּׂדֶה חֲנִים,
וְאֲנִי אָבוֹא אֶל-בֵּיתִי לֶאֱכֹל וְלִשְׁתּוֹת, וְלִשְׁכַּב עִם-אִשְׁתִּי; חֲיֶיךָ
וְחַי נַפְשֶׁךָ, אִם-אֶעֱשֶׂה אֶת-הַדְּבָר הַזֶּה. (יב) וַיֹּאמֶר דָּוִד אֶל-
אֹרִיָה, שֵׁב בְּזֶה גַם-הַיּוֹם--וּמָחָר אֲשַׁלְחֶךָ; וַיִּשָּׁב אֹרִיָה
בִּירוּשָׁלַם בַּיּוֹם הַהוּא, וּמָחָרְתָּ. (יג) וַיִּקְרָא-לוֹ דָּוִד, וַיֹּאכַל
לֶפָנָיו וַיִּשְׁתֵּ--וַיִּשְׁכַּרְהוּ; וַיֵּצֵא בָּעָרֵב, לִשְׁכַּב בְּמִשְׁכָּבוֹ עִם-עַבְדֵי
אֲדֹנָיו, וְאֶל-בֵּיתוֹ, לֹא יָרַד. (יד) וַיְהִי בִבְקָר, וַיִּכְתֹּב דָּוִד סֵפֶר
אֶל-יוֹאָב; וַיִּשְׁלַח, בֶּיַד אֹרִיָה. (טו) וַיִּכְתֹּב בְּסֵפֶר, לֵאמֹר: הִבּוּ
אֶת-אֹרִיָה, אֶל-מוֹל פְּנֵי הַמִּלְחָמָה הַחֲזָקָה, וְשִׁבְתֶּם מֵאַחֲרָיו,
וְנָפְקָה נִמְתָּ. (טז) וַיְהִי, בַּשָּׁמֹר יוֹאָב אֶל-הָעִיר; וַיִּתֵּן, אֶת-אֹרִיָה,
אֶל-הַמָּקוֹם אֲשֶׁר יָדַע, כִּי אֲנָשִׁי-חַיִּל שָׁם. (יז) וַיֵּצְאוּ אֲנָשֵׁי
הָעִיר, וַיִּלְחָמוּ אֶת-יוֹאָב, וַיַּפֵּל מִן-הָעָם, מֵעַבְדֵי דָוִד; וַיָּמָת, גַּם
אֹרִיָה הַחַתִּי.¹

¹ ספר שמואל ב, פרק יב, פסוק (17-3).

ورد في سفر صموئيل الثاني أنه "كان في وقت المساء ان داوود قام عن سريره و تمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم و كانت المرأة جميلة المنظر جدا فأرسل داوود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحيثي فأرسل داوود رسلا، وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئها ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داوود وقالت إني حبلى، فأرسل داوود إلى يوأب يقول أرسل الي أوريا الحيثي فأرسل يوأب أوريا إلى داوود، فأتى أوريا إليه فسأل داوود عن سلامة يوأب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داوود لأوريا انزل الى بيتك واغسل رجلك فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصاة من عند الملك، ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل الى بيته، فاخبروا داوود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته فقال داوود لأوريا اما جئت من السفر فلماذا لم تنزل الى بيتك فقال أوريا لداوود إن التابوت وإسرائيل و يهوذا ساكنون في الخيام و سيدي يوأب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي الى بيتي لأكل واشرب واضطجع مع امرأتي وحياتك و حياة نفسك لا أفعل هذا الأمر فقال داوود لأوريا أقم هنا اليوم أيضا وغدا أطلقك فأقام أوريا في اورشليم ذلك اليوم وغده ودعاه داوود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده والى بيته لم ينزل وفي الصباح كتب داوود مكتوبا الى يوأب وارسله بيد أوريا وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من وراءه فيضرب ويموت و كان في محاصرة يوأب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال

البأس فيه فخرج رجال المدينة وحاربوا يوأب فسقط بعض الشعب من عبید داوود ومات أوریا الحثي أيضا^١.

تفسير القصة التي وردت في العهد القديم ورأي فقهاء اليهود قصة داوود وبتشفع هي نقطة تحول في وصف مملكة داوود. فمنذ اللحظة التي أخطأ فيها، حلت به سلسلة من الكوارث الشخصية والملكية^٢. حيث تتضح خطورة خطاياها، كما ورد في الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني، وكان ذلك بمثابة مقارنة مع الوصايا العشر، حيث تجاوز داوود ثلاث نواهي مذكورة في تلك الوصايا ومنها " أن لا تشتهي زوجة صديقك"، "لا تزني"، "لا تقتل"، كما يوجد بالفعل في العهد القديم نفسه نهجان قطبيين واضحا لتلك الأعمال وهو كشف سفر صموئيل عن هذه القضية بالكامل ودون محاولات لتخفيف الخطيئة أو تبريرها، ومن ناحية أخرى أغفل سفر أخبار الأيام هذا الأمر تمامًا، والذي لم يكن يتماشى مع مكانة داوود^٣. استمرت المداولة بين التناعيم^٤، والأمورائيم^٥ في تفسير الأمر على أنه ليس بسيطاً وقد أكد جانب منهم على صحة ما قام به داوود وسقوط خطيئة الزنا من عليه مستنديين في ذلك على القول الذي يقول

١ سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الحادي عشر، العدد ٣-١٧.

٢ 'عرفلي، "זהירות. סיפור מקראי – הערות לסיפור דוד ובת-שבע ולשאלות הפואטיקה של הסיפור המקראי"، הספרות، תל אביב، ١٩٦٩، עמ' ١٦

٣ שאול אברמסקי، עולם התנ"ך פרק שמואל ב، הדפסה שישית، דברי הימים، תל אביב، ٢٠٠٢، עמ' ١٠٢

٤ التناعيم: هم حكماء اليهود الذين اختصوا بتفسير المشناه.

٥ الأمورائيم: هم حكماء التلمود الذين عملوا بين المشناه والجمارا.

إن "كل من يذهب للحرب في بيت داوود يكتب طلاقه لزوجته".^١ أي أن معني ذلك أن بتشفع قد حصلت على الطلاق من أوريا حتى قبل أن يغادر إلى ساحة المعركة، وقد تم الطلاق على هذا الشرط بأثر رجعي من لحظة سقوط أوريا في المعركة. وبذلك يصبح داوود زوجاً للمطلقة^٢، ولكن بالرغم مما سبق ذكره إلا أنه لم يتفق الجميع مع رأي هؤلاء الحكماء، الذين قللوا بشكل كبير من خطورة خطايا داوود حيث ناقش حكماء التلمود مقارنة مع ذلك خطورة خطايا داوود حيث مال ذلك التفسير في الغالب إلى اتباع النهج المعبر عنه في القول المأثور: "كل من يقول الخطيئة ليس سوى خطأ^٣"، ولكن خالف ذلك الحاخام أباربانيل في تعليقه على هذا الفصل، والذي يجد أن ذلك لا يتفق مع الحقيقة، وقد لخص مقارنته المعاكسة أنه "إذا اعترف العهد القديم بالخطأ و بخطيئته، فكيف يكون الإنسان مخطئاً في الاعتقاد، بل وأقر أنه من الجيد الاعتراف بالخطأ بالرغم من التوبة حتي ولو نال الخاطئ عقوبته^٤، وأما البعض الآخر يري أنه يجب التعامل مع القصة المعروضة علينا على أنها عمل أدبي ومناقشتها كما هو معتاد في تحليل القصص في النقد الأدبي العام، ووفقاً لهذا النهج، يوصى هنا باستخدام طريقة سد الثغرات وهو أن نقوم بفحص النص مع الانتباه إلى تلميحاته وقد تعطي الروابط صورة أوسع وأكثر ثراءً من تلك التي تم الحصول عليها في القراءة الأولى للنص، فالقصة المعروضة علينا في رأي

١ פירוש אלשיך לפרק י"ב, פס' א.

٢ Bailey, R. C. ١٩٩٠. David in Love and War: The Pursuit of Power in ٢ Samuel ١٠-١٢. Sheffield: JSOT Press, p٦٧.

٣ תלמוד בבלי, מסכת שבת, דף נ"ה, עמ' ٢-١

٤ עיין י' היינמן, דרכי האגדה, ירושלים, ١٩٥٣, עמ' ٣٤

هؤلاء العلماء مكتوبة على أقل تقدير لأن الراوي من ناحية لا يخترق العالم الداخلي لأبطاله، ومن ناحية أخرى لا يتدخل الراوي في إعطاء تقديره وحكمه لذلك يبدو للقارئ كما لو كانت قصة روتينية في البداية ولكن بعد تحليل القصة وملء فجواتها يرتجف القارئ من شدة الأحداث وتخلق هذه الصدمة نقدًا ساخرًا للملك داوود في جميع مراحل القصة^١، ولكن من جانب آخر فمن المناسب فحص القصة ليس فقط بأدوات التحليل الأدبي ولكن دراسة النص من خلال إجراء فحص شامل للخلفية التاريخية للقصة، ووضعها في البيانات التاريخية والأثرية مما يستوجب استخدام نصوص أخرى وبعد أن تتضح الخلفية يمكن للمرء فحص القصة والعثور على ما اختار المؤلف إظهاره وما الذي فضل حذفه وما يطيله وما يختصره وبذلك يكون هذا الفحص المقارن بمثابة أداة فعالة لتحديد اتجاهات المؤلف^٢.

الرد على قصة داوود التي وردت في العهد القديم

تتنافي تلك القصة على ما ورد في شريعة موسي بشكل عام وهو تحريم القتل في غير قصاص، أو الزنا حيث ورد في الوصايا العشر التي جاء بها موسي من الله والتي تفيد بعدم القتل بدون وجه حق أو الزنا^٣، وقد وردت العديد من النصوص التي جاء بها العهد القديم تفيد أن

١م' غرسيال، "السيפור عل دود ובת שבע בספר שמואל – אופיו ומגמתו"، בית

מקרא، ١٩٧١، ١٠١٥.

٢م' פרי ומ' שטרנברג، "המלך במבט אירוני – על תחבולותיו של המספר

בסיפור דוד ובת-שבע ושתי הפלגות לתיאוריה של הפרוזה. הספרות، תל

אביב، ١٩٦٧، ٤٥.

٣ H.W. Hertzberg, I and II Samuel (OTL), London ١٩٦٤, p. ٣١١

داوود لم يرتكب أي ذنب، وأنه أخذ بشريعة موسى ولم يحد عنها^١،
وبعض تلك النصوص هي:

- ورد في سفر صموئيل الثاني على لسان داوود أنه "يكافئني الرب حسب بري حسب طهارة يدي، يرد على لأنني حفظت طرق الرب ولم أعص إلهي^٢ .

- ورد في سفر الملوك أن سليمان قال "إنك قد فعلت مع عبدك داوود رحمة عظيمة حسب ما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة، أي أن داوود هنا قد سار في فعل الخيرات ولا يمكن أن يكون قاتلا أو زانيا.

- ورد في الإصحاح السادس من أخبار الأيام الثاني قول الله لداوود "إن يكن بنوك يحفظون طرقهم حتى يسيروا في شريعتي كما سرت أنت أمامي، فهذا النص كيف يمكن أن يريد الله لأبناء داوود الذين يقوهم ويمدهم بالعون أن يكونوا زناة أو قتلة^٣ .

- ورد في سفر الملوك الأول قول الرب "ولا أخذ المملكة من يده لأجل داوود عبدي الذي اخترته، الذي حفظ وصاياي وفرائضي، فإذا سمعت لكل ما أوصيتك به، وسلكت في طريقي وفعلت ما هو مستقيم في عيني وحفظت فرائضي ووصاياي كما فعل داوود عبدي

١ על פי שמואל ייבין, הערך "דוד המלך", אנציקלופדיה מקראית, כרך ב', עמ' ٦٤٠.

٢ P.K. McCarter, II Samuel (AB), New-York, ١٩٨٤, p. ١٣

٣ R.A. Carlson, David, the Chosen King: A Traditions-Historical, Approach to the Second Book of Samuel, tockholm ١٩٦, p ٢٣٤.

أكون معك، وأبني لك بيتاً آمناً كما بنيت لداوود وأعطيك إسرائيل^١.
ومما سبق يتضح تبرأ داوود نفسه مما ألصق إليه من داخل تلك
النصوص وغيرها من العهد القديم والتي توضح كذب تلك القصة
المنسوبة إليه.

المطلب الثاني: قصة داوود في القرآن وتفسيرها من الإسرائيليات

قصة داوود في القرآن

- ورد في سورة (ص) قوله تعالى "وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ
تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ
نَعْجَةً وَاحِدَةً"^٢

- قد أورد بعض مفسري هذا النص القرآني قصة داوود
مع أوريا الحيثي قائد جيشه، وزوجته الجميلة التي أراد داوود ضمها إلى
نفسه مع أنه كانت له تسع وتسعون امرأة وهو ما لا يمت بصلة ولا
يحمل أي علاقة مع النص القرآني.

تفسير القصة من الإسرائيليات

- لقد كان لكل من الثعلبي والطبري ابن جرير و مقاتل بن
سليمان وغيرهم تفسيراً خاصاً للآية القرآنية حيث قام كلا منهما
بالصاق ما جاء في العهد القديم وما آخذه دون تفكير من اليهود الذين

١ سفر ملכים ٨، פרק יא، פסוק (٣٤-٣٦).

٢ سورة ص: الآية ٢١ إلى ٢٥

عاصروهم كتفسير لتلك الآية القرآنية وهو ما أطلق عليه فيما بعد الإسرائيليات التي ليس لها علاقة بالقرآن لا من قريب ولا من بعيد وهي مجرد قصص وأباطيل أوردها الكثير من المفسرين الذين أتصفوا بضعف حديثهم وإسنادهم الذي اعتمدوا في أساسها على ما ورد في العهد القديم دون الأخذ بما ورد في الكتاب والسنة وقد جاء تفسيرهم للقصة التي وردت في القرآن كالآتي^١:

أن داوود عليه السلام حدث نفسه أنه معصوم، وقد قيل له أنه سيبتلى وسيعلم اليوم الذي سيبتليه الله فيه، وكان اليوم الذي سيبتلى فيه، فأمسك بالزبور، وجلس في المحراب، وأغلق باب المحراب، وأدخل الزبور في حجره، وأقعد منصفاً على الباب، وقال لا تأذن لأحد عليّ اليوم فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر مذهب كأحسن، فيه من كل الألوان، فأدرجه بين يديه، فاقترب منه، فاستطاع أن يمسك به، ولكنه طار فوقه على في المحراب، فاقترب ليأخذه، فطار أيضاً فأشرف عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله حركت رأسها، فغطت جسدها أجمع بشعرها، وكان زوجها غازياً في سبيل الله، فكتب داوود عليه السلام إلى رأس الغزاة انظر فاجعله في حملة التابوت، أما أن يفتح عليهم^٢، وإما أن يقتلوا فقدمه في حملة التابوت فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داوود عليه السلام، فاشتترطت عليه أن ولدت غلاماً أن يكون الخليفة من بعده، وأشهدت عليه خمساً من بني إسرائيل، وكتبت عليه بذلك كتاباً،

١ محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مرجع سابق، ص ٨٨

٢ القرطبي، تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥، مؤسسة الرسالة، القاهرة،

٢٠١٦، ص ١٦٦

فأشعر بنفسه أنه كتب حتى ولدت سليمان عليه السلام وشب، فتسور عليه الملكان المحراب، فكان شأنهما ما قص الله تعالى في كتابه، وخر داود عليه السلام ساجداً، فغفر الله له، وتاب عليه.^١

- والحقيقة أن الآيات لا تحتوي في طياتها دليل علي ما ذكر هؤلاء وغيرهم ممن استخدموا ما ورد في العهد القديم وألصقوه في تفسير تلك الآيات، فلم ينص الله تعالى على شيء مثل ذلك في كتابه، وليس هناك من الأحاديث المعتمدة ما دل على ذلك وإنما التفسير الصحيح للآية هو أن داود قد قام بتوزيع أهم الأعمال والمسئوليات على نفسه، وعلى رعياءه، وكان قد خصص كل يوم للقيام بعمل ما، فقام بتخصيص يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء وفصل الخصومات، ويوماً آخر لشئون نفسه وأهله، ويوماً آخر لوعظ بني إسرائيل ولكنه في اليوم الذي خصصه للعبادة بينما كان مشغلاً بعبادة ربه في محرابه، دخل عليه خصمان تسورا عليه من السور، ولم يدخل كلا منهما من المدخل المعتاد، فخاف منهما خوفاً شديداً لا يتناسب مع مكانته، ولا مع نبوته فالأنبياء دائماً متوكلين على الله حق التوكل، وواثقين من حفظه لهم، ولا تتعلق نفوسهم بمثل تلك الظنون باناس أبرياء، ومثل هذا الظن وإن لم يكن ذنباً في العادة، إلا أنه بالنسبة للأنبياء ظن سوء، كما لو أنهما جاءا ليقتلاه، أو يريداه به شرّاً، ولكن تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن، وأنهما خصمان جاءا يحتكمان

١ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، الدر المنثور في التفسير المأثور، ج ٥، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، الجيزة، ٢٠١١، ص ٣٠٠-٣٠٢

إليه، فلما قضى بينهما، وتبين له أنهما بريئان مما ظنه بهما تاب إلى الله وطلب منه المغفرة عما صدر منه^١.

المبحث الثاني: رد كبار المفسرين الإسلاميين ورأي الباحث

نظرا علي ما ورد من الكثير من المفسرين الذين قاموا بتفسير القصة التي وردت في القرآن الكريم على ما جاء بالعهد القديم وهو الأمر الذي لا يتوافق مع القصة القرآنية لا من قريب ولا من بعيد حيث تختلف كلتا القصتين التي وردت في العهد القديم والقرآن في الشكل والمضمون ولذلك كان من الضروري ذكر آراء كبار المفسرين حول ما صرح له هؤلاء الذين تأثروا بما ورد في الإسرائيليات مع توضيح الباحث لرأيه حول ذلك وبذلك سيتم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين الأول منهما سيهتم برد كبار المفسرين الإسلاميين على هؤلاء والثاني يبين رأي الباحث حول القصة.

المطلب الأول: رد كبار المفسرين الإسلاميين

اختلفت آراء وأقوال المفسرين حول تلك القصة لكن كان لكبار المفسرين الإسلاميين رأي آخر يخالف هؤلاء الذين تم ذكرهم أنهم قد تأثروا بما ورد عن اليهود أو من العهد القديم^٢، وسوف يقوم هؤلاء المفسرين بالرد على هؤلاء وفقا لما يلي:

وفقا لمكانة هؤلاء المفسرين الذين جاءوا بهذه القصة وألصقوها بتفسير ما ورد عن داوود في القرآن

١ محمد طاهر، خبر العهد القديم ونبأ القرآن الكريم، رسالة مقدمة لاستكمال درجة الماجستير في التفسير والحديث بقسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية بالرياض، جامعة الملك سعود، ٢٢٦، ١٩٩٩

٢ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٤، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣١.

أولاً: الثعلبي

قال بن كثير عن الثعلبي أنه كان فيه الكثير من الخير والدين، لكنه كان يقوم بنقل ما يجده في كتب التفسير سواء أكان ذلك صحيحاً أو ضعيفاً أو موضوعياً ليس ذلك فقط وإنما صار تلاميذه على خطاه في ذلك^١، ولكن هناك القليل من أمثال الواحدي كان أبلغ منه في اللغة العربية وتميز بسلامة الإبداع وفصاحة اللسان مما أدى إلى وجود فوائد كبيرة في تفاسيره ذلك لأنها أهملت كل ما هو منقول وباطل وغير ذلك من الأباطيل خلاف للثعلبي الذي كان لا يملك أدواته فكان رجالاً قليل البراعة في الحديث بل وكان لا يستطيع التميز بين الحديث الموضوع القوي من الحديث الغير موضوع الضعيف وقد أتضح ذلك عليه في روايته للعديد من التفاسير لأحاديث موضوعة على علي وأهل البيت^٢.

ثانياً: مقاتل بن سليمان

أفرط مقاتل في قول العديد من الأشياء التي ليس لها أساس من الصحة حتى أنه ورد عليه في موقف ما يدل على كذبة ألا وهو أنه قال إن لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أنني كذاب، وقد ورد عن الكثير من كبار المفسرين النهي على الآخذ بكلامه حيث قال ابن المبارك عن تفسيره (ما أحسنه من تفسير لو كان فيه "حدثنا"). ثم قال (يا له من علم لو كان له إسناد)^٣ كما قال البخاري في مقاتل أنه لا شيء

١ نفس المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠.

٢ محمد طاهر، خير العهد القديم ونبأ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٣٣

٣ عبد الله بن المبارك المروزي، مقدمة كتاب الزهد والرقائق، ط ١، دار المعراج الدولية،

الرياض، ١٩٩٥، ص ٨٤.

البتة^١، كما قال يحيى بن معين عنه أن حديثه ليس بشيء^٢، كما قال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أن مقاتل كان دجالا عظيما، كما قال محمد بن حبان عنه أنه كان يأخذ من اليهود والنصارى ويلصقه بالقرآن وكان ذلك في المواقف والقصص التي تتوافق مع كتبهم^٣، عوضا على أنه كان يشبه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب في الحديث، كما قال أبو معاذ الفضل بن خالد المروزي أنه قال عنه وهو لم يحل قتل أي إنسان قط حتى ولو كان يهوديا إلا أنه من كثرة كذب مقاتل وتلفيقاته في الكتاب والسنة أنه لو وجد مقاتل بن سليمان في خلوة لشق بطنه، كما قال محمد بن حسين الذهبي في تعليقه على آراء العلماء أنه لما يري في روايات مقاتل بن سليمان إلا أنها خرافات، حيث يقوم بترويج الإسرائيليات عن طريق الأخذ من اليهود والنصارى وإصاقه بتفسير القرآن، ومما سبق ثبت عن مقاتل أنه كذاب وضعيع هو وكل ما ينسب إليه من روايات في التفسير والحديث.

ثالثاً: ابن جرير الطبري

لم يرد عنه أي تعقيب يخص تلك الروايات، ولم يوضح ما بها من إسرائيليّات، ذلك لكونه يرى أنه متى جاءت الرواية بالإسناد فقد

١ الواحدي، النيسابوري، التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، ج ١، ص ١٦١

٢ الرازي ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى،

١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م، ج ٨، ص ٣٥٥.

٣ الحافظ جمال الدين أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مج ١٠، دار

الكتب العلمية، دمشق، ٢٠٠٠، ص ٢٨٤.

برئ من عهدها^١ وأسند أمرها إلى النظر في السند على قاعدة من أسند لك فقد أحالك .

وقد ورد عن الكثير من الأقاويل تخص مكانة الطبري ومنهم محمد بن حسين الذهبي الذي قال عنه أنه التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها إلا أنه في الكثير من الأحيان لا يقوم بالتعقيب على تلك الأحاديث سواء كان صحيحة أو ضعيفة، لأنه كان يرى أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة. أما عن ابن كثير فقال عن رواية الطبري في تفسير قصة داود أن ما رواه ضعيف ولا يجوز الأخذ به وذلك لأن تلك القصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات^٢.

رابعاً: السدي

هو محمد بن مروان السدي الكوفي الصغير وهو المفسر صاحب الكلبي والذي قال عنه شمس الدين الذهبي إنه كان متهم بالكذب عند المحدثين، وقال البخاري عنه أن المحدثين لم يهتموا لأمره ولا يعتد بحديثه مطلقاً^٣، أما يحيى بن معين فقال عنه أنه ليس بأهل ثقة، وقال أحمد بن حنبل عنه أنه عاصره ولكن كان كبيراً في ذلك الوقت لا يدرك ما يقول ولذلك قام بتركه ولم يأخذ عنه^٤.

خامساً: وهب بن منبه

١ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، مج ٦، دار الكتب العلمية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٨٧.

٢ محمد بن محمد أبو شهبه، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مرجع سابق، ص ٨٩.

٣ الحافظ جمال الدين أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

٤ الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط ٣، ج ٥، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

كان أصله يهوديا من اليمن ثم أسلم، وكان يتحدث عن الكثير مما ورد في الإسرائيليات التي كانت شائعة بين اليهود، ولذلك نقلها المسلمون عنه، ولكن اختلف المحدثون في روايته، فوثقها بعضهم وتركها البعض الآخر وذلك لاختلاطها بالروايات الإسرائيلية ولذلك لا يمكن الوثوق في روايته عن قصة داوود^١.

- رد كبار المفسرين على هؤلاء عن طريق تفسير النص

القرآني

وفقا لما جاء في الإسرائيليات والخلط بينها وبين ما جاء في القرآن الكريم كانت النتيجة أن أتصف نبي الله داوود بعدة صفات لا تصح أن يتم وصفه بها ومنها تهجمه على امرأة أجنبية، وانتهاكه لحرمة الجوار، الغدر بزوج تلك المرأة، بالإضافة إلى تدبير المكيدة لقتله، والخضوع لشهوته الجنسية ولذلك قد جاءت آراء كبار المفسرين الإسلاميين للرد على تلك الاتهامات.

رأي فخر الدين الرازي

أن خلاصة ما ورد عن كل من بن أبي شيبه و بن أبي حاتم أن داوود عشق امرأة أوريا، فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها فأرسل الله إليه ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة شبيهة بواقعته، وعرضا تلك الواقعة عليه، فحكم داوود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنباً، ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة، ثم استدل على

١ محمد طاهر، خبر العهد القديم ونبا القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٣٥

بطلان القصة في نقده لتلك الأقاويل التي أدين بها داوود والتي قال عنها الرازي أنها باطل ويستدل على ذلك في عدة وجوه منها^١ :

الوجه الأول

هذه القصة لو تم أنسابها إلى أكثر الناس فسوقا ووأكثرهم إرتكابا للذنوب لأعرض عنها أما الرجل الكاذب الخبيث الذي يؤيد هذه القصة لو تم إنتساب هذا الفعل إليه لنزه في ذاته والأكثر من ذلك أنه يمكن أن يقوم بدم من سينسبها إليه، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه^٢ .

الوجه الثاني

أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته؛ فأما الأمر الأول : فأمر منكر لقوله تعالى : (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله)^٣ .

الأمر الثاني: فمنكر عظيم قال ﷺ: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"^٤ وإن أوريا لم يسلم من داوود لا في روحه ولا في منكوحه^٥ .

١ محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مرجع سابق، ص ٩٠-٩٥
٢ ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، مج ١٦، دار الكتب العلمية، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٣٩٩

٣ سورة النساء، الآية ٩٢

٤ أبو بكر كافي، البخاري في صحيحه، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠١، ص ٢٠٠

٥ ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، ص ٣٩٩

الوجه الثالث

وصف تعالى داوود عليه السلام قبل وبعد ذكر هذه القصة بصفات كثيرة، وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح.

أولاً: الصفات التي ذكرت قبل القصة

- الأولى: أنه تعالى أمر محمداً ﷺ بأن يقتدي بـداوود في المصابرة مع المكابدة، ولو قيل إن داوود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في إراقة دم أمريئ مسلم لغرض شهوته فكيف يليق بأحكام الحاكمين أن يأمر محمداً أفضل الرسل بأن يقتدي بـداوود في الصبر على طاعة الله^١.

- الثانية: أنه وصفه بكونه عبداً له، والمقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً في موقف العبودية تاماً في القيام بأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات، ولو قيل إن داوود عليه السلام اشتغل بتلك الأعمال الباطلة، فحينئذٍ ما كان داوود كاملاً في عبوديته لله تعالى بل كان كاملاً في طاعة الهوى والشهوة^٢.

١ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، مج ٢٦، ج ١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٦٥

٢ محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم، التسهيل لعلوم التنزيل، مج ٣، دار الكتب العلمية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٨١.

- الثالثة: قوله (ذَا الْآيُودِ) ١ أي ذا القوة، ولا شك أن المراد منه القوة في الدين، لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار، ولا معنى للقوة في الدين إلا القوة الكاملة على أداء الواجبات، والاجتناب عن المحظورات، وأي قوة لمن لم يملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجة المسلم.

- الرابعة: كونه أواباً كثير الرجوع إلى الله تعالى، وكيف يليق هذا بمن يكون قلبه مشغولاً بالقتل والفجور.

- الخامسة: قوله تعالى (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ) ٢ فهل سخرت له الجبال ليتخذها وسيلة إلى القتل والفجور؟

- السادسة: قوله (وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً) ٣، وقيل إنه كان محرماً عليه صيد شيء من الطير وكيف يعقل أن يكون الطير آمناً منه ولا ينجو منه الرجل المسلم على روحه ومنكوحته؟

- السابعة: قوله: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) ٤ ومحال أن يكون المراد أنه تعالى شدد ملكه بأسباب الدنيا، بل المراد أنه تعالى شدد ملكه بما يقوي الدين وأسباب سعادة الآخرة، والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك؟

- الثامنة: قوله تعالى (وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) ٥ والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علماً وعملاً، فكيف

١ سورة ص، الآية ١٧

٢ سورة ص، الآية ١٨

٣ سورة ص، الآية ١٩

٤ سورة ص، الآية ١٨

٥ سورة ص، الآية ٢٠

يجوز أن يقول الله تعالى (ءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) مع إصراره على ما يستنكف عنه الخبيث الشيطان من مزاحمة أخلص أصحابه في الروح والمنكوح^١.

ثانيا: الصفات التي ذكرت بعد ذكر القصة

وهي تسع صفات:

الأولى : قوله تعالى : (وإنا له عندنا لزلفى وحسن مآب)^٢ وذكر هذا الكلام إنما يناسب لو دلت القصة المتقدمة على قوته في الطاعة، أما لو كانت القصة المتقدمة دالة على سعيه في القتل والفجور لم يكن قوله: (وإنا له عندنا لزلفى)^٣ لائقا به.

الثانية : قوله : " يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض " وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه : أن الملك الكبير إذا حكى عن بعض عبيده أنه قصد دماء الناس وأموالهم و أزواجهم فبعد فراغه من شرح القصة على ملا من الناس يقبح منه أن يقول عقب هذا الكلام : أيها العبد إني فوضت إليك خلافتي ونيابتي، وذلك لأن ذكر تلك القبائح والأفعال المنكرة يناسبها الزجر والحجر، فلما جعله نائبا وخليفة لنفسه، فذلك البتة مما لا يليق . . أنه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم عقيب الوصف يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف، فلما حكى الله عنه تلك الواقعة القبيحة، ثم قال بعده: " إنا

١ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي،

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، مرجع سابق، ص ٦٧٤

٢ سورة ص، الآية ٢٥.

٣ سورة ص، الآية ٤٠.

٤ سورة ص، الآية ٢٦.

جعلناك خليفة في الأرض " أشعر هذا بأن الموجب لتفويض هذه الخلافة هو إتيانه بتلك الأفعال المنكرة، ومعلوم أن هذا فاسد، أما لو ذكر تلك القصة على وجه يدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب وعلى شدة مصابرتة على طاعة الله فحينئذ يناسبه أن يذكر عقبيه " إنا جعلناك خليفة في الأرض " فثبت أن هذا الذي نختاره أولى

الثالثة : أنه لما كانت مقدمة الآية دالة على مدح داوود وتعظيمه، ومؤخرتها دالة أيضا على ذلك فلو كانت الواسطة دالة على القبائح والمعان، لجرى مجرى أن يقال : فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة في طاعة الله، يقتل ويزني ويسرق وقد جعله الله خليفة في أرضه وصوب أحكامه، وكما أن هذا الكلام مما لا يليق بالعاقل، فكذا ها هنا، ومن المعلوم أن ذكر العشق والسعي في القتل من أعظم العيوب^١ .

الرابعة: أن القائلين بهذا القول ذكروا في هذه الرواية أن داوود تمنى أن يحصل له في الدين كما حصل للأنبياء المتقدمين من المنازل العالية، مثل ما حصل للخليل من الإلقاء في النار، وحصل للذبيح من الذبح، وحصل ليعقوب من الشدائد الموجبة لكثرة الثواب، فأوحى الله إليهم أنهم إنما وجدوا تلك الدرجات لأنهم لما ابتلوا صبروا فعند ذلك سال داوود عن الابتلاء، فأوحى الله إليه أنك ستبتلى في يوم كذا فبالغ في الاحتراز، ثم وقعت الواقعة، فنقول : أول حكايتهم تدل على أن الله يبتليه بالبلاء الذي يزيد في منقبته ويكمل مراتب إخلاصه فالسعي في

١ أبو يعلى البيضاوي، تفسير البيضاوي، مج ٥، دار الرسالة، بيروت، ٢٠١٢، ص ٤١.

قتل النفس بغير الحق و الإفراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة،
ويثبت أن الحكاية التي ذكروها يناقض اولها آخرها^١.

الخامسة: إن داوود قال: " وإن كثيرا من الخلقاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا " استثنى الذين آمنوا عن البغي فلو قلنا إنه كان موصوفا بالبغي الزم أن يقال: إنه حكم بعدم الإيمان على نفسه وذلك باطل.

السادسة: إن الله مدح داوود وغيره من الأنبياء، فقال: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ومن مدح بمثل هذا المدح العظيم لم يجز لنا أن نبالغ في الطعن فيه.

السابعة: أن ذكر هذه القصة محرم وذلك لقوله تعالى : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)^٢

الثامنة : روي سعيد بن المسيب عن علي عليه السلام قال : " من حدثكم بحديث داوود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين " وهو حد الفرية على الأنبياء^٣.

التاسعة: روي أن بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب الله فقال : لا ينبغي أن يزداد عليها، وإن كانت الواقعة على ما ذكر ثم إنه تعالى لم يذكرها لأجل أن يستر تلك الواقعة على داوود، فلا يجوز

١ أبو بكر بن العربي المالكي، أحكام القرآن لابن العربي، مج ٤، دار الكتب العلمية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٥٢.

٢ سورة النور، الآية ١٩.

٣ د. محمد أبو النور الحديدي، عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

للعاقل أن يسعى في هتك ذلك الستر بعد ألف سنة أو أقل أو أكثر^١،
فقال عمر بن عبد العزيز: "سماعي هذا الكلام أحب إلى مما طلعت
عليه الشمس، فثبت بهذه الوجوه أن القصة التي ذكروها باطلة^٢ .

١ أبو محمد النيسابوري، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مج ٥، دار الكتب العلمية،
القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٥٩١.

٢ محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مرجع سابق، ص ٩٠-٩٥

رأي البيضاوي

قال البيضاوي عن ذلك أن ما قيل عن داوود إنه أرسل أوريا إلى الجهاد مرارا وأمر أن يقدم حتى قتل فتزوج امرأته، زوراً وافتراء^١.

رأي النسفي

ما قيل إنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزو البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوج امرأته، فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الأنبياء^٢.

رأي الخازن

فقد أورد الروايات ثم أتبعها بفصل يقول فيه أن داوود يتصف بالتزاهة عما لا يليق به وما ينسب إليه. ثم قال اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وأمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه، لا يليق أن ينسب إليه ما لو تسب إلى أحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض اعلام الأنبياء والصفوة الأمناء ذلك^٣.

رأي أبي حيان

ويعلم قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام - معصومون من الخطايا، لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة، إنا لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك

١ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، ج ٥، ص ٢٧

٢ النسفي (المتوفى: ٧١٠ هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ٣، ص ١٥٠

٣ الخازن (المتوفى: ٧٤١ هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، ج ٤، ص ٣٦.

بطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم كما
حكى الله في كتابه يمر على ما أراده الله، وما حكى القصص مما فيه
غض من منصب النبوة طرحناه^١.

رأي أبي السعود

أن ما ذكر عن داوود أنه تزوج امرأة أوريا فهو إفك مبتدع
مكروه، وتنفر عنه الطباع، ويل لمن ابتدعه وأشاعه، وتبا لمن اخترعه
وأذاعه^٢.

المطلب الثاني: رأي الباحث

لقد خلت الآيات القرآنية من التفاصيل التي تم ذكرها في العهد
القديم وقام بعض المفسرين بذكرها غير أن داوود قد أدرك امتحان
الله له فاستغفر ربه وخر راكعاً وأتاب فغفر الله له، كما تم ذكر القصة
في السياق القرآني، والتي لا نرى فيها أي أثراً للصراعات السياسية أو
المؤامرات العائلية أو القتل غدراً كما تم ذكرها في قصة العهد القديم،
كما فاضت بذلك كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بالإضافة إلى
ذلك قام بعض علماء المسلمين بتأويل تلك القصة في تفسيراتهم، بما
تم ذكره في العهد القديم بأن ناثان هو الذي ضرب المثل لداوود، وعلى
هذا يحتمل أن يكون ذلك وقع فعلاً أو هو مجرد ضرب من الخيال،
وهذا القول باطل مخالف صراحة القرآن حيث ذكرت الآيات القرآنية
بأن الله اختبر داوود، وأن المتخاصمين قد أتوا إلى داوود ودخلوا عليه
المحراب.

١ أبو حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر - بيروت،
الطبعة: ١٤٢٠هـ، ج ٩، ص ١٥١.

٢ محمد طاهر، خبر العهد القديم ونبأ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٣٥

كما أن الدخول في دم أوريا أعظم من التزوج بامرأته فكيف لنا أن نهمل عقوبة الذنب الأكبر وهو القتل ونستهين بعقوبته في الأديان السماوية سواء كان القرآن أو العهد القديم ونتمحور فقط حول ذنب دونه، ولا ينبغي أن يكون تكفير داوود لتلك الكبيرتين هو ما تم ذكره في القرآن بأنه استغفر ربه وخر راکعاً وأناب، وهذا كيف يكون لتلك العلماء الذين خلطوا بين القصة في العهد القديم والقرآن بأن يوضحوا عقوبة القتل والزنا في الإسلام، وتأويلهم بأن داوود قد اكتفى بالاستغفار والسجود، وهذا التناقض يؤكد بعدم الخلط بين القصتين. هذا لا ينبغي أن نسلم به، الاستغفار فعل خير كما ثبت عن النبي - صل الله عليه وسلم قوله (إني لأستغفر في اليوم مائة مرة)، وهذا استغفار حمد وشكر، وأما قوله تعالى عن داوود (وظن داوود أنما فتناه) وقوله (فغفرنا له ذلك) فقد ظن داوود أن تكون الفتنة التي حلت به هي نتيجة سعة الملك العظيم

ومما يدل أيضا على افتراء تلك القصة التوراتية على داوود أيضا هو اعتراف بعض اليهود الذين أسلموا بأن هذه القصة مكذوبة، وهذا ما صرح به البقاعي بأن أحد من الذين أسلموا أخبره بأن اليهود يعتمدون على تلك القصة ليجدوا سبيلاً إلى الطعن في عيسى عليه السلام لأنه من ذرية داوود في حق داوود لأن عيسى من ذريته، ويتسلسل النسب يكون عيسى عليه السلام ابن زنا عند اليهود.

الخاتمة

يتضح مما سبق ذكره وهو عن طريق المقارنة الفعالة بين كلا من قصتي داوود التي وردت في العهد القديم وبين القصة التي وردت في القرآن الكريم أن القصة التي وردت في العهد القديم ليس لها أساس من الصحة مما يدل علي ضعف حجية المصادر اليهودية ذاتها وقوة

وثبوت المصادر القرآنية التي كانت وستظل نصاً قاطعاً لا يمكن الشك فيه بأي شكل من الأشكال، بالإضافة إلى ذلك يمكن القول أن العهد القديم جاء بالعديد من الافتراضات والتناقضات التي ليس لها محل من الصحة، وأن قصة داوود التي جاء بها العديد من المفسرين الذين تأثروا بالعهد القديم وما به من مغالطات ليس بها ما يدل على صحة القصة، ولكن على الرغم من ذلك يمكن القول أن باقي النصوص التي لم يتدخل فيها اليهود بالتحريف صحيحة ليس بها شك وذلك من طريق الدراسة والتمحيص في باقي النصوص، وأن هناك اتفاق قليل جداً بين ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبين العهد القديم في القليل من الصفات الصحيحة التي جاء بها العهد القديم عن داوود وهي جمال صوته، بأسه الشديد، صناعته للدروع، وملكه الواسع .

النتائج

- وجود الإسرائيليات بوضوح في كتب التفسير الإسلامية.
- وجود إساءة شديدة إلى الأنبياء في تلك الإسرائيليات تتعارض بشده مع درجة النبل والتقدير والاحترام التي تعامل بها الإسلام مع الأنبياء.
- هناك خطورة كبيرة من الإسرائيليات على الدين الإسلامي حيث تعد سبب واضح في نشر الأباطيل والادعاءات على الإسلام وأنبياءه.
- لا يمكن الشك بأي شكل من الأشكال فيما ورد في القرآن الكريم بسبب ثبوت حججه.
- كل تلك الصفات التي ألصقها اليهود بـداوود تدل على عدم اعترافهم بنبوته.
- كراهية اليهود الشديد للنصارى وللنبي عيسى ابن مريم.
- افتراءات العهد القديم عبارة عن أكاذيب لا تتفق فيما بينها.
- قصة داوود في القرآن الكريم تدل على نبل النبوة وسلامة نص القرآن الكريم على خلاف ما اشتمله العهد القديم في نصوصه.
- احتواء قصة داوود على العديد من الفوائد والصفات النبيلة التي أتصف بها داوود مما يدل على حسنه وأخلاقه والتي وصف بها الله نبيه محمد بمثل تلك الصفات مما يدل على عظمة مكانة داوود.

التوصيات

- ضرورة تعامل أقسام اللغة العبرية واللغات الشرقية في الكليات والجامعات المختلفة في دول الوطن العربي مع تلك الإسرائيلية لما لها من قدرة على الوصول لتلك الإسرائيلية بسهولة لمعرفة اللغة والديانة اليهودية.
- ضرورة التعاون بين أقسام اللغة العربية والعبرية على حد سواء مع أقسام الكليات الإسلامية في دراسة تلك الإسرائيلية بل والرد عليها.
- عدم الخلط بين ما ورد في القرآن الكريم والعهد القديم لوجود الاختلاف الواضح بينهم.
- التعمق الدراسي والمعرفي فيما يخص الديانات السماوية لمعرفة الصواب والخطأ لوضع حد لتلك الأكاذيب والرد عليها باستخدام الحجج والبراهين السليمة في ذلك.
- التمييز بين كبار المفسرين الإسلاميين وبين المفسرين ضعاف الحجة الذين لا يؤخذ عنهم بأي شكل من الأشكال.

الإجهاض في الأديان السماوية

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم، نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، القائل: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ...))^(١).

أما بعد:

فإن (إجهاض الجنين) من الموضوعات الهامة التي كثر فيها الكلام وتشعب فيها الخلاف، خاصة في زماننا؛ ولعل هذا يعود إلى الزيادة الهائلة في أعداد عمليات الإجهاض التي تحصل في عامة البلدان. وذلك بسبب البعد عن شريعة الله تعالى التي أنزلها على لسان رسوله عليهم السلام، أو لأسباب اقتصادية ربما، وفي بعض الأحيان يعود الأمر إلى القانون الخاص بدولة معينة دون أخرى.

وإن للإجهاض أنواعاً كثيرة، وأسباباً مختلفة، ولكل منها حكم يختلف عن الآخر، ونحن في بحثنا هذا، حاولنا تسليط الضوء على ما جاءت به الأديان الثلاث - اليهودية والنصرانية والإسلام - فيما يخص الإجهاض، فقمنا بدراسة حكم الإجهاض دراسة مقارنة في الإسلام واليهودية والنصرانية، وبعد جمع المادة العلمية تم تقسيم البحث على ثلاثة مباحث، وكل منهما على مطالب، وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الإجهاض، وبيان أنواعه وأسبابه، واشتمل

على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الإجهاض في اللغة والاصطلاح

(١) صحيح مسلم، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه برقم (٢٦٤٣): ٤/٢٠٣٦.

المطلب الثاني: أنواع الإجهاض وأسبابه
وأما المبحث الثاني: فكان في حكم الإجهاض عند أهل الكتاب،
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإجهاض في الديانة اليهودية.
المطلب الثاني: الإجهاض في الديانة النصرانية.
وأما المبحث الثالث: فكان في موقف الشريعة الإسلامية من
الإجهاض، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حكم الإجهاض قبل نفخ الروح.
المطلب الثاني: حكم الإجهاض بعد نفخ الروح.
ثم تأتي بعد هذا كله، الخاتمة وفيها عرضت أهم النتائج التي
توصلنا إليها، ثم تلها قائمة بأهم المصادر القديمة والمراجع الحديثة
التي تم اعتمادها في البحث.

ولا ادعي الكمال اني احطت بالموضوع من كل جوانبه لكني
بذلت وسعي فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ
فمن نفسي والشيطان، سائلا العلي القدير أن يجعل عملنا خالصا
لوجهه الكريم، وان يرزقنا نعمة الأمان في بلدنا هذا، وصلى الله على
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: مفهوم الإجهاض، وبيان أنواعه وأسبابه

المطلب الأول: مفهوم الإجهاض

أولاً: الإجهاض في اللغة:

قال ابن فارس: الجيم والهاء والضاد أصل واحد، وهو زوال الشيء عن مكانه بسرعة. يقال أجهضنا فلاناً عن الشيء، إذا نحيناه عنه وغلبناه عليه. وأجهضت الناقة إذا ألفت ولدها، فهي مجهض^(١).
ويطلق الإجهاض على: إلقاء الحمل ناقص الخلق، أو ناقص المدة، سواء من المرأة أو غيرها، والإطلاق اللغوي يصدق سواء كان الإلقاء بفعل فاعل أم تلقائياً. قال ابن منظور: "أجهضت الناقة إجهاضاً وهي مجهض: ألفت ولدها لغير تمام والجمع مجاهيض^(٢)".
وقال الفيروزآبادي: "الولد السقط أو ما تم خلقه ونفخ فيه روحه من غير أن يعيش... وجهضه عن الأمر كمنع وأجهضه عليه: غلبه ونحاه عنه. وأجهض: أعجل^(٣)".

ثانياً: الإجهاض في الاصطلاح الفقهي

أما الإجهاض في الاصطلاح الفقهي فهو لا يختلف عن المعنى اللغوي كثيراً، فهو عبارة إسقاط المرأة جنينها بفعل منها أو من غيرها. وهذا المعنى هو الشائع ذكره عند العلماء السابقين واللاحقين.^(٤)

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ٤٨٩.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٣١/٧ مادة (ج ه ض).

(٣) ينظر: القاموس المحيط: ١/ ٨٢٤ وينظر: تاج العروس: ٣٠٣٧، والمصباح المنير: ١١٣/١ مادة (ج ه ض).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٨٥٢/١، غريب الحديث: ١١٣/١، التعريفات للمناوي: ٣٨/١.

والجنين: ما تحمله المرأة الحامل في رحمها، فإن خرج حيا كان ولدا وان خرج ميتا كان سقطا.^(١)

ثالثا: الإجهاض عند علماء الطب

الإجهاض هو: خروج الجنين من الرحم قبل اكتمال نموه في وقت لا يستطيع العيش فيه خارج الرحم، أي: قبل بداية الشهر السادس، أو قبل (٢١) واحد وعشرين أسبوعاً من بدء الحمل، لكنه غالباً ما يحدث تلقائياً خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل وفي الموعد المتوقع للدورة، كما أنه من الممكن أن يحدث بعد أسبوع أو أسبوعين من انقطاع الدورة، وهو ما يعرف بالإجهاض المبكر.^(٢)

المطلب الثاني: أنواع الإجهاض وأسبابه

إنَّ للإجهاض أنواعاً كثيرة وأشكالاً متعددة، تبعاً لأعراضه وأسبابه، ولكن يمكن القول ان هنالك نوعين رئيسيين: أولهما: الإجهاض التلقائي:

وهو: خروج الجنين من الرحم بسبب الصدمات العرضية، أو لأسباب طبيعية ويحدث عادة قبل الأسبوع الثاني والعشرين من الحمل، ولتوضيح الأمر أكثر، يجدر بنا تعداد أسبابه والتي تتلخص في الآتي:

١- خلل في البويضة الملقحة: وهو من أهم أسباب الإجهاض التلقائي ويشكل نسبة ٦٠ - ٧٠ % وبفحص هذه الأجنة وجد أن ثلثها به خلل في الصبغيات وأن من رحمة الله تعالى أن يسقط هذا الجنين، فلو

(١) ينظر: إجهاض الحمل وما يترتب عليه في الشريعة الإسلامية: ص ١٥.

(٢) الإجهاض (مقالة) الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنت) موقع: بيوتنا بوابة الأسرة، بتاريخ ١٥/يوليو/٢٠٠٨ م (<http://byotna.kenanaonline.com>).

عاش لخرج مشوه الخلقة ويعاني من أمراض خلقية لا حصر لها ستتعب والديه مادياً ونفسياً ثم لا يمكنه العيش بعدها...^(١)

٢- خلل في جهاز المرأة التناسلي: نتيجة لأمراض في الرحم مثل عيوب الرحم الخلقية ومثل الأورام الحميدة وانقلاب الرحم وأمراض عنق الرحم نتيجة لتمزقات عنق الرحم وأغلبها بسبب ولادة عسرة سابقة.

٣- أمراض عامة في الأم: مثل داء البول السكري وأمراض الكلى المزمنة والزهري وأمراض الغدة الدرقية بزيادة إفرازها أو نقصانه وارتفاع شديد في ضغط الدم وبعض الحميات الشديدة والإصابة بفيروس الحصبة الألمانية.

٤- إصابة الأم: بضرب أو حادثة أو سقوط من مكان عالي وتعتبر هذه الأسباب في مجموعها قليلة التأثير على الرحم الطبيعي إلا في حالات نادرة.

٥- الأدوية والعقاقير: منها الرصاص والمواد التي تعطى لعلاج السرطان وقد وجد أن التدخين والكحول تسبب المزيد من حالات الإجهاض وتشوه الأجنة.^(٢)

ثانئهما: الإجهاض المتعمد، وهو نوعان:

١. الإجهاض العلاجي:

وهو إجهاض يلجأ إليه الطبيب للحفاظ على حياة الأم عندما تصاب بحالات مرضيه محدودة ومعروف استحالة علاجها مع استمرار

(١) الإجهاض طبياً وشرعياً (مقال) الشبكة العنكبوتية العالمية، موقع الطبيب المسلم، ٢٠٠٩ (http://www.muslimdoctor.org).

(٢) تعريف الإجهاض أسبابه وأنواعه (مقال) الشبكة العنكبوتية العالمية، منتديات مخمليات، بتاريخ ٢١/٤/٢٠١٠ (http://www.mbc66.com/v/t93960.html).

الحمل، وقد تؤدي الى وفاة الأم لو استمر حملها، وهنا يجب من التنبه الى نقطة خطيرة ومهمة وهي: أن الحالات المرضية المعنية أصبحت قليلة جدا، ففي السنوات الماضية تطور الطب العلاجي واصبح بالإمكان علاج كثير من الأمراض المستعصية والتي كانت تؤدي إلى الوفاة، مثال على ذلك إصابة المرأة الحامل بداء القلب، وكانت أمراض القلب من أسباب وفيات الأمهات وبتقدم العلم والطب اصبح بالإمكان إجراء بعض التداخلات الجراحية أثناء فترة الحمل مثل جراحات القلب المفتوح وتوسيع الصمامات الا أن هناك حالات معينة يصعب علاجها ومعروف أنها تحمل معدل وفيات عالي بين الأمهات^(١).

الأسباب التي قد تمنع استمرار الحمل:

- ١- ارتفاع ضغط الدم عن المعدل ارتفاعا ملموسا يصل حده الأقصى إلى ٢٠٠، والأدنى إلى ١٢٠.
 - ٢- أمراض القلب وصماماته بدرجة متقدمة.
 - ٣- قصور الكليتين.
 - ٤- تسمم الحمل بدرجة متقدمة قد يهدد حياة الحامل للخطر.
 - ٥- الأمراض العقلية والوراثية.
 - ٦- عدوى جرثومية مؤكدة تؤثر على تكوين الجنين.
 ٢. الإجهاض الجنائي (المفتعل):
- هو الإجهاض السري، غير الشرعي، الذي تقوم به الحامل بنفسها، أو تجريه قابلات غير قانونيات أو مشعوذات في ظروف همجية لمنع استمرار حمل سفاح في أغلب الأحيان، أو أي حمل آخر.

(١) الإجهاض طبيا وشرعيا (مقال) الشبكة العنكبوتية العالمية، موقع الطبيب المسلم،

٢٠٠٩ (<http://www.muslimdoctor.org>).

ويتم الإجهاض المعتمد، من قبل المرأة، بتناول العقاقير أو المواد السامة، أو بإدخال جسم غريب في عنق الرحم كالعود الخشبي أو إبرة طويلة، أو سلك أو صنار، أو أية آلة طبية حادة، وكل هذه الطرق تسبب مضاعفات قد تشكل خطراً على صحة المرأة كالأنزفة الصاعقة، وثقب جدار الرحم، وتلوث محتويات الرحم، وتمزق عنق الرحم، وأخيراً التهابات الرحم الحادة وانتقال الالتهاب إلى الحوض والبطن مما يستدعي أحياناً إجراء عملية جراحية باطنية عاجلة لإزالة عواقب الالتهاب.

وغالباً ما تحتاج بعض حالات الإجهاض المعتمد أو المفضل إلى إتمام الإجهاض بالجراحة بعد استفحال الأمر، وحصول النزف أو الالتهاب، مع ما يرافق ذلك من مضاعفات خطيرة قد تؤدي إلى وفاة المرأة في نسبة كبيرة من هذه الحالات.

وقد تلجأ السيدات أيضاً إلى إحداث إصابة مباشرة للبطن، مثل التدليك العنيف أو الضرب، أو القفز على البطن، أو وضع أشياء ثقيلة على البطن.^(١)

المبحث الثاني: حكم الإجهاض عند أهل الكتاب

المطلب الأول: الإجهاض في اليهودية

الديانتان - اليهودية والنصرانية - بأصل وضعهما تحرمان وتحاربان جريمة القتل بشقي أنواعه وأسبابه، وجريمة الإجهاض داخلة ضمناً في هذا التحريم، فهي إزهاق نفس بشرية، إلا أن المتابع للكتاب المقدس لا يكاد يجد نصاً صريحاً على تحريم الإجهاض، وهذه الثغرة هي

(١) ينظر: الحمل والولادة (مقال) الشبكة العنكبوتية العالمية، موقعك من كنانة، ٢٠٠٦

(<http://www.kenanaonline.net>).

التي استغلها بعض المشرعين ورجال القانون في إباحة هذه الجريمة في بعض البلدان، إلا أن رجال الدين – اليهود والنصارى – يحاربون هذه الجريمة ولا يبيحونها على الأغلب.

واليهود – كما وصفهم القرآن الكريم – أحرصُ الناس على الحياة الدنيا، فهم يحاولون التشبث بالدنيا بكل الوسائل الممكنة، وبعد الاطلاع على مصادر الديانة اليهودية – القليلة – تبين أنهم يبيحون الإجهاض في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل، ويحرمونه بعد ذلك.^(١)

المطلب الثاني: الإجهاض في المسيحية

المذاهب المسيحية المعاصرة الكبرى: اثنان: الكاثوليك، والأرثوذكس، وبينهم خلافات في بعض التعاليم والتشريعات، والأمور العقائدية، لذلك نرى لزوماً أن نبين حكم الإجهاض في هذين المذهبين كلٌّ على حدة، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: الإجهاض في الكنيسة الكاثوليكية

يتمتع الجنين بنفس عاقلة هي نفس الإنسان المخلوق على صورة الله،

وهو يتمتع أيضاً بكامل حقوق الحياة، لذا وجب احترام حياة الجنين لا سيما وأنه ضعيف، لا يستطيع أن يدافع عن نفسه. يقول المجمع الفاتيكاني الثاني بهذا الخصوص: "إن الله سيد الحياة، عهد إلى البشر

(١) الموسوعة العالمية (ويكيبيديا) الشبكة العنكبوتية العالمية (<http://ar.wikipedia.org>).

بخدمة الحياة الشريفة، فيجب المحافظة عليها منذ الحبل وبعناية قصوى، فالإجهاض وقتل الاجنة جرائم فظيعة".^(١)

وجاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكية: "إن للولد الحق في الحياة منذ الحبل به، والاجهاض المباشر، أي المقصود كفاية أو وسيلة هو (ممارسة خبيثة)، تتعارض بوجهٍ خطيرٍ مع الشريعة الطبيعية".^(٢)

يقول البابا يوحنا بولس في موقع من رسالته (إنجيل الحياة): "ليس ثمة شيء ولا أحد بإمكانه أن يُسوِّغ قتل كائن بشري بريء أنطفة كان أم جنيناً".^(٣)

ومن هنا فموقف الكنيسة من الاجهاض ثابت ومبدأها واضح، فالحياة الانسانية - سليمة كانت أم مشوهة - تبقى على صورة الله ومثاله، ولا يحق لأحد أن يتصرف بها وكأنه المصدر والغاية، وتناشد ابناءها تجنب الإجهاض؛ لأنه جريمة فظيعة.^(٤)

ولا توجد مقاطع معينة في الكتاب المقدس تتناول الإجهاض، ولكن يوجد تعاليم كتابية كثيرة توضح وجهة نظر الله في هذه المسألة، وفيما يلي بعض المراجع من الكتاب المقدس التي تتكلم عن الطفل (الجنين) واحترام كرامته الانسانية:

(١) ينظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، الكنيسة في عالم اليوم، فقرة ٥٠.

(٢) مجمع العقيدة والإيمان "رسالة تعليمية في حرمة الحياة البشرية الناشئة وكرامة الإنجاب، هبة الحياة (٢٢ شباط ١٩٨٧).

(٣) إنجيل الحياة - Evangelium vitae، إرشاد رسولي للبابا يوحنا بولس الثاني، إلى جميع أساقفة الكنيسة الكاثوليكية، الكهنة، الشمامسة، الأشخاص المكرسين وكل المؤمنين العلمانيين، في قيمة الحياة البشرية، طبعة الموسوعة العربية المسيحية، تؤمن بإله واحد: ص ٣١.

(٤) مجمع العقيدة والإيمان، تصرّح في القتل الرحيم (٥ أيار ١٩٨٠): ص ٢.

إن الوصية الخامسة "لا تقتل"^(١)، تبقى القيمة الاخلاقية الثابتة التي تبرزها الكنيسة لتذكر ابنائها أن الله هو سيد الكون وخالق الحياة، ولا يحق لأي أحد ان ينصب نفسه سيداً عليها. أما الآيات التي تشيد بقيمة الجنين ومكانته لدى الله سبحانه منها:

"رأيتني عيناك جنيناً وفي سفرك كتبت جميع الايام وصورت قبل ان توجد".^(٢)

" قبل ان أصورك في البطن عرفتك وقبل ان تخرج من الرحم قدستك وجعلتك نبياً للأمم".^(٣)

" وارتكض الجنين في بطنها".^(٤)

" أعطيت روحاً من الخالق وبه واليه تُسترجع".^(٥) نفهم منها أن الله البارئ نفسه جل وعلا هو الذي يفيضها وهو الذي يأخذها. "لأن الانسان مخلوق على صورة الله ومثاله".^(٦)

"لم تخف ذاتي عليك، مع أنني صنعت تحت حجاب ورقمت في أسافل الارض".^(٧)

(١) سفر التثنية ١٧: ٥.

(٢) سفر المزامير ١٦، ١٣٩.

(٣) سفر ارميا ١: ٤.

(٤) انجيل لوقا ١: ٤٠-٤٤.

(٥) أسفار حكمة ١٥: ١٧.

(٦) سفر التكوين ٩: ٥-٦.

(٧) سفر المزامير ١٣٩: ١٥.

وفيما يخص مسؤولية الاجهاض في نظر الكنيسة...

فلا شك أن المسؤول الأول على حياة الجنين هما الوالدان، فالجنين لا يستطيع الدفاع عن نفسه، لذا يجب على من تحمله ان تحميه لا أن تقتله. كما ويحمل البابا يوحنا بولس الثاني في رسالته " انجيل الحياة" المسؤولية على الآباء الذين غالبا ما يدفعون زوجاتهم الى الاجهاض. ويشارك في المسؤولية كل من يشجع وينصح بالإجهاض لأي سبب كان ومنهم الطاقم الطبي وعلى رأسه الطبيب المشرف على العملية والطبيب المخدر.^(١)

إن انحراف الطب عن هدفه الأساسي (الحق في الحياة) يقود الانسان إلى ارتكاب جرائم بشعة ومروعة.

ثم هنالك مسؤولية كبيرة على المشرعين الحكوميين الذين يدعمون ويجيزون قوانين الاجهاض، والجهزة الدولية والمؤسسات والجمعيات الاخرى الذين يطالبون بتشريع الاجهاض.

وربّ سائل يسأل: برأي الكنيسة ما العمل في حالة الاغتصاب، وممارسة العلاقات الزوجية خارج الزواج، هل يصح الاجهاض، أو قتل الاجنة؟

في هذه الحالات جميع الحلول الواردة هي حلول اجهاضية مرفوضة بتاتا، حيث لا يمكن ان نقوم بإصلاح خطأ ما بخطأ ثانٍ يفوقه فظاعة ويفوقه خطأ. ويجب على الجميع ان يدافع عن هذه الحياة الجديدة مهما كانت الأسباب، والتفكير بحلول واقعية اخرى تتكيف مع واقع وجود طفل ينتظر ان يرى النور بعد عدة شهور هي

(١) ينظر: إنجيل الحياة: ص ٧.

أكثر واقعية من التفكير بكيفية قتل هذا الجنين والتخلص منه بأي ثمن كان.^(١)

لقد أكدت الكنيسة منذ القرن الاول شرّ كل إجهاض مفتعل على الصعيد الاخلاقي. وهذا التعليم لم يتغير وهو باقٍ دون تعديل. والاجهاض المباشر، أي الذي يريده الانسان غاية أو وسيلة يتعارض بوجه خطير مع الشريعة الاخلاقية: " لا تقتل الجنين بالإجهاض، ولا تهلك المولود الجديد".^(٢)

ثانيا: الإجهاض في الكنيسة الأرثوذكسية

الكنيسة الأرثوذكسية ترفض الإجهاض رفضاً قاطعاً، وثمة قوانين كنسيّة عديدة وضعها الآباء - أفراداً أو في المجامع - تدينه، منها: " إن النساء اللواتي يعطين عقاقير لإسقاط الجنين واللواتي يأخذن السموم لقتل الجنين يقعن تحت قصاص القتلة ". والقديس باسيليوس الكبير (٣٧٩) يوصي في القانون الثاني من مجموعة قوانينه: " ليفرض على المرأة التي تقوم بعملية إجهاض مدة ١٠ سنوات في التوبة سواء أكان الجنين تام التكوين أو لم يكن".

مع العلم أنه لا يوجد في الكتاب المقدس نصوص مباشرة عن تحريم الإجهاض المتعمّد، ولقد عمد البعض إلى هذا الموقف الصامت، فروّجوا تعاليم مستهجنة تدعو إلى السماح به وتشريعه، إلا أن قراءة النص الكتابي على هذا النحو تبقى مبتورة إذا لم تأخذ في عين الاعتبار مجمل مضمون الكتاب المقدس، لا سيما الوصية الخامسة " لا تقتل"،

(١) ينظر: مجمع العقيدة والإيمان، هبة الحياة (٢٢ شباط ١٩٨٧)، المقدمة فقرة ٥.

(٢) إنجيل الحياة: ص ٣٣.

التي تؤكد أهمية الحفاظ على حياة كل إنسان، وخصوصاً كائن أعزل لا يستطيع الذود عن نفسه، نعني به الجنين.

إن حياة الكائن البشري تبدأ من لحظة الحمل به، فالكتاب المقدس لا يفصل بين الروح والجسد، والآباء لم يقبلوا القول بأن الكلمة كان قبل ولادته جسماً هامداً لا حياة فيه. أما الكنيسة فتعيّد للحبل بمريم وبيوحنا المعمدان، أما العلم فيؤكد أن نمو الجنين يبدأ من لحظة اتحاد المورث (الكروموسوم) الذكري بالبويضة الأنثوية لذلك، ليس الجنين كتلة لحم من دون روح يستطيع أبواه أو أحد أبويه التصرف بمصيره، بل هو كيان آخر مستقل لا يخص أباه أو أمه، بل يخص الله. ومن ثم يكون الإجهاض بمثابة قتل كائن بشري، أنطفة كان أم جنينا، ابن ساعة أو أكثر. الجنين أمانة من الله في يد أبويه لا يجوز التفريط بها.^(١)

المبحث الثالث: موقف الشريعة الإسلامية من الإجهاض

لقد حرمت الشريعة الإسلامية جريمة القتل وإزهاق النفس البشرية، وحدت الحدود ووضعت الكفارات على من يقوم بهذه الجريمة الشنعاء، وإن الإجهاض يدخل ضمن دائرة (قتل النفس التي حرم الله)، إلا أن الإجهاض - بصورة عامة - على نوعين: قبل نفخ الروح في الجنين، وبعد نفخ الروح، ولكل منهما حكم شرعي وتفصيل فقهي مختلف عن الآخر، وهذا ما سيبينه البحث في هذه المطالبات الآتية:

المطلب الأول: حكم الإجهاض قبل نفخ الروح

(١) ينظر: الإجهاض يبقى في نظر الله قتلاً منذ إنشاء الكنيسة (مقال) منشور على الشبكة العنكبوتية العالمية، بتاريخ ٢٥/١١/٢٠٠٨. (www.panet.co.il)

وجه الاستدلال قالوا: الجنين اسم لما في البطن، وإيجاب الغرة فيه دليل على أنه محترم يأثم المتعدي عليه، وإذا كان يأثم بالتعدي عليه فإنه لا يجوز إسقاطه.

الدليل الثالث: قالوا إن هذه النطفة مبدأ الحياة، وإذا كان لا يجوز إتلاف الحي فكذلك السقط الذي هو مبدأ الحياة.

وهذا الدليل مبناه على قياس الإسقاط بالوآد بجامع اشتراكهما في القتل، إذ الإسقاط قتل ما تهيأ ليكون إنساناً، والوآد قتل ما كان إنساناً، وهو محرم بالإجماع، فكذلك الإسقاط.^(١)

الدليل الرابع: أن إقامة الحد والقصاص واجب والواجب معجل، وإذا ارتكبت المرأة موجبا للحد، وثبت أن هذه المرأة حامل في أي مرحلة كان حملها فإنه لا يجوز إقامة الحد والقصاص عليها حتى تضع ما في بطنها، ولو كان نطفة، فلم يكن الصحابة حال عملهم بذلك يستفصلون في أي مرحلة من الحمل هي، بل نقل الاجماع على ذلك، قال في المغني: (ولا يقام الحد على حامل حتى تضع، سواء كان الحمل من زنى أو غيره لا نعلم في هذا خلافاً).^(٢)

فالعلماء يرون أن تأخير الحد الواجب والقصاص الواجب من أجل هذه النطفة، ولا يؤخر الواجب إلا لشيء محترم لا يجوز انتهاكه وهو حرمة الجنين.

(١) ينظر: حكم الإجهاض في الفقه الإسلامي (بحث) للأستاذ عبد الله بن صالح بن عبد العزيز السيف، منشور على موقع جامعة الملك سعود، في الصفحة الخاصة بأعضاء هيئة التدريس: ص ٦.

(٢) ينظر: المغني: ١٢/٣٢٧ - ٣٢٨.

القول الثاني: جواز الإسقاط في النطفة والتحريم في بقية الأطوار، وهذا قول اللخمي من المالكية^(١)، والمذهب عند الحنابلة، قال ابن رجب فقال: (وقد صح عن أصحابنا بأنه إذا صار الولد علقه لم يجز للمرأة إسقاطه، لأنه ولد انعقد)^(٢).

واستدلوا لذلك بأدلة:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾^(٣).

ووجه الاستدلال من قوله: "مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ" فدل ذلك على أن التخليق لا يكون إلا في مرحلة المضغة فمرحلة النطفة لا تخليق فيها، فإذا لم يكن فيها تخليق فلا حرمة لها ويجوز انتهاكها.

الدليل الثاني: البراءة الأصلية، فلم يرد دليل على التحريم حال كونها نطفة بخلاف حال كونها علقه.^(٤)

الدليل الثالث: حديث ابن مسعود "إن النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً على حالها لا تغير، فإذا مضت الأربعون صارت علقه، ثم مضغة كذلك..."^(٥)

ووجه الاستدلال بالحديث: أن فيه إشارة إلى أن النطفة تبقى على حالها ولا تنعقد، وما لا ينعقد فيجوز إسقاطه.

(١) جواهر الإكليل شرح مختصر خليل: ١٣٣/٥، حاشية الخرشى: ٢٢٥/٢.

(٢) ينظر الانصاف: ٤٧٩/١، ومنتهى الإرادات: ١٣٧، المعتمد في فقه الإمام أحمد: ٩٢/١.

(٣) الحج: الآية (٥).

(٤) دقائق أولى النهى: ١٢١/١.

(٥) الحديث رواه أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند ابن مسعود برقم (٣٥٥٣) ٦/.

١٣، وقال عنه الشيخ شعيب: إسناده ضعيف ومنقطع.

القول الثالث: جواز الإسقاط قبل نفخ الروح مطلقا، وهو قول الحنفية^(١)، و الشافعية^(٢)، وابن عقيل من الحنابلة^(٣).
واستدلوا على قولهم بأدلة منها:^(٤)

الدليل الأول: أن كل ما لم تحلّه الروح لا يبعث يوم القيامة، وما لا يبعث فلا اعتبار لوجوده، ومن هو كذلك فلا حرمة في إسقاطه.

الدليل الثاني: أن الجنين ما لم يتخلق وتنفخ فيه الروح فإنه ليس بآدمي، وإذا لم يكن كذلك فلا حرمة له ومن ثم فيجوز إسقاطه.

الدليل الثالث: قالوا إن الحياة التي في أول الحمل إنما هي امتداد للحياة التي في الحيوان المنوي، بخلاف الحياة الحادثة من نفخ الروح بعد مائة وعشرين يوماً، فهي حياة إنسانية ذات احترام خاص.

واستدلوا على التفريق بين الحالتين بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعُلُقَةَ مِضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥)﴾^(٥)

وجه الدلالة: يفهم من الآيات القرآنية الكريمة أن حياة الإنسان هي امتداد لحياته جنينا في بطن أمه تسعة شهور، وحياته في بطن أمه هي امتداد لاستقراره في صلب والده سنين عديدة، جيلا بعد جيل، فلا بد من احترام كل هذه المراحل وعدم التفريق بينها.

(١) ينظر: شرح فتح القدير: ٢/٤٩٥، حاشية ابن عابدين: ٤/٣٣٥.

(٢) ينظر: حاشية قليوبي: ١/٣٧٣.

(٣) ينظر: الانصاف: ١/٤٩٧.

(٤) ينظر: حكم الإجهاض في الفقه الإسلامي: ص ٩.

(٥) سورة المؤمنون.

الترجيح:

لعل الأخرى في المسألة أن يقال: إن أدلة القول الأول وتعليلاتهم تدل على أن للجنين نوع حرمة، لذا آخر الحد عن الغامدية، وأدلة القول الثالث تدل على أن حرمة لا تضاهي حرمة ما نفخت فيه الروح، فلعل الأخرى أن يقال جمعا بين أدلة القولين: إن الجنين ان احتيج لإسقاطه لسبب صحيح أو لمصلحة راجحة كاحتمال كونه مشوها خلقيا أو خوفا على ضرر الام ونحو ذلك قبل نفخ الروح فانه لا حرج في اسقاطه أما غير ذلك فلا يجوز إسقاطه، كقصد التخلص من الحمل أو خشية نفقات الولد أو تربيته أو التخفيف من الأولاد أو محافظة على جمال المرأة ونحو ذلك.

المطلب الثاني: حكم الإجهاض بعد نفخ الروح

اتفق العلماء على تحريم إسقاط الجنين بعد نفخ الروح إذا لم يكن هناك ضرورة لإسقاطه؛ لأن في إجهاضه قتلاً للنفس المحرمة بغير حق، وقد نقل الإجماع على حرمة الإجهاض بعد نفخ الروح الفقيه المالكي ابن جزي في قوانينه الفقهية حيث قال: "وإذا قبض الرحم المني لم يجز التعرض له، وأشد من ذلك إذا تخلق، وأشد من ذلك إذا نفخ فيه الروح فإنه قتل نفس إجماعاً". قال الدردير - رحمه الله -: "ولا يجوز إخراج المني المتكون في الرحم، ولو قبل الأربعين يوماً، وإذا نفخت فيه الروح حرم إجماعاً"^(١).

(١) حاشية الدسوقي: ٨٦/٣.

والدليل على ذلك

(١) ما في ذلك من قتل النفس المعصومة وقد قال الله عز وجل:

يُجْزَىٰ بِئِىَ نَدَىٰ يَبْعَثُ نُحْ تُم نَىٰ ج (١)

وجه الدلالة: إن الآية صريحة في تحريم قتل النفس البشرية، والمقصود بها النفس التي قد نفخ فيها الروح، والجنين بعد نفخ الروح هو نفس بشرية حرمة كحرمة الإنسان بعد ولادته.

(٢) حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث، النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة) (٢).

وجه الدلالة: إن الحديث عام يشمل كل آدمي فيه روح، بغض النظر عن كون آدمي جنينا قد نفخت فيه الروح، أم إنسانا بعد الولادة. (٣)

الخاتمة

في ختام دراستنا فإننا نخلص إلى النتائج الآتية:

■ يطلق الإجهاض في اللغة على: إلقاء الحمل ناقص الخلق، أو ناقص المدّة، سواء من المرأة أو غيرها

(١) الأنعام: ١٥١.

(٢) صحيح مسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦) ٢/٣ - ١٣٠.

(٣) ينظر: الشرح الكبير ٢/٢٦٧، البحر الرائق ٨/٢٣٣، وحاشية ابن عابدين ١/٦٠٢، ٥/٣٧٨، وفتح القدير ٢/٤٩٥، ونهاية المحتاج ٨/٤١٦، وحاشية الجمل ٥/٤٩٠، وحاشية البجيرمي ٣/٣٠٣، والزرقاني على التحفة ٦/٢٤٨، والإنصاف ١/١٨٦، والفروع ١/١٩١، والمغني ٧/٨١٥، والمحلى ١١/٢٩ - ٣١.

■ والإجهاض في الاصطلاح الفقهي : هو إسقاط المرأة جنينها بفعل منها أو من غيرها.

■ والإجهاض عند علماء الطب هو: خروج الجنين من الرحم قبل اكتمال نموه في وقت لا يستطيع العيش فيه خارج الرحم، أي قبل بداية الشهر السادس، أو قبل (٢١) واحد وعشرين أسبوعاً من بدء الحمل

■ إن للإجهاض أنواعاً كثيرة وأشكالاً ومتعددة، تبعا لأعراضه وأسبابه، ولكن يمكن القول إن هنالك نوعين رئيسيين هما: الإجهاض التلقائي، والإجهاض المتعمد، سواء كان لأغراض علاجية، أو أسباب مفتعلة

■ اتفق علماء المسلمين على تحريم إسقاط الجنين بعد نفخ الروح إذا لم يكن هناك ضرورة لإسقاطه؛ لأن في إجهاضه قتلاً للنفس المحرمة بغير حق.

■ و اختلف أهل العلم في حكم إسقاط الجنين قبل نفخ الروح فيه على أقوال، والراجح منها - والله أعلم - أن الجنين ان احتيج لإسقاطه لسبب صحيح أو لمصلحة راجحة كاحتمال كونه مشوها خلقيا أو خوفا على ضرر الام ونحو ذلك قبل نفخ الروح فانه لا حرج في اسقاطه، أما غير ذلك فلا يجوز إسقاطه، كقصد التخلص من الحمل أو خشية نفقات الولد أو تربيته أو التخفيف من الأولاد أو محافظة على جمال المرأة ونحو ذلك.

■ تبيح الديانة اليهودية الإجهاض في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل ويحرمونه بعد ذلك.

■ أما في المسيحية فإن المجامع المسيحية حرمت ذلك، وإن
نصوص الكتاب المقدس اقتصررت على ذكر حرمة القتل بالوصية (لا
تقتل) ولم تفصل ذلك، فيصبح عندها مطلق القتل حراما.

مخاطر الظواهر الشاذة على بناء الإنسان وتماسك
المجتمع ومعالجاتها في ضوء تعاليم الأديان السماوية
- التحول الجنسي أنموذجا

المقدمة

الحمد لله الذي كرم الإنسان، وفضله على كثير مما خلق تفضيلاً، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه المبعوث لرحمة للعالمين كافة، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلقد ابتلي العالم المعاصر، بعدد من المشكلات والظواهر الشاذة، التي لم تكن موجودة في الأمم السابقة، فبسبب الفراغ الديني والروحي الذي تعيشه المجتمعات غير المسلمة، البعيدة عن تعاليم الباري عز وجل؛ أصبح الناس يهربون من واقعهم المريع إلى أمور مبتدعة، يخترعونها لتنقذهم من التيه الذي هم فيه، ومن أبرز تلك المشكلات التي انتشرت في المجتمعات الغربية انتشار النار في الهشيم، فقدان الهوية الجنسية، وتحديد الجنس، بل وحتى تغييره! وهي نتيجة من نتائج الشذوذ الجنسي، فالذكر أو الأنثى المصاب بمرض الشذوذ، لم يكتف بشذوذه، بل أصبح يريد تغيير جنسه بشكل كلي، إشباعاً لرغباته النفسية المريضة.

وفي هذا البحث سيتم تسليط الضوء على مخاطر هذه الظاهرة الشاذة على بناء الفرد وتماسك المجتمع، ومن ثم مدى مساهمة الأديان السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلام - في معالجة هذه الظاهرة، وقد اعتمدت المنهج المسحي الوصفي التحليلي، واقتضت المادة العلمية تقسيم بحثي إلى مبحثين: الأول منها عن مخاطر هذه الظاهرة الشاذة، والثاني منها عن دور الأديان السماوية في معالجة هذه الظاهرة، ومن الجدير بالذكر أنه لكون الموضوع حديثاً معاصراً، ولكون أحد الباحثين يتقن الترجمة من وإلى أربعة لغات؛ فقد اعتمد جل بحثنا على المراجع الأجنبية، المكتوبة باللغة الإنكليزية، ومن الله التوفيق.

المبحث الأول: مخاطر التحول الجنسي والشذوذ الجنسي على
بناء الفرد وتماسك المجتمع

المطلب الأول: ماهية التحول الجنسي وتأريخه

أولاً: مفهوم التحول الجنسي

بما أن الموضوع حديث معاصر؛ سنتجاوز التعريف اللغوي الكلاسيكي الذي عادة ما يستفتح به الباحثون أبحاثهم، كما أننا لن نعرج على المعنى الاصطلاحي من مصادر، الاصطلاح القديمة، وسيكون التعريف مستمداً من الكتب العلمية، والأبحاث الأكاديمية ذات الاختصاص، فنقول:

المتحولون جنسياً: هم أشخاص يغيرون هويتهم الجنسية عن تلك المتعلقة بجنسهم المحدد عند الولادة، ويشمل الراغبين في التحول الطبي من جنس إلى آخر، وأيضا الأفراد غير الثنائيين أو المثليين، ويتباين تعريفهم ومفهومهم الدقيق على الصعيدين القانوني والاجتماعي، إذ يعاني البعض من اضطراب الهوية الجنسية، بينما يسعى آخرون للعلاجات الطبية أو النفسية، ويختلف الوضع القانوني لهم حسب المنطقة، وقبل منتصف القرن العشرين، كانت هناك مصطلحات متنوعة داخل وخارج العلوم الطبية والنفسية الغربية للإشارة إلى الأفراد الذين يختلفون في هويتهم الجنسية، ثم أصبح هناك تسميات مختلفة للمتحولين جنسياً فيما بعد، ويشير المصطلح "transsexual" من اللغة الألمانية والذي تم تصميمه بناءً على مفهوم المتحولين جنسياً الألمان في عام ١٩٢٣، وأصبح لديه قبول دولي، على الرغم من تفضيل بعض الأفراد لمصطلح "transgender" بشكل

متزايد، وفي تسعينيات القرن العشرين، اكتسبت كلمة "transgender" معنى المصطلح الشامل الحديث.^(١)

وفي عام ١٩٦٥م استخدم الطبيب النفسي جون أوليفن مصطلح "التحول الجنسي" في عمله المرجعي، واعتبر أن مصطلح "التحول الجنسي" مضلل؛ لأن النشاط الجنسي ليس عاملاً رئيسياً في التحول الجنسي الأساسي.^(٢)

وفي أوائل السبعينيات، انتشر مصطلح "المتحولين جنسياً" بتعاريف متنوعة من قبل العديد، وأصبح لديه قبول دولي، وفي منتصف السبعينيات، بدأ استخدام مصطلحات "المتحولين جنسياً" و"متغيري الجنس" كمصطلحات شاملة لتوحيد جميع أشكال عدم التوافق بين الجنسين، وفي عام ١٩٨٤، تطور مفهوم "مجتمع المتحولين جنسياً" باستخدام "المتحولين جنسياً" كمصطلح شامل.^(٣)

وفي عام ١٩٩٢م أقر المؤتمر الدولي لقانون المتحولين جنسياً وسياسة التوظيف المتحولين جنسياً أنهم مصطلح شامل يشمل "المتحولين جنسياً" بكافة أشكالهم. وفي عام ١٩٩٤م عرفت المنظرة الجندرية سوزان سترايكر المتحولين جنسياً على أنهم: يشملون جميع

(١) بنيامين، هاري (١٩٦٦) ظاهرة المتحولين جنسياً، جولييان برس، إنكوربوريتد للنشر، ص ٧٣.

(٢) براون، ميلدريد إل. (٢٠٠٣) الذوات الحقيقية - فهم التحول الجنسي للعائلات والأصدقاء وزملاء العمل ومساعدة المهنيين، كلوي آن رونسلي، سان فرانسيسكو، مطبعة جوسي باس، ص ١٠٧.

(٣) تيش، نيكولاس (٢٠١٢) المتحولون جنسياً - دليل بسيط لقضية معقدة، مطبعة جامعة كولومبيا، ص ٥٥.

الهويات والممارسات التي تتقاطع أو تنتقل بين الحدود الجنسية والجنسانية المبنية اجتماعياً.^(١)

وفي التسعينيات وأوائل أواخر القرن العشرين، كانت المصطلحات الرئيسية للمتحولين جنسياً "أنثى إلى ذكر" (F.t.M) و"ذكر إلى أنثى" (M.t.F)، تم استبدالها بـ "الرجل المتحول" و "المرأة المتحوّلة" ويعكس هذا التحول في التفضيل انتقالاً من التركيز على الجنس البيولوجي إلى التركيز على الهوية الجندرية والتعبير، والمتحولون جنسياً قد يشيرون إلى شخص يكون هويته الجنسية معاكسة للجنس المحدد عند الولادة.^(٢)

وإن مصطلح "المتحولون جنسياً" يشمل أي شخص تم تعيينه ذكراً عند الولادة ويظهر هوية أو عرض جنسي أنثوي في الغالب، وينبغي تجنب استخدام مصطلح "المتحولون جنسياً" كاسم، وفي عام ٢٠٢٠ تغيرت مجلة المتحولين جنسياً اسمها لتعكس استخداماً أكثر ملاءمة وقبولاً للغة في الميدان، ويُطلق على الأشخاص الذين يتوافق إحساسهم بالهوية مع الجنس المخصص لهم عند الولادة مصطلح "متوافقون مع الجنس".^(٣)

ثم أصبح المصطلح يُستخدم للدلالة على فئة من الأشخاص يرغبون في الانتقال بشكل دائم إلى الجنس الذي يحددونه، ويطلبون

(١) بيفان، دانا ج، (١٧ نوفمبر ٢٠١٤) علم النفس البيولوجي للتحول الجنسي والتحول الجنسي، سانتا باربرا، كاليفورنيا: ABC-Clío / Greenwood Publishing، ص ٤٢.

(٢) كريسلر، جوان سي؛ ماكيري، دونالد آر، (٢٠١٠) دليل البحوث الجنسية في علم النفس، المجلد ١، نيويورك، لندن، دار سبرينغر للنشر، ص ٤٨٦.

(٣) كورا، بيزلي (٢٠٠٦) التعددية بين الجنسين تحت مظلة المتحولين جنسياً، تحرير: في كورا، ب،؛ جوانغ، مينتر، مطبعة جامعة مينيسوتا، ص ٤.

المساعدة الطبية، مثل جراحة تغيير الجنس، ويعكس تحول التفضيل من تركيز على الجنس البيولوجي إلى التركيز على الهوية الجندرية والتعبير، ويوضح الفارق بين مصطلحات "المتحولين جنسياً" استناداً إلى التفريق بين الجنس والجندر، ويُلاحظ أن الكثير من المتحولين جنسياً يعترضون على هذا المصطلح باعتباره وصفاً للهوية الجنسية بدلاً من النشاط الجنسي، ويشدد بعض العلماء على أهمية احترام تفضيلات الأفراد بخصوص اللغة المستخدمة لوصف هويتهم الجنسية، ويُنصح بتجنب استخدام مصطلح "المتحولين جنسياً" إلا إذا كان الشخص المعني مرتاحاً له.^(١)

والجنس، والهوية الجنسية، والمتحولون جنسياً، تعتبر مفاهيم منفصلة عن التوجه الجنسي، إذ يعبر التوجه الجنسي عن نمط دائم للانجذاب أو عدم الانجذاب للآخرين، بينما تعبر الهوية الجندرية عن معرفة الشخص بجنسه الذي يشعر به، يمكن للمتحولين جنسياً أن يكون لديهم أي توجه جنسي وعادةً ما يستخدمون التسميات التي تتناسب مع جنسهم الذي اختاروه، بدلاً من تحديدهم الجنسي عند الولادة.^(٢)

وإن بعض الأفراد غير الثنائيين، أو المثليين جنسياً، يعتبرون أنفسهم متحولين جنسياً، حيث لا يتم تحديد هذه الهويات بشكل صريح كذكور أو إناث، وتشمل هذه الهويات تنوعاً واسعاً، مثل ثنائية الجنس والمخنث، والتي يمكن أن تتداخل، ويمكن للأفراد ثنائيي الجنس

(١) مالون، جيرالد بي، (١٩٩٨) أسس ممارسة العمل الاجتماعي مع المثليات والمثليين، مطبعة هارينجتون بارك، ص ٢٧٥.

(٢) مارديل، أشلي (٢٠١٦) أبجديات LGBT +، كورال جابلز، فلوريدا، مطبعة شركة مانجو ميديا، ص ٩٦.

التنقل بين أدوار الذكور والإناث (genderfluid) أو أن يكونوا ذكورًا وأنثويين في نفس الوقت (مخنث) ويمتد الأمر أيضًا ليشمل اللاجنسية أو البين الجنسي أو الانتقال بين الجنسين أو التعبير المتعدد عن الجنس (pangender) ويُشير هذا التنوع إلى تجاوز الجنس أو غيابه، ويظهر بشكل مستقل عن التوجه الجنسي.^(١)

أما المتخنث فهو شخص يرتدي ملابس متقاطعة مع الجنس المعتاد للجنس الذي تم تحديده عند الولادة، ويستخدم المصطلح أحيانًا بديلاً لمصطلح المتقاطع، ورغم أن المتقاطع هو المصطلح المفضل، إلا أنه يظل المصطلحان قريبين في المعنى، ويتم تحديد المتخنث على أنه شخص لديه هوية جنسية صريحة ومُعترف بها، لكنه يختار ارتداء ملابس تنتهي إلى الجنس الآخر لأسباب مختلفة، وإن الكثير من المتخنثين يدركون جنسيتهم الحقيقية، وقد لا يكونون مهتمين بتغيير أو تحول جسمهم جراحيًا أو طبيًا، وقد يختلفون في سلوكياتهم وممارساتهم الجنسية.^(٢)

ثانياً: المشروعية القانونية للتحول الجنسي

توجد إجراءات قانونية في بعض الولايات الأمريكية تسمح بتغيير جنس واسم الأفراد ليعكس هويتهم الجنسية، وتتنوع متطلبات هذه الإجراءات، ويشمل ذلك تشخيصاً رسمياً للتحول الجنسي أو اضطراب الهوية الجنسية، وفي ١٩٩٤ تم تغيير تصنيف "المتحولين

(١) ليلوم أس آر، روزن آر سي (٢٠٠٠) مبادئ وممارسة العلاج الجنسي، الطبعة الثالثة، ص ٩١.

(٢) أليجريا، كريستين أرامبورو (٢٠١١) هوية المتحولين جنسيا والرعاية الصحية - الآثار المترتبة على التقييم النفسي والاجتماعي والبدني - هوية المتحولين جنسيا والرعاية الصحية، مجلة الأكاديمية الأمريكية للممرضات الممارسين، العدد ٢٣، ص ١٧٥.

جنسيا" في DSM IV إلى "اضطراب الهوية الجنسية"، وفي ٢٠١٣، أصبح "اضطراب الهوية الجنسية" التصنيف الرسمي في DSM V. ومع ذلك، يواجه المتحولون جنسيا في العديد من الأماكن نقصاً في الحماية القانونية من التمييز في مجالات العمل والخدمات العامة، وفي تقرير عام ٢٠١١ ظهر أن ٩٠٪ من المتحولين جنسيا واجهوا التمييز في العمل، وأكثر من نصفهم تعرضوا للمضايقة أو الرفض في الخدمات العامة، مما يؤثر على وضعهم الاقتصادي والاجتماعي، ويعتبر التمييز أيضاً مشكلة في ميدان الرعاية الصحية حيث يواجهون مستويات عالية من التحيز.^(١)

وفي ٣٦ دولة أوروبية، يُطلب من الأفراد تقديم تشخيص للصحة العقلية لتغيير جنسهم قانوناً، بينما تشدد ٢٠ دولة أوروبية على ضرورة إجراء عملية تعقيم، وفي أبريل ٢٠١٧، أصدرت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان حكماً يعتبر اشتراط التعقيم للاعتراف بالنوع الاجتماعي انتهاكاً لحقوق الإنسان... وفي الولايات المتحدة، يحظى المتحولون جنسيا بحماية من التمييز في العمل بموجب قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤، وأكدت المحكمة العليا ذلك في ٢٠٢٠ م^(٢) وفي الهند، أعلنت المحكمة العليا في ٢٠١٤ أن المتحولين جنسيا يُعتبرون "جنسا ثالثاً" في القانون الهندي، وأشار القاضي إلى ضرورة فهم التحديات التي يواجهها مجتمع المتحولين جنسيا، والتي تتضمن

(١) فيليس راندولف فراي، وآخرون، (٢٠٠٦) حقوق المتحولين جنسيا، مينيابوليس، مطبعة جامعة مينيسوتا، ص ٦٥.

(٢) أتويل، نيكول (٢٠١٠) فرنسا - إسقاط اضطراب الهوية الجنسية من قائمة الأمراض العقلية، المرصد القانوني العالمي، مكتبة الكونغرس، ص ٢٧٢.

التمييز والحرمان من بعض الحقوق، مثل رخص القيادة والمزايا الاجتماعية.^(١)

المطلب الثاني: مخاطر التحول الجنسي على الفرد والمجتمع
يواجه الأفراد الذين قاموا بتغيير جنسهم تحديات كبيرة في المجال النفسي، والبدني، وحتى مجال العمل، ففي الولايات المتحدة، حيث يتعرض ما يقرب من ٩٠٪ من الأفراد المتحولين جنسياً لأشكال متنوعة من التمييز أو سوء المعاملة في بيئة العمل، بالإضافة إلى ذلك، يعاني ٤٧٪ منهم من تأثيرات سلبية على التوظيف بسبب هويتهم الجنسية، حيث يتم تجاوز ٤٤٪ منهم في عملية الحصول على وظائف، ويتم رفض الترقية لـ ٢٣٪ ويتم إنهاء خدمتهم لسبب وحيد هو كونهم متحولين جنسياً بنسبة ٢٦٪، وحتى على صعيد العلاقات العامة، تشير الدراسات إلى أن النساء المتوافقات مع الجنس يظهرن تقبلاً أكبر للأفراد المتحولين جنسياً، مقارنةً بالرجال المتوافقين مع الجنس.^(٢)

آثار العلاج بهرمونات الأنوثة

بالنسبة للنساء المتحولات جنسياً، يسبب تناول هرمون الاستروجين زيادة في نمو أنسجة الثدي، مما يؤدي إلى زيادة حجمها وحساسيتها، ويمكن أن تتراوح هذه الحساسية بين الممتعة والمؤلمة

(١) بوبر، شانتي إم، ؛ لورا، بيجي (٢٠٠٨) القضايا المهنية واعتبارات مكان العمل لمجتمع المتحولين جنسياً - سد فجوة المعرفة للمستشارين المهنيين ومقدمي رعاية الصحة العقلية، مجلة التطوير الوظيفي الفصلية، العدد ٥٦، ص ٣٣٠.

(٢) كولن، ليندسي، وآخرون، الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية (الطبعة ٥) واشنطن العاصمة، طبعة الجمعية الأمريكية للطب النفسي، ٢٠١٣، ص ٤٥٤. مارشيانو، ليزا (٢٠١٧) تفشي الأوبئة النفسية بين المراهقين المتحولين جنسياً، مجلة وجهات نظر نفسية، العدد ٦٠، ص ٣٤٥.

حسب الشخص ونوع التحفيز، بالإضافة إلى ذلك، يمكن للإستروجين عند تناوله من قبل الأفراد الذين يمتلكون أعضاء تناسلية ذكورية، أن يقلل من حجم الأعضاء التناسلية الذكورية الخارجية وإنتاج السائل المنوي، مع تأثيره على قدرة الأعضاء التناسلية الذكورية على الانتصاب، وإضافة لهذه التغيرات، قد تشهد بعض النساء المتحولات جنسيًا اللواتي يتلقين علاجًا هرمونيًا تغييرات في شعورهن بتجارب هزات الجماع، حيث يمكن لبعض الأفراد الإبلاغ عن القدرة على تجربة هزات الجماع المتعددة.^(١)

علاوةً على ذلك، قد يؤدي العلاج التعويضي بالهرمونات إلى انخفاض في الدافع الجنسي أو تغيير في الطريقة التي يشعر بها النساء المتحولات جنسيًا أثناء التحرك، وتشير دراسة نُشرت في عام ٢٠١٤ إلى أن ٦٢.٤٪ من النساء المتحولات اللواتي شملتهن الدراسة أبلغن عن انخفاض في الرغبة الجنسية بعد العلاج الهرموني أو جراحة راب المهبل، وأظهرت دراسة أُجريت في عام ٢٠٠٨ أن حوالي واحدة من كل ثلاث نساء متحولات تعاني من اضطراب الرغبة الجنسية الناقص النشاط (HSDD) بعد العلاج التعويضي بالهرمونات، دون وجود فارق كبير في مستوى الرغبة الجنسية بين المجموعتين.^(٢)

(١) دي كويبير، غريتا (٢٠٠٦) المتابعة طويلة الأجل - النتيجة النفسية والاجتماعية للمتحوّلين جنسيا البلجيكيين بعد جراحة تغيير الجنس، مجلة علم الجنس، العدد ١٥، ص ١٢٦.

(٢) بيلودو، برنت (٢١ أكتوبر ٢٠٠٨) ما وراء الثنائية بين الجنسين - دراسة حالة لطالبيين متحوّلين جنسيا في جامعة أبحاث الغرب الأوسط، مجلة قضايا المثليين والمثليات في التعليم، روتليدج، العدد ٣، ص ٢٩.

وإن بعض النساء المتحولات ومقدمي الرعاية الصحية يشيرون إلى استخدام مركبات بروجسترونية لتحفيز الرغبة الجنسية، وفي دراسة تجريبية أجريت في عام ٢٠٠٩ لعلاج اضطراب الرغبة الجنسية الناقص النشاط (HSDD) لدى النساء المتحولات، أظهرت نتائج بعد ستة أسابيع من العلاج تحسناً في الرغبة الجنسية للمجموعة التي تلقت التستوستيرون، في حين لم يُبلغ عن أي تغيير في المجموعة التي تلقت البروجستين.^(١)

آثار العلاج بهرمون الذكورة

بالنسبة للرجال المتحولين جنسياً، يظهر تأثير بارز لتناول هرمون التستوستيرون على تغييرات جسدية، خاصة فيما يتعلق بالجنس والهيكل الجسدي، ويُلاحظ تحفيز أنسجة البظر وتوسيعها كأحد التغييرات الرئيسية، ويمكن أن تتراوح هذه الزيادة في الحجم من طفيفة إلى أربعة أضعاف، بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تشمل التأثيرات الأخرى ضمور المهبل، مما يجعل أنسجته رقيقة وتنتج كمية أقل من التزييت، مما قد يؤدي أحياناً إلى الإيلام خلال ممارسة الجنس وربما التزييف.^(٢)

ومن الممكن أن يزيد تناول هرمون التستوستيرون للرجال المتحولين جنسياً من عرضتهم للإصابة بالتهابات المسالك البولية،

(١) كورن، فيكتوريا، لو دوج، تيراونا (٢٠١٥) صحة المرأة التكاملية، مطبعة جامعة أكسفورد، ص ٧٤٥. مارشيانو، ليزا (٢٠١٧) تفشي الأوبئة النفسية بين المراهقين المتحولين جنسياً، مجلة وجهات نظر نفسية، العدد ٦٠، ص ٣٤٥.

(٢) كرويفر، فرانك بي، وآخرون (٢٠٠٠) المتحولون جنسياً من الذكور إلى الإناث لديهم أعداد خلايا عصبية أنثوية في النواة الحوفية، بحث منشور في مجلة الغدد الصماء السريرية والتمثيل الغذائي، جمعية الغدد الصماء، العدد ٨٥، ص ٤١.

خاصة إذا كان لديهم اتصال مهبطي استقبالي، بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يسفر التستوستيرون عن زيادة في الدافع الجنسي والرغبة الجنسية، وفي بعض الحالات، قد تكون هذه الزيادة مفاجئة ومحفزة للغاية، ومثلما يحدث للنساء المتحولات جنسياً، يشعر بعض الرجال المتحولين جنسياً بتغيرات في تجاربهم للإثارة.^(١)

التوجه الجنسي والانتقال

أظهرت دراسة أجريت في عام ٢٠١٣ أن ٥٨.٢٪ من ٤٥٢ من الأفراد المتحولين جنسياً وغير المطابقين للجنس، الذين شملهم البحث، قد تعرضوا لتغيرات في الانجذاب الجنسي خلال حياتهم، وهذا يشير إلى احتمالية تجربة الأفراد المتحولين جنسياً لظاهرة "السيولة الجنسية" وبالنسبة للأفراد المتحولين جنسياً الذين قاموا بالانتقال الاجتماعي (نحو نصف العينة الإجمالية)، فإن ٦٤.٤٪ منهم عانوا من تغيرات في الجذب بعد الانتقال، مما يشير إلى احتمالية تجربة السيولة الجنسية بين هذه الفئة.^(٢)

في دراسة أجريت عام ٢٠١٤ على ٧٠ امرأة متحولة و ٤٥ رجلاً متحول، أظهرت النتائج نمطاً مشابهاً، حيث كان للنساء المتحولات ارتفاع أكبر في تغيرات التوجه الجنسي بنسبة ٣٢.٩٪ مقارنة بنسبة ٢٢.٢٪ للرجال المتحولين، ولاحظت الدراسة أن الأفراد المتحولين جنسياً الذين كانوا في البداية ينجذبون إلى الجنس الذي تم تحديده

(١) دي كويبير، غريتا (٢٠٠٦) المتابعة طويلة الأجل - النتيجة النفسية والاجتماعية للمتحويلين جنسياً البلجيكين بعد جراحة تغيير الجنس، مجلة علم الجنس، العدد ١٥، ص ١٢٦.

(٢) كريسلر، جوان سي؛ ماكيري، دونالد آر، (٢٠١٠) دليل البحوث الجنسانية في علم النفس، المجلد ١، نيويورك، لندن، دار سبرينغر للنشر، ص ٤٨٦.

لهم عند الولادة كانوا أكثر عرضة لتجربة تغييرات في التوجه الجنسي.^(١)

المبحث الثاني: نظرة الأديان السماوية إلى التحول الجنسي المطلب الأول: التحول الجنسي والشذوذ عند أهل الكتاب

في المسيحية، هناك تنوع في وجهات النظر حول التوجه الجنسي والمثلية الجنسية، ففي القرون الأولى بعد الميلاد، كانت المثلية الجنسية غير أخلاقية وإحدى الخطايا الكبار، ووفقًا لبعض مقاطع الكتاب المقدس، وأصبحت هذه الآراء جزءًا من عقائد الكنائس وترجمات مختلفة للكتاب المقدس.^(٢)

أما في الوقت الحاضر، فيوجد تنوع كبير في وجهات النظر داخل المسيحية حول المثلية الجنسية والتوجه الجنسي، ويعارض بعض علماء المسيحية فكرة أن الكتاب المقدس يتحدث صراحة عن المثلية الجنسية كخطيئة ضد الرب، ويمكن للأفراد والجماعات داخل الطوائف المسيحية التي ينتمون إليها أن يحملوا وجهات نظر مختلفة، وقد لا يدعم جميع أعضاء الطائفة وجهات نظر كنيستهم حول المثلية الجنسية.^(٣)

(١) برادفورد، جوديث وآخرون (٢٠١٣) تجارب التمييز المرتبط بالمتحولين جنسيا والآثار المترتبة على الصحة - نتائج من دراسة مبادرة صحة المتحولين جنسيا في فرجينيا، المجلة الأمريكية للصحة العامة، العدد ١٠٣: ١٢٠.

(٢) بوزويل، جون (١٩٨٠) المسيحية والتسامح الاجتماعي والمثلية الجنسية - المثليون في أوروبا الغربية من بداية العصر المسيحي إلى القرن الرابع عشر، مطبعة جامعة شيكاغو، ص ٨٢.

(٣) بروج، جون إف، (٢٠٠٩)، موجز عقائدي - هل المثلية الجنسية خطيئة؟ مكتبة ويسكونسن اللوثرية، ص ٦٣.

وتعتبر معظم الطوائف المسيحية السلوك والأفعال الجنسية المثلية خطيئة، وتدين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية رسميًا النشاط الجنسي المثلي، في حين اتخذت بعض الطوائف البروتستانتية موقفًا داعمًا لمباركة رجال الدين المثليين وزواج المثليين، ويظل هناك بعض الطوائف الأخرى التي لا تؤيد هذه الآراء.^(١)

وتعتبر الكنيسة الكاثوليكية أي فعل جنسي لا يتعلق بالإنجاب من قبل زوجين مرتبطين بالزواج خطيئة، وتصف "الميل الجنسي المثلية" بأنها "مضطربة موضوعيًا"، مع تفضيل تجربتها كتجربة تجاه الخطيئة، وتطالب التعاليم المسيحية بقبول الأفراد ذوي الميل الجنسي المثلية بالاحترام والتعاطف، كما تطالب الكنيسة الأشخاص المثليين بممارسة العفة وتجنب أي تمييز غير عادل، ويرى الفاتيكان أن هناك فارقًا بين الميل الجنسي المثلية العميقة والتعبير عن مشكلة عابرة.^(٢)

وفي القرنين ٢٠ و ٢١، ظهرت نقاشات حول موقف الكنيسة من الميل الجنسي المثلية، إذ طرأت تغييرات مثل قبول بعض الكهنة لمباركة الزواجات المثلية، وفي عام ٢٠٢٣، سمحت الكاثوليكية الألمانية باحتفالات مباركة للأزواج من نفس الجنس في جميع أبرشيات الكنيسة

(١) كورا، بيزلي، إم، (٢٠٠٦) حقوق المتحولين جنسيا، تحرير: جوانغ، ريتشارد؛ مينتر، شانون برايس، مطبعة جامعة مينيسوتا، ص ٥١.

(٢) كرومبتون، لويس، وآخرون (٢٠٠٣) الشذوذ الجنسي والحضارة، ماساتشوستس، مطبعة بيلكناب التابعة لمطبعة جامعة هارفارد، ص ٣٨.

الكاثوليكية في ألمانيا، وفي نهاية عام ٢٠٢٣، وافق البابا فرانسيس على البركة للأزواج المثليين، ولكنها ليست بركة دينية رسمية.^(١)

هذه التطورات تلقت إدانة من بعض الرموز الكاثوليكية المحافظة، ورأوا أن الأساقفة ليس لديهم سلطة على هذه القضية.^(٢)

وتدين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية الأفعال الجنسية المثلية، وهي متشابهة في موقفها مع الكنيسة الكاثوليكية، إلا أن بعض الكنائس الأرثوذكسية، مثل الكنيسة الأرثوذكسية في أمريكا، ترحب بأشخاص ذوي "مشاعر وعواطف مثلية" وتشجعهم على التغلب على تأثيراتها الضارة، لكنها لا تسمح بالأسرار المقدسة للأشخاص الذين يبررون النشاط الجنسي المثلي، كما تختلف وجهات نظر الكنائس الأرثوذكسية حول المثلية الجنسية، حيث ترى بعضها أنها تشكل تفككًا للزواج والأسرة، وأظهر استبيان حديث أن غالبية المسيحيين الأرثوذكس يرون أن المثلية الجنسية "لا ينبغي أن يقبلها المجتمع" في بعض الدول.^(٣)

في يوليو ٢٠٢٢، قام رئيس الأساقفة الأمريكي بعماد طفلين تبناهما زوج مثلي، مما يجعله أول أسقف أرثوذكسي يعمد الأطفال الذين تبناهم زوج مثلي، وأثار هذا القرار احتجاجًا رسميًا من كنيسة

(١) كولين، ليندسي، ريزنر، وآخرون (٢٠١٦) انتشار المتحولين جنسيا - تعريف الحالة - مراجعة منهجية، مجلة الطب الجنسي، العدد ١٣، ص ٦١٣.

(٢) بنيامين، إتش (١٩٦٦) ظاهرة المتحولين جنسيا، نيويورك، مطبعة جوليان، ص ٢٣. سميث، مورتون (١٩٩٢) دراسات في الشذوذ الجنسي - المثلية الجنسية والدين والفلسفة، المجلد الثاني عشر، نيويورك ولندن، مطبعة جارلاندر، ص ٢٩٥.

(٣) إتنغوف، سي ودايوت، (٢٠١٤) وجهات نظر الأطباء حول تفاوض العائلات الدينية والرجال المثليين على الكشف عن التوجه الجنسي والتحيز، مجلة المثلية الجنسية، العدد ٦٢، ص ٢٢٣.

اليونان، ممثلة في المجمع المقدس لكنيسة اليونان، والذي أعرب عن اعتراضه للأسقف وبطيركية القسطنطينية المسكونية.^(١)

وأما الكنائس البروتستانتية فتعتبر العلاقات المثلية ذاتية الزواج مقبولة، مثل الكنيسة المتحدة في كندا، والكنيسة المشيخية (الولايات المتحدة) وكنيسة المسيح المتحدة، والكنائس اللوثرية والمصلحة والموحدة في EKD تؤيد أيضاً بعضها مباركة زواج المثليين، وهناك أيضاً طوائف مسيحية تقدم الترحيب والدعم للمثليين، مثل الكنيسة الكندية المتحدة وكنيسة المسيح المتحدة.^(٢)

وبينما بعض الطوائف الأنجليكانية واللوثرية تبارك الاتحادات المثلية، ترى الكنيسة الميثودية المتحدة زواج المثليين غير مقبول، حيث رفضت خطة الكنيسة الواحدة في ٢٠١٩. وتعترف بعض الكنائس الكويكرز والميثوديسية المتحدة بالزواج المثلي وتقدم الدعم للمثليين، في حين تعتبر الكنيسة المورافية أن الكتاب المقدس يتحدث بشكل سلبي عن الأفعال الجنسية المثلية، لكنها تعمل على وضع سياسة حول المثلية الجنسية.^(٣)

في الفاتيكان وبتاريخ ٣١ أكتوبر ٢٠٢٤ أصدر قسم العقيدة حكماً حديثاً يسمح بالمعمودية الكاثوليكية للأفراد المتحولين جنسياً وللأطفال المولودين لأزواج من نفس الجنس، والتي جاء هذا الحكم رداً على استفسارات من الأسقف البرازيلي جوزيبي نيجري لدائرة عقيدة

(١) غانيون، روبرت إيه جيه (٢٠٠٢) الكتاب المقدس والممارسة الجنسية المثلية - النصوص والتأويل، مطبعة أبينجدون، ص ٥٢.

(٢) هارفي، جون إف. (١٩٩٦) الحقيقة حول المثلية الجنسية - صرخة المؤمنين، تقديم بنديكت جي، جروشيل، سي إف آر، مطبعة اغناطيوس، ص ٦٩.

(٣) بروج، جون إف، (٢٠٠٩)، موجز عقائدي - هل المثلية الجنسية خاطئة؟، ص ٦٦.

الإيمان، وقد نُشرت الردود على موقع الفاتيكان على الإنترنت في إيطاليا.^(١)

وفيما يتعلق بالأفراد المتحولين جنسياً، تنص الوثيقة على أنه يُسمح لهم بتلقي المعمودية كأى شخص بالغ آخر، شريطة عدم وجود إمكانية لتسبب في فضيحة أو ارتباط بين الكاثوليك الآخرين، وتشير الوثيقة أيضاً إلى أنه يُمكن تعميم الأطفال المتحولين جنسياً إذا كانوا جاهزين وراغبين بشكل كاف، شريطة أن يكون هناك أمل مبرر في أن يتلقوا تعليماً دينياً كاثوليكياً.^(٢)

وفي إطار الزفاف الكاثوليكي، يُسمح للأفراد المتحولين جنسياً، بما في ذلك الذين خضعوا لتغيير الجنس، بأداء دور العرايين والشهود، لكن تشير الوثيقة أيضاً إلى أن الأفراد في العلاقات الجنسية المثلية يُعتبرون مرتكبين لخطيئة، وأن المعمودية مشروطة بالتوبة عن مثل هذه الأعمال، كما تستند الوثيقة إلى عظات البابا فرانسيس لدعم هذا الحكم.^(٣)

السحاق

تواجه المثليات تحديات اجتماعية وثقافية فريدة تختلف عن تلك التي يواجهها الرجال المثليون، إذ تتباين تجربتهن في المسيحية، حيث كان السحاق تاريخياً يُعتبر خطيئة داخل الديانة، وفي عام

(١) بترو، أنتوني إم، (٢٠١٥) الأخلاق الناشئة - المسيحيون الأمريكيون والجنس والإيدز، نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ص ١٨.

(٢) رودريغيز، إي، إم، (٢٠٠٠) المسيحيون المثليون والمثليات - دمج الهوية الجنسية والدينية في أعضاء والمشاركين في الكنيسة الإيجابية للمثليين، مجلة الدراسة العلمية للدين، العدد ٣٩، ص ٣٣٣.

(٣) بوزويل، جون (١٩٨٠) المسيحية والتسامح الاجتماعي والمثلية الجنسية ص ٨٥.

١٩٨٢، قامت نساء مثليات بتأسيس مؤتمر المثليات الكاثوليكيات في Dignity USA، نظرًا للشكوك حيال توجيهه Dignity USA بشكل كبير نحو الذكور.^(١)

وفي عام ١٩٨٦، أصدر التجمع النسائي الإنجيلي والمسكوني (EEWC)، المعروف سابقًا باسم التجمع النسائي الإنجيلي الدولي، قرارًا يعترف بحقوق الأشخاص المثليين جنسيًا، مؤكدًا على أنهم أبناء الله وخلقوا متساوين في نظر الله، ويعكس هذا القرار الدعم للأقلية المثلية في EEWC والتزامه بحماية حقوقهم المدنية.^(٢)

كما أظهرت دراسة استقصائية أن النساء المثليات يمكن أن يواجهن "تنافرًا" بين هوياتهن الدينية والجنسية، وكان هذا التنافر يرتبط بالتزامهن المسيحي الإنجيلي قبل التعامل مع هذه التحديات.^(٣)

ازدواجية الميول

قليلة هي الكنائس التي أصدرت بيانات حول ازدواجية الميول الجنسية، وقد أثرت هذه القضية على البحث في المجتمع المسيحي ثنائي الجنس، حيث يعتبر المسيحيون المخشون في كثير من الأحيان مماثلين للمثليين والمثليات، وعلى الرغم من ذلك، في عام ١٩٧٢، أصدرت لجنة الأصدقاء المعنية بالازدواجية الجنسية في مجموعة كويكر "بيان إثاكا بشأن ازدواجية الميول الجنسية" الذي يدعم الأفراد ذوي الهويات

(١) ديانا إف، مورو، لوري ميسينجر (٢٠٠٦) التوجه الجنسي والتعبير الجنساني في ممارسة العمل الاجتماعي، مطبعة جامعة كولومبيا، ص ٢٦٥.

(٢) إتنغوف، سي ودايوت، (٢٠١٤) وجهات نظر الأطباء حول تفاوض العائلات الدينية والرجال المثليين على الكشف عن التوجه الجنسي والتعيز، ص ٢٧٥.

(٣) سترايكر، سوزان (٢٠٠٨) تاريخ المتحولين جنسياً، بيركلي، كاليفورنيا، مطبعة سيل، ص

ثنائية الجنس، ويُعتبر هذا البيان "أول إعلان علني لحركة المخنثين"، وكان بالتأكيد "أول بيان حول ازدواجية الميول الجنسية صادر عن جمعية دينية أمريكية"، ونشر في مجلة أصدقاء الكويكرز والمحامي في عام ١٩٧٢. واليوم، تظهر آراء مختلفة بين الكويكرز حول حقوق المثليين، حيث تقبل بعض المجموعات الكويكرز هذه القضية أكثر من غيرها.^(١)

وقد أصدرت دائرة عقيدة الإيمان في الفاتيكان إرشادات تؤكد جواز منح سر المعمودية للبالغين المتحولين جنسياً بشروط مشابهة للرشدين الآخرين، مع الحرص على عدم تسبب الأمر في فضيحة أو إرباك بين المؤمنين الكاثوليك، وأشارت إلى إمكانية منح سر المعمودية للأطفال أو المراهقين المتحولين جنسياً إذا رغبوا في ذلك وكانوا مستعدين لتلقي السر المقدس، والإرشادات تأتي في سياق المناقشات داخل الكنيسة الكاثوليكية حول رعاية مجتمع الميم، مع التركيز على مفهوم المرافقة، وقد وقع على الوثيقة البابا فرنسيس ورئيس الدائرة الكاردينال فيكتور فرنانديز.^(٢)

وفي مقابلة حصريّة مع وكالة "أسوشيتد برس"، أعلن بابا الفاتيكان فرانسيسكو أن "المثلية الجنسية ليست جريمة"، وانتقد القوانين التي تجرم هذه الممارسة ووصفها بأنها "غير عادلة" وأكد أن "الرب يحب كل أطفاله تماماً كما هم"، داعياً الأساقفة الكاثوليك إلى

(١) ميلز، روبرت (٢٠١٥) رؤية اللواط في العصور الوسطى، مطبعة جامعة شيكاغو، ص ٨٧.

(٢) الفاتيكان: يستطيع بعض المتحولين جنسياً تأدية دور العزّابين أو الأشابين: مقال، بقلم: فريق عمل آسي مينا، منشور بتاريخ ١٦ / ١١ / ٢٠٢٣ على موقعهم على الإنترنت،

[/https://www.acimena.com](https://www.acimena.com)

الترحيب بالمثلين في الكنيسة، وأقر بوجود دعم لتلك القوانين من بعض الأساقفة، لكنه دعاهم إلى الاعتراف بكرامة الجميع والخضوع لعملية تغيير نحو فهم أفضل لهذه القضية، وأكد البابا، خلال مهرجان روما للأفلام، أن "للمثلين حق في تكوين أسرة"، معتبراً إياهم "أبناء الرب"، وشدد على ضرورة عدم طرد أو تحويل أي شخص بسبب توجههم الجنسي، وفي بداية عام ٢٠٢٢، دعا آباء الأطفال المثليين إلى دعم أبنائهم، مؤكداً أنه يجب على الآباء أن لا يتجنبوا مناقشة هذا الموضوع وأن يقدموا الدعم لأبنائهم، وأشار إلى أن الكنيسة - برغم عدم قبولها لزواج المثليين - فيمكنها دعم قوانين الاتحاد المدني التي تمنح الشركاء المثليين حقوقاً مشتركة في مجالات مثل الرواتب والرعاية الصحية والميراث.^(١)

إلا أن البابا فرنسيس وفيما يخص المتحولين جنسياً فإنه يطلق على هذه الظاهرة اسم "إبادة الإنسان" ويرتبط ذلك بالتطورات الأخيرة في المدارس الأميركية حيث يُعلّم الأطفال مفاهيم غير صحيحة حول طبيعتهم البشرية، ويعتبر البابا أنهم يستهدفون الأطفال ويُقنعونهم بأنه من حقهم اختيار جنسهم والتصرف بجسدهم، ويؤكد البابا على أهمية تعليم الأطفال أن يحبّوا أنفسهم كما هم، ويُعارض فكرة إعطاءهم سلطة لتغيير جسدهم، ويشير إلى أن رفض الجنس البيولوجي يشكل إلغاءً لصورة الله في الإنسان، ويذكر أن الله خلق الإنسان على صورته وشبهه، ذكر وأنثى. يؤكد أيضاً على أن التحول

(١) البابا فرانسيسكو: المثلية الجنسية ليست جريمة، تحقيق صحفي منشور على موقع

الجزيرة نت، بتاريخ ٢٥/١/٢٠٢٣ <https://www.aljazeera.net>

الجنسي يُشوّه صورة الله في الإنسان ويُعتبر إلغاءً لها، مشيرًا إلى أهمية الاحتفاظ بالتركيبة البيولوجية.^(١)

المطلب الثاني: التحول الجنسي في الإسلام

مما مر من تفاصيل حول التحول الجنسي، يتبين لنا أنه نتيجة من نتائج الشذوذ الجنسي، ومعلوم لدى القارئ الكريم حكم الإسلام في الشذوذ الجنسي، عند الرجال وعند النساء، وما قصة قوم سيدنا لوط عنا ببعيد، فقد بين القرآن الكريم قصة شذوذهم، وتحذير سيدنا لوط لهم، وعدم طاعتهم له، فكان نتيجة ذلك أن جعل ربنا عالي القرية سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَتَأْتُونَ
الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ۚ ٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ٨١ وَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ ۖ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ٨٢
فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۖ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ٨٣ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا
فَآنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ٨٤﴾.^(٢)

كما أن المقام لا يسمح لنا في هذا البحث المختصر في بيان حكم اللواط في الفقه الإسلامي، وعقوبته؛ فقد أشبع دراسة وبحثًا، فالإسلام حرّم الشذوذ الجنسي تحريماً قاطعاً، بل وجعل له عقوبة صارمة، رادعة للفرد والمجتمع، إلا أننا لا بد لنا من إيراد فتاوى العلماء

(١) التحول الجنسي... حرية أم عبودية؟ مقال بقلم: صونيا السمراني، منشور على موقع

أبرشية أنطلياس المارونية، ٢٤/١٠/٢٠١٦م [/https://anteliasdiocese.com](https://anteliasdiocese.com)

(٢) سورة الأعراف: ٨٠ - ٨٤.

المعاصرين فيما يخص التحول الجنسي، وسنذكر بعض النماذج وعلى النحو الآتي، الفتوى رقم (٥٥٧٤٤):

السؤال: لدي صديق عمره ٢٦ سنة، ليس لديه الرغبة في الزواج من امرأة، له الرغبة في الرجال وهو يرغب بالتحول إلى أنثى علماً بأنه كامل الذكورة يستمني، تقريره الطبي يؤيد ذلك ما هو العلاج الناجح له، أفيدونا جزاكم الله خيراً، علماً بأن أهله يرفضون فكرة التحول إلى أنثى ويهددونه بالقتل؟

الإجابة: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد: فلا يجوز لأحد الإقدام على تحويل جنسه إلى جنس آخر لما في ذلك من تغيير لخلق الله تعالى، والذي هو من عمل الشيطان، فقد قال فيما حكى الله تعالى عنه: ﴿وَلَأْمُرَهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾^(١) وليعلم هذا الشاب أنه في ابتلاء فالواجب عليه أن يتقي الله ويصبر، وأن يجتهد في كف نفسه عن الميل إلى الرجال، لأن هذا أمر خطير وانحراف في الفطرة، وينبغي أن يراجع الثقات من الأطباء المختصين في علم النفس ليكونوا عوناً له في علاج هذا الجانب النفسي، وليكثر من دعاء الله تعالى أن يزيل كربته، وليعلم أنه إن صدق الله تعالى صدقه سبحانه، ولا ينبغي له أن يتجاسر عن الإقدام على الزواج من امرأة، فلعل ذلك يكون معيناً له في العلاج. ولكن إن ثبت بتقرير الأطباء الموثوق بهم أن خصائص هذا الشاب الأنثوية هي الغالبة، فلا حرج إن

(١) سورة النساء: ١١٩.

شاء الله تعالى في إجراء عملية تحويل الجنس، ولا ينبغي لأهله الاعتراض عليه، لما في بقائه على ذلك الحال من العنت والمشقة التي لا تحتمل.^(١)

وكذلك الفتوى رقم ١٧٧١، حيث جاء فيها:

السؤال: أنا سيدة مسلمة لا أشعر بأنوثتي وأشعر في داخل نفسي أنني رجل وقد تزوجت ولكن كنت أشعر أن رجلا يعاشر رجلا وانتهى الزواج بالطلاق علما بأن الأطباء قالوا بأن الأجهزة الأنثوية طبيعية السؤال: هل يجوز لي شرعا أن أجري عملية تحويل جنسي من الأنثى إلى الذكر رغم أنني لست خنثى وعلما بأن أجهزتي الأنثوية كاملة أرجو الإجابة مفصلة وبالأدلة الشرعية الكاملة وشكرا

الإجابة: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد: فعليك أن تتقي الله تعالى وترضي بما قسم لك وبما خلقك عليه من أنوثة، وأسأل الله تعالى أن يصرف عنك ما ابتلاك به، ولا تترك الشيطان يلعب بك ويزين لك ما لا تحمد عقباه، وعملية التحويل التي ذكرت لا تجوز لما فيها من تغير خلق الله تعالى، وذلك من عمل الشيطان الذي تعهد أنه سيغوي به بني آدم قال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ١١٧ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ١١٨ وَلَأُضِلَّهُمْ وَلَأُمَرِّيَهُمْ فَلَيُبْتِغْنَ ءِاذَانَ الْأَنْعَمِ وَلَأُمرِّيَهُمْ فَلَيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ١١٩ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا

(١) الفتوى رقم (٥٥٧٤٤) بتاريخ ١٨ / ١١ / ٢٠٠٤ م، إسلام ويب،

<https://www.islamweb.net/ar/fatwa/55744>

يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ١٢١ ﴿^(١)﴾. وننصحك أن تلجئي إلى العلاج المشروع الذي يذهب عنك هذا الشعور بأن يكون علاجاً طبيعياً أو رقي شرعية، لا لجوءاً إلى سحرة أو مشعوذين. ثم إن عليك أن تنتبهي إلى أن ميل المرأة إلى أن تكون رجلاً يعنى أنها تستمتع بالنساء كما يستمتع بهن الرجال، وهذا لا يقل خطورة عن ميل الرجل إلى أن يكون مستمتعاً بالرجال أو مستمتعين به، ولا يخفى أن هذا انحراف خطير عن الفطرة، وقد أهلك الله بسببه قوم لوط وأنكر عليهم سماحهم لأنفسهم بأن يحولوا مسلك غرائزهم التي فطرهم الله عليها، ولو أنهم كبجوا جماع الأنفس لعادت إلى مسارها الصحيح ولكنهم اتبعوا أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله. والله أعلم.^(٢)

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فيمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها البحث بما يلي:

- المتحولون جنسيا: هم أشخاص يغيرون هويتهم الجنسية عن تلك المتعلقة بجنسهم المحدد عند الولادة، ويشمل الراغبين في التحول الطبي من جنس إلى آخر، وأيضا الأفراد غير الثنائيين أو المثليين
- في عام ١٩٩٢م أقر المؤتمر الدولي لقانون المتحولين جنسيا وسياسة التوظيف المتحولين جنسيا أنهم مصطلح شامل يشمل

(١) سورة النساء: ١١٧-١٢١.

(٢) الفتوى رقم (١٧٧١) بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٠م، موقع إسلام ويب،

<https://www.islamweb.net/ar/fatwa/1771>.

"المتحولين جنسيا" بكافة أشكالهم. وتوجد إجراءات قانونية في بعض الولايات الأمريكية تسمح بتغيير جنس واسم الأفراد ليعكس هويتهم الجنسية، وتتنوع متطلبات هذه الإجراءات، ويشمل ذلك تشخيصا رسميا للتحول الجنسي أو اضطراب الهوية الجنسية

- فيما يخص مخاطر التحول الجنسي بالنسبة للنساء المتحولات جنسياً، يسبب تناول هرمون الاستروجين زيادة في نمو أنسجة الثدي، مما يؤدي إلى زيادة حجمها وحساسيتها، ويمكن أن تتراوح هذه الحساسية بين الممتعة والمؤلمة حسب الشخص ونوع التحفيز

- وأما مخاطر التحول الجنسي للرجال فمن الممكن أن يزيد تناول هرمون التستوستيرون للرجال المتحولين جنسياً من عرضتهم للإصابة بالتهابات المسالك البولية، خاصة إذا كان لديهم اتصال مهبلي استقبالي.

- تعتبر معظم الطوائف المسيحية السلوك والأفعال الجنسية المثلية خاطئة، وتدين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية رسمياً النشاط الجنسي المثلي، في حين اتخذت بعض الطوائف البروتستانتية موقفاً داعماً لمباركة رجال الدين المثليين وزواج المثليين، ويظل هناك بعض الطوائف الأخرى التي لا تؤيد هذه الآراء، فالمسيحية في أصلها تحرّم الشذوذ الجنسي والتحول الجنسي، إلا أن بعض الكنائس أصبحت اليوم تدعم هذه الأفعال الشنيعة، التي تخالف الطبيعة التي خلقنا الله عليها، في محاولة منهم لتدمير المجتمعات.

- أما في الإسلام، فالتحول الجنسي هو نتيجة من نتائج الشذوذ الجنسي، وإن حكم الإسلام في الشذوذ الجنسي، عند الرجال

وعند النساء، الحرمة القطعية، ويستحق من ثبتت عليه هذه الجريمة
العقاب الشديد

ماهية النفس الإنسانية تزكيتها ومراتبها بين التصوف الإسلامي والموروث اليهودي والمسيحي

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه
سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن ربنا تبارك وتعالى أقسم بالنفس الإنسانية في القرآنية
لأهميتها، وبين أن المفلحين هم من يطهرون أنفسهم ويزكونها مما فيها
من أمراض وأدران، فقال في محكم التنزيل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۚ
فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ ۸ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۙ ۹ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا
ۚ ۱۰﴾^(١).

وإن البحث في النفس الإنسانية من الأبحاث المفيدة النافعة؛ إذ
أن كل ما في الأرض من شرور وجرائم إنما مصدره النفس الأمارة،
وقرینها الشيطان الرجيم، فمعرفة حقيقة النفس وتزكيتها وتطهيرها من
أسى الغايات، وأفضل القربات، وإن هذا البحث يبين ما ورد في القرآن
الكريم والكتاب المقدس من نصوص تفصّل القول في حقيقة النفس
الإنسانية، وتبين مراتبها والفروق بينها، وفق المنهج الوصفي.

وتتمثل إشكالية البحث في بيان مفهوم النفس عند علماء
المسلمين ورجال الدين من أهل الكتاب، وبيان ماهية التصوف، وهل
لنفس الإنسانية مراتب؟ وما هي الطرق التي بينها الشريعة الإسلامية
لتزكيتها، وهل ثمة ذكر لأهمية تزكية النفس في الموروث الديني لدى
أهل الكتاب.

وأما الدراسات السابقة، فلم أقف على بحث أو رسالة أو كتاب
يتكلم عن تزكية النفس وفق المنهج الأكاديمي ويدرسها في الأديان
السماوية.

(١) سورة الشمس: ٧ - ١٠.

وقد اقتضت المادة العلمية تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، كان المبحث الأول منها في تعريف النفس في اللغة، والاصطلاح، وتعريف النفس في الكتاب المقدس، ثم تعريف التصوف، وأما المبحث الثاني فتكلمت فيه عن تزكية النفس عند السادة الصوفية، وقسمته مطالب تخص مراتب النفس الإنسانية، ثم سبل تزكية النفس ونتائجها، ثم يأتي المبحث الثالث، ويخص تزكية النفس وتطهيرها في الكتاب المقدس، وجعلته في مطلبين، كان الأول منها في سبل تزكية النفس، والثاني نتائج تزكية النفس في الكتاب المقدس.

هذا، وطلبا للاختصار؛ لم أذكر بطاقات الكتب عند ذكرها لأول مرة في الهامش.

ومن الله التوفيق، هو نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول: التعريفات

المطلب الأول: تعريف النفس في اللغة:

النَّفْس، وجمعها النُّفُوس: لها معان متعددة، فالنَّفْسُ هي: "الروح الذي به حياة الجسد، وكلّ إنسانٍ نَفْسٌ حتّى آدم عليه السلام، سواء الذَّكَرُ والأنثى، وكلُّ شيءٍ بعينه نَفْسٌ، ورجلٌ له نَفْسٌ، أي: خُلِقَ وِجْلادة وسَخاء".^(١)

والنَّفْس: "مِلء الكَفِّ من الدِّبَاغ. ويحكى أن أمةً من بعض إماء العرب جَاءَت مستعجلةً الى قوم فَقَالَت لَهُمْ: تقول لكم مولاتي: أعطوني نَفْساً أو نَفْسَيْنِ فَإِنِّي أَفِدّة، أي مستعجلة... وأصابني فلانا نَفْسٌ، أي

(١) العين: ٧ / ٢٧٠ مادة (ن ف س).

عَيْن... وَالنَّفْسُ: الْمَاءُ، سُيِّ نَفْساً لِأَنَّ بِهِ قِوَامَ النَّفْسِ، وَالنَّفْسُ: الدَّم...
وَرَجُلٌ نَفُوسٌ، إِذَا كَانَ يُصِيبُ النَّاسَ بِالْعَيْنِ".^(١)

وقيل: سُميت النفس نفساً، لتولّد النفس منها، واتصاله بها؛
كما سَمُوا الروح روحاً؛ لأن الروح موجود بها، وبعض اللغويين يُسَوِّي
بين النفس والروح فيقول: هما شيء واحد، إلاّ أنّ النفس مؤنثة،
والروح مذكّر.^(٢)

وَرُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: "لِكُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسَانِ: أَحَدُهُمَا:
نَفْسُ الْعَقْلِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا التَّمْيِيزُ، وَالْأُخْرَى نَفْسُ الرُّوحِ الَّتِي بِهَا الْحَيَاةُ"
وقيل: الرُّوحُ هُوَ الَّذِي بِهِ الْحَيَاةُ، وَالنَّفْسُ هِيَ الَّتِي بِهَا الْعَقْلُ، فَإِذَا نَامَ
النَّائِمُ قَبَضَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَلَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ، وَلَا يَقْبِضَ الرُّوحُ إِلَّا عِنْدَ
الْمَوْتِ، وَسَمَّيَتِ النَّفْسُ نَفْساً لِتَوْلُدَ النَّفْسَ مِنْهَا، وَاتِّصَالَه بِهَا، كَمَا
سَمَّوَا الرُّوحَ رُوحاً، لِأَنَّ الرُّوحَ مَوْجُودٌ بِهِ.^(٣)

قال الشاعر:

نَجَا سَالِمٌ وَالنَّفْسُ مِنْهُ بِشِدْقِهِ وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جَفَنٌ
سَيْفٌ وَمِئْزَرٌ^(٤)

أي بجفن سيف ومئزر، وتأتي النفس بمعنى الدم؛ يقال: سالت
نَفْسُهُ، أي دمه، وفي الفقه "ما ليس له نَفْسٌ سَائِلَةٌ فَإِنَّهُ لَا يُنَجِّسُ الْمَاءَ
إِذَا مَاتَ فِيهِ" وَالنَّفْسُ أَيْضاً: الْجَسَدُ. وقال الشاعر:

(١) جمهرة اللغة: ٢/ ٨٤٨ مادة (س ف ن).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٢/ ٣٧٤.

(٣) تهذيب اللغة: ١٣/ ٨ مادة (س ن ف).

(٤) البيت من البحر الطويل، وهو لحذيفة بن أنس الهذلي. ينظر: العقد الفريد ٥/ ٢٤٤،
وقيل لأبي خراش الهذلي، وقيل لغيره ينظر: تذكرة النحاة ص ٥٢٦، وجمهرة اللغة ص
١٣١٩.

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي سُحَيْمٍ أَدْخَلُوا أَبْيَاتَهُمْ تَامُورَ نَفْسِ الْمُتَذَرِّ (١)
"وَأَمَّا قَوْلُ الْعَرَبِ: ثَلَاثَةُ أَنْفُسٍ، فَيَذَكِّرُونَهُ لِأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ بِهِ
الْإِنْسَانَ... وَالنَّافِسُ: الْخَامِسُ مِنْ سَهَامِ الْمَيْسَرِ، وَيُقَالُ هُوَ الرَّابِعُ". (٢)

المطلب الثاني: النفس اصطلاحاً

يَعْرِفُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ النَّفْسَ بِأَنَّهَا: "الْقُوَّةُ الَّتِي بِهَا جِسْمُ الْحَيِّ حَيًّا، وَيَسْتَدِلُّ عَلَى إِثْبَاتِهَا بِمَا يَظْهَرُ مِنَ الْأَفْعَالِ عَنْ جِسْمِ الْحَيِّ عِنْدَ تَصَوُّرِهِ بِهَا، النَّفْسُ الْكَلِيَّةُ فِي مِثْلِ الْإِنْسَانِ الْكَلِيِّ الَّذِي هُوَ نَوْعٌ كَزَيْدٍ وَعَمْرُو وَجَمِيعُ أَشْخَاصِ النَّاسِ كَذَلِكَ، وَالنَّفْسُ الْعَامَّةُ هِيَ الَّتِي تَعْمُ نَفْسُ زَيْدٍ وَعَمْرُو وَكُلِّ شَخْصٍ مِنْ أَشْخَاصِ الْحَيَوَانِ وَلَا وَجَدَ لَهَا إِلَّا بِالْوَهْمِ كَمَا لَا وَجُودَ لِلْإِنْسَانِ الْكَلِيِّ إِلَّا بِالْوَهْمِ وَكَذَلِكَ الْعَقْلِيُّ الْكَلِيُّ، وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ نَفْسًا كَلِيَّةً لَهَا وَجُودٌ بِالذَّاتِ كَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْفَلَسَفَةِ فَلَا". (٣)

وَفِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالنَّفْسِ وَالرُّوحِ قِيلَ: الْعَقْلُ جَوْهَرٌ مُجَرَّدٌ عَنِ الْمَادَّةِ، وَهُوَ الَّذِي يَدْرِكُ الْمَعَانِي الْكَلِيَّةَ وَالْحَقَائِقَ الْمَعْنَوِيَّةَ. مُشْتَقٌّ مِنْ عَقَلَ الْبَعِيرِ عَقْلًا، إِذَا شَدَّهُ، سَمِيَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ عَنِ ارْتِكَابِ مَا لَا يَنْبَغِي، مِثْلَ الْعَقَالِ وَهَذَا الْجَوْهَرُ سَمِيَ نَفْسًا بِاعْتِبَارِ تَعْلُقِهِ بِالْبَدَنِ، وَهِيَ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ، وَيَسَمَّى عَقْلًا بِاعْتِبَارِ نَسْبَتِهِ إِلَى عَالَمِ الْقُدُسِ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْإِشْتِقَاقِ. أَمَّا النَّفْسُ فَتَطْلُقُ عَلَى النَّفْسِ الَّتِي تَنْطَقُ، وَهِيَ الْمَعْبَرُ عَنْهَا بِقَوْلِكَ: (أَنَا) وَهِيَ الَّتِي عَنِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ (٤) وَتَطْلُقُ عَلَى الْعَقْلِ

(١) ديوان أوس بن حجر: ٤٧ وهو من البحر الكامل، والتامور: الدم.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٩٨٤ / ٣.

(٣) مفاتيح العلوم: ١٥٧.

(٤) سورة المائدة: ٤٥.

باعتبار تعلقه بالبدن، وهي النفس الناطقة، وتطلق أيضا وعلى القوة الداعية إلى الشرور، والموقعة صاحبها في المحذور، وهي التي عنى الله سبحانه بقوله: ﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾^(١) وتطلق وعلى الروح أيضا، كما ورد في الاخبار... فيحصل من ذلك أن للعقل ثلاث إطلاقات، وللنفس أربعة وإن كلا منهما يطلق على الآخر في مادة وتنفرد النفس في ثلاث، فيكون بينهما عموم وخصوص من وجه، وأما الروح: فهي ما به الحياة، وقد تطلق على النفس أيضا.^(٢)

وقد وردت كلمة (نفس) في القرآن الكريم مئتين وثمانين وستين مرة، بصيغ كثيرة، منها (أنفسهم، أنفسكم، نفس، نفسه، أنفسهن، أنفسنا، نفسي، النفس) وهذا يدل على مكانة النفس وأهميتها في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: ماهية النفس في الكتاب المقدس

تدل النفس على الإنسان في كليته، باعتباره منتعشا بروح الحياة، وهي لا تكون قط جزءا يشكل مع الجسم الكائن الإنساني، فالنفس - بالمعنى الدقيق - لا تسكن جسدا، وإنما تعبر عن ذاتها بواسطة الجسم، الذي يعتبر هو أيضا - أسوة بالجسد - دالا على الإنسان بكليته، وإذا كانت النفس بسبب علاقتها بالروح الأسى، هي الدليل في الإنسان على أصله الروحي، فهذه الروحانية تغرس جذورها بعمق في العالم الملموس، كما يتضح من التوسع في الاستعمال الجاري للفظه نفس.^(٣)

(١) سورة يوسف: ٥٣.

(٢) ينظر: معجم الفروق اللغوية: ٥٢١.

(٣) معجم اللاهوت الكتابي: ٨١١.

وفي أساليب الكتاب المقدس، تتصل الألفاظ المعبرة عن النفس - بصفة مباشرة - بصورة النسمة، وهي (نفش) في اللغة العبرية، فالنسمة أو التنفس هما في الواقع العلامة المثلى للحياة، وكون الشخص حيا معناه أن الروح ما زالت فيه^(١) وعندما يموت الإنسان تنطلق النفس^(٢) وتفيض^(٣) أو تنسكب كالسائل^(٤) فإذا ما قام حيا من جديد فالنفس تعود إليه^(٥) ووفق نظرة شائعة تؤكد صراحة بعض الفلاسفات اليونانية، تكاد النفس تصبح مبدأ قائما مستمرا، مستقلا عن الجسم الذي تقيم فيه ومنه تخرج، وهذا مفهوم روحاني يعتمد - ولا شك - على الطابع الشبه لا مادي في النسمة، خلافا للحال في الجسم المادي، ولكن الرأي يختلف عند الساميين، فالنسمة تظل غير قابلة للانفصام عن الجسم الذي تنعشه، فهي تشير فقط إلى الصورة التي عليها تظهر الحياة الملموسة في الإنسان، وقبل كل شيء عن طريق ما يتحرك فيه، حتى عندما يكون الظاهر غير متحرك، بينما الإنسان نائم، أفلا يكون ذلك أحد الأسباب العميقة التي أدت إلى جعل النفس والدم واحدا^(٦) فالنفس تكون في الدم^(٧) بل هي الدم ذاته^(٨) وهي الإنسان الحي^(٩).

(١) صموئيل ١: ٩.

(٢) تكوين ٣٥: ١٨.

(٣) إرميا ١٥: ٩.

(٤) إشعيا ٥٣: ١٢.

(٥) ١ ملوك ١٧: ٢١.

(٦) مزمو ٧٢: ١٤.

(٧) لاويين ١٧: ١٠ - ١١.

(٨) لاويين ١٧: ١٤.

(٩) معجم اللاهوت الكتابي: ٨١١.

المطلب الرابع: تعريف التصوف

تعريف التصوف - وإن كان أشبع دراسة - فلا بد من المرور عليه سريعاً، فالتصوف في اللغة: مأخوذ إما من الصف الواحد، أو الصوف، أو أهل الصفة، أو الصفاء، على خلاف بين العلماء، "فأما قَوْل من قَالَ إنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف، كَمَا يقال: تَقَمَّص إذا لبس القميص فذلك وجه، لكن الْقَوْم لَمْ يختصوا بلبس الصوف، ومن قَالَ إنهم منسوبون إِلَى صفة مَسْجِد رَسُول اللَّهِ ﷺ فالنسبة إِلَى الصفة لا تَجِيء عَلَى نَحْو الصوفي ومن قَالَ: إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد فِي مقتضى اللغة، وقول من قَالَ: إنه مشتق من الصف فكأنهم فِي الصف الْأَوَّل بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تَعَالَى فالمعنى صحيح، ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إِلَى الصف".^(١)

في حين يرى البعض أن الكلمة مشتقة من (الصوفانة) وهي بقلة رعناء قصيرة فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء، وهذا أيضاً غلط لأنه لو نسبوا إليها لقليل صوفاني، وقال آخرون هو منسوب إِلَى صوفة القفا وهي الشعرات النابتة فِي مؤخره كأن الصوفي عطف به إِلَى الحق وصرفه عَن الخلق.^(٢)

ولا يمكن الترجيح بين هذه الآراء اللغوية؛ إذ أنها كلها تحتمل الصواب.

(١) الرسالة القشيرية: ٣ / ٤٤٠.

(٢) ينظر: تلبيس إبليس: ١٤٦.

وأما في الاصطلاح فقد كثرت التعريفات، إلا أنها جميعها متقاربة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

فقد عرفه زكريا الأنصاري بأنه: "علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية". وعرفه الشيخ أحمد زروق بأنه: "علم قصد لإصلاح القلوب وإفرادها لله سبحانه وتعالى عما سواه، والفقهاء لإصلاح العمل وحفظ النظام وظهور الحكمة بالأحكام. والأصول «علم التوحيد» لتحقيق المقدمات بالبراهين وتحلية الإيمان بالإيقان. وقال أيضا: وقد حُدِّدَ التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين مرجع، كلها لصدق التوجه إلى الله، وإنما هي وجوه فيه". وعرفه الجنيد البغدادي بأنه: "استعمال كل خلق سني، وترك كل خلق دني". وعرفه أبو الحسن الشاذلي بأنه: "تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية". ونختم بتعريف ابن عجيبة: "التصوف هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل، وتحليلتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة"^(١).

المبحث الثاني: تزكية النفس ومراتبها عند الصوفية

المسلمين

المطلب الأول: مراتب النفس الإنسانية

يحدّد بعض العلماء مراتب النفس الإنسانية بثلاثة مراتب، وبعضهم جعلها أربعة، في حين أوصلها بعضهم إلى سبعة، فأما القائلون

(١) ينظر: هامش الرسالة القشيرية: ٧، قواعد التصوف، لأحمد زروق، قاعدة ١٣ ص ٦، النصرة النبوية، لمصطفى المدني: ٢٢، نور التحقيق، لحامد صقر: ٩٣، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، لأحمد بن عجيبة الحسني: ٤.

بأنها ثلاثة مراتب، فهم اعتمدوا على ظاهر ما ورد في القرآن الكريم من آيات كريمة تصف حالة النفس الإنسانية، وهذه المراتب هي:

المرتبة الأولى: النفس الأمارة بالسوء

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٣﴾^(١) قالوا إن النفس الإنسانية شيء واحد... إذا مالت إلى الشهوة والغضب كانت أمارة بالسوء، وكونها أمارة بالسوء يفيد المبالغة والسبب فيه أن النفس من أول حدوثها قد ألفت المحسوسات والتذت بها وعشقتها، فأما شعورها بعالم المجردات وميلها إليه.^(٢) وقيل قديماً: رأس الطواغيت كلها النفس الأمارة بالسوء، لأن الشيطان لا يقدر على الإنسان إلا من طريق هوى النفس، فإن أحس منها بما تهم به ألقى إليها الوسوسة.^(٣)

المرتبة الثانية: النفس اللوامة

قال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ٢﴾^(٤) فكل نفس متوسطة ليست بالمطمئنة ولا بالأمارة بالسوء، فإنها لوامة في الطرفين مرة تلوم على ترك الطاعة، ومرة تلوم على فوت ما تشتهي، فإذا اطمأنت خلصت وصفت.^(٥)

(١) سورة يوسف: ٥٣.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي: ٤٧١ / ١٨.

(٣) تفسير التستري: ٣٧.

(٤) سورة القيامة: ٢.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية: ٤٠٢ / ٥.

في حين يرى بعض العلماء أن النفس اللوامة هي التي اكتسبت بعض الفضيلة، فتلوم صاحبها إذا ارتكب مكروهاً، فهي دون النفس المطمئنة، وقيل: بل هي النفس التي اطمأنت في ذاتها، وترشحت لتأديب غيرها؛ فهي فوق النفس المطمئنة.^(١)

المرتبة الثالثة: النفس المطمئنة (المزكاة)

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۙ﴾^(٢) فاللوامة تلوم على فعل الشر، والأمانة تأمر به، والمطمئنة ساكنة لما وعدت ومتواضعة لقبول ما به أمرت، خاضعة تحت مجاري الأقدار، خاشعة لله الواحد القهار. ثم قيل: هي ثلاث نفوس على ظاهر القرآن، وقيل: نفس واحدة لها ثلاث قوى أو ثلاثة أحوال، تارة تلوم، وتارة أمر، وتارة تطمئن، والله-عز وجل- أعلم بخلقه.^(٣) والذي عليه أكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم أن النفس الإنسانية واحدة ولها صفات: منها الأمانة بالسوء، ومنها اللوامة، ومنها المطمئنة فهذه الثلاث المراتب هي صفات لنفس واحدة فإذا دعت النفس إلى شهواها مالت إليها فهي النفس الأمانة بالسوء فإذا فعلتها أتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات ويحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمئنة، وقيل: إن النفس أمانة بالسوء بطبعها فإذا تزكت وصفت من أخلاقها الذميمة صارت مطمئنة.^(٤)

(١) حاشية الطيبي على الكشف: ١٥٧/١٦.

(٢) سورة الشمس: ٩.

(٣) الإشارات الإلهية للطوفي: ٦٦٦.

(٤) لباب التأويل للخازن: ٥٣٤/٢.

وأما من قالوا بأن للنفس أربعة مراتب، فقد أضافوا إليها:
النفس الملهمة، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۚ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا﴾^(١).

يقول المفسرون: ان الحاجة الى التعبير انما هي في مرتبة النفس
الامارة واللّوامة وإذا وصل السالك الى النفس الملهمة، قل احتياجه الى
التعبير لأنه حينئذ يكون ملهما من الله تعالى.^(٢)

وأما من يرون أن للنفس سبع مراتب، فقد أضافوا إليها،
الراضية والمرضية، والكاملة، وللسادة الصوفية قدست نفوسهم
كلام طويل في تقسيم مراتب النفس وقالوا إن الآية متضمنة لمراتب
ثلاث منها المطمئنة والراضية والمرضية وفسروا كلا بما فسروه.^(٣)

بناء على ما تقدم، فقد ذكر القرآن الكريم للنفس خمس
مراتب: الأمانة بالسوء، واللّوامة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية،
ويزاد: الملهمة، والكاملة، فالأمانة بالسوء هي التي تأمر صاحبها بالسوء،
ولا تأمر بالخير إلا نادرا، وهي مقهورة، ومحكومة للشّهوات. وإن سكنت
لأداء الواجبات الإلهية، وأذعنت لاتباع الحق؛ لكن بقي فيها ميل
للشّهوات؛ سمّيت: لؤامة، وإن زال هذا الميل، وقويت على معارضة
الشّهوات، وزاد ميلها إلى عالم القدس، وتلقّت الإلهامات؛ سمّيت:
ملهمة. فإن سكن اضطرابها، ولم يبق للنفس الشّهوانية حكم أصلا؛
سمّيت: مطمئنة، فإن ترقّت من هذا، وأسقطت المقامات من عينها،
وفنيت على جميع مراداتها؛ سمّيت: راضية، فإن زاد هذا الحال عليها؛

(١) سورة الشمس: ٨.

(٢) روح البيان: ١٠ / ٤٧٠.

(٣) ينظر: روح المعاني للآلوسي: ١٥ / ٣٤٨.

صارت مرضية عند الحقّ، وعند الخلق، فإن أمرت بالرجوع إلى العباد
لإرشادهم، وتكميلهم؛ سمّيت كاملة، فالنفس سبع طبقات، ولها سبع
درجات، كما ذكرت، وقدمت.^(١)

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: ٤٦/١.

المطلب الثاني: سبل تزكية النفس ونتائجها

إن اجتماع القلب يكون مع طيب النفس وطمأنينتها بالإيمان أو فلاحها بالتزكية والرضا، قال الرسول ﷺ : ((طيب النفس من النعيم))^(١) وقال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ ٩﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ ٢٨﴾^(٣) فيكون متوحدًا بالروح مخلقة بأخلاق الإيمان مواطنة للقلب بمشاهدة اليقين.^(٤)

وقد رد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)) قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: ((جهاد النفس)).^(٥)

(١) سنن ابن ماجه، أبواب التجارات، باب الحث على المكاسب، ٢٧٣/٣ برقم (٢١٤٠)، المستدرک على الصحيحين للحاكم، كتاب البيوع، ٣/٢ برقم (١١٣١) وقال عنه الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ مَدْنِيٌّ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَالصَّحَّاحِيُّ الَّذِي لَمْ يُسَمِّهِ سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ هُوَ يَسَارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُهَنِيُّ" ووافقه الذهبي، وقال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن....

(٢) الشمس: ٩.

(٣) الفجر: ٢٨.

(٤) قوت القلوب: ١/٤٤٨.

(٥) الحديث: عن سيدنا جابر رضي الله عنه أنه قال: قدم على النبي ﷺ قوم غزاة فقال: "قدمتم خير مقدم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه". أخرجه الديلمي، وذكر الإمام السيوطي في الجامع الصغير: أن رسول الله ﷺ قال: "قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: مجاهدة العبد هواه" أخرجه الخطيب في التاريخ عن جابر وقال عنه السيوطي: ضعيف، وذكره الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء بلفظ: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" وقال: أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال: هذا إسناد فيه ضعف. جمع الجوامع الجامع الكبير: ٦/٢٠١ برقم (١٥٣٥٠).

فالنفس هي الرابطة بيننا وبين الله؛ فقد بين لها تعالى الفجور فجوراً ونهاها عنه، وبين لها التقوى تقوى وأمرها بها، والنفس عدو داخلي، والشيطان عدو خارجي، والعدو الخارجي لا يقدر أن يدخل الوسائوس إلا بواسطة العدو الداخلي، فإذا تزكت النفس ما بقي للشيطان سبيل، إذا أتى الشيطان إلى شخص رآه يقظاً يهرب؛ كان الرسول ﷺ يشهد لسيدنا عمر رضي الله عنه : (إِيمًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ) ^(١) فالذي يقبل النور هي النفس التي تزكت، فالنفس هي الأصل، أصل العقل، والروح، والقلب، والسر؛ لذلك ما كلف الله غيرها، كلفها وثقل عليها وقال ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ^(٢) النفس هي حقيقة الإنسان، لما يزكها الإنسان ويطهرها هي الوسيلة والواسطة بينه وبين الحق سبحانه وتعالى بالعلوم الدنية والعرفانية ويطلعه على الأسرار الموجودة كلها؛ لأجل ذلك الحق تعالى كلفها لكي لا تدعي وتنسب لها شيئاً، أما الذي يقول: (عملت، وضربت بالشيش، ورأيت مناماتٍ، وذكرت وبكيت..) اعلّموا أنه لم يعرف شيئاً البتة! نفهم أنه مدّع، لم يفهم شيئاً، أصعب شيء الادعاء الكاذب، يقول الصوفية: (كل مدّع مفضوح) مهما عملتم، مهما صليتهم، مهما صمتتم والنفس حية، بمجرد غلبة من الغضبات كل هذا يذهب هباءً! تريد النفس أن تنسب كل ذلك لها، والدعوى لا تأتي إلا من الجهل، الله خلقنا وخلق

(١) صحيح البخاري، ٣/١٣٤٧ برقم (٣٤٨٠) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن

الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه .

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦ .

عملنا، هذه يعرفها الذي طهر نفسه وزكاها، وعرف مصدر القوة الحقيقي ﴿إِنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾^(١) .^(٢)

وفي القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تفيد تزكية النفس، ومعرفة طريق تزكية النفس، تفيد استعداد النفس لقبول الهدايا إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وقال عز وجل ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٣) فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات؛ إذ الموجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والإرادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم ذكرناه وإن لم يكن لائقاً بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال.^(٤)

فمعنى الآية الكريمة: قد أفلح من كبرها وأعلاها بطاعة الله وأظهرها، وقد خسر من أخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله، وأصل التدسية: الإخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾^(٥) فالعاصي يدس نفسه في المعصية، ويخفي مكانها، يتوارى من الخلق من سوء ما يأتي به، وقد انقمع عند نفسه، وانقمع عند الله، وانقمع عند الخلق، فالطاعة والبر تكبر النفس وتعزها وتعليها، حتى تصير أشرف

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

(٢) السيد النبهان: ١٨٧/٢.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٤) إحياء علوم الدين: ٢٨٣/٣.

(٥) سورة النحل: ٥٩.

شيء وأكبره، وأزكاه وأعلاه، ومع ذلك فهي أذل شيء وأحقره وأصغره لله تعالى، وبهذا الذل حصل لها هذا العز والشرف والنمو، فما أصغر النفوس مثل معصية الله، وما أكبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله.^(١)

وإن معظم الناس لا يهتمون بتزكية النفس، مع كونها الحجاب الغليظ بيننا وبين الله تعالى، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾^(٢) وهي النفس قبل كل شيء، ولما تتزكى فالتجلي الإلهي ظاهر فيك جداً، وإذا لم تتزكى فهي أم الدعاوي (أنا.. أنا) لا تؤمنوا بها أبداً، النفس المدعية (أنا.. أنا) النفس مخلوقة لله لا بد من معرفتها، وهذا أمر ضروري وهي مطية الإنسان ومكلفة من قبل الحضرة الإلهية، بعد أن تتزكى وتعرف إذا ظهر منها خير تنسبه لله لا تنسبه لنفسها، العي الحقيقي أن الإنسان ينسب الأشياء لنفسه ولا ينسبها لربه، فالذي ينسب الأشياء لنفسه ما منه خير أبداً، والذي ينسبها لله يرجع ويرى نفسه إذا عمل موافقةً يشكر الله، وإذا عمل مخالفة يتوب وينذل وينكسر إلى الله.. هذا هو العدل، والقوة له، لماذا تستعملون هذه القوة التي ليست لكم في غير ما أمر الله؟ ضروري أن تفهموا أن النفس هي محل الخطأ وهي محل النور، تفهمون بمقداركم، نحن قائمون بين الأمر والنهي، إذا وقعت منكم مخالفة لا تقولوا: مقدر، الله لا يقدر الذنوب أبداً، هذا من أنفسكم الأمارة.^(٣)

وقد عبر تعالى عن خلق النفس بالتسوية للدلالة على الاعتدال والتمام، ثم أخبر عن قبولها للفجور والتقوى، وأن ذلك نالها منه

(١) الداء والدواء - الجواب الكافي: ٧٨.

(٢) سورة التوبة: ١٢٣.

(٣) السيد النبهان: ١٩٢/٢.

امتحاننا واختبارنا، ثم خص بالفلاح من زكاها فنماها وعلاها، ورفعها بآدابه التي أدب بها رسله وأنبياءه وأوليائه، وهي التقوى، ثم حكم بالشقاء على من دساها فأخفاها وحقرها، وصغرها وقمعها بالفجور.^(١)

من عمل خيرا زكاها بطاعة الله عز وجل، قد أفلح من زكى نفسه بعمل صالح، قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله تعالى، وقد خاب من أهلكها وحملها على معصية الله تعالى، وقيل: يريد أفلح من زكى نفسه، أي نماها وأعلاها بالطاعة والبر والصدقة، واصطناع المعروف.^(٢)

المبحث الثالث: تزكية النفس وتطهيرها في الكتاب المقدس

المطلب الأول: سبل تزكية النفس في الكتاب المقدس

إن الكتاب المقدس بعهديه - القديم والجديد - مليء بالنصوص التي تحض على تزكية النفس من الشهوات والأهواء، وتطهيرها من الآثام والخطايا، وقد بينت هذه النصوص بعض الطرق التي ينبغي على العبد السير عليها لكي تزكو نفسه، منها:

أولا: مخالفة هوى النفس وشهواتها

تنوعت الشهوات بكثرة في حياة الإنسان، فمنها شهوة الجسد والرغبة في تحقيق المناصب والرئاسة، والرغبة في العظمة والكرامة، وشهوة التراكم المالي، والاشتياق لامتلاك الأشياء، ورغبة في التميز والشهرة، ورغبة في الزينة والجمال، والإحساس بالسيطرة والقوة، ورغبة في الانتقام والتدمير، والجوع المتوقد للمعرفة وحب البحث. تحت هذه الفقرة القارئ على الصمود أمام تلك الشهوات الخاطئة،

(١) مدارج السالكين: ٣٦١ / ٢.

(٢) إغاثة اللفهان في مصائد الشيطان: ٥١ / ١.

وتشدد على قيمة قول حكيم يُلهم الفرح عندما ننجح في كبح تلك الشهوات بدلاً من السماح لها بالسيطرة على قلوبنا. تُظهر الفقرة أيضاً الخطورة في ترك الشهوة تسيطر على القلب، مما يجعل ملكية الله للقلب تنتقل إلى ما نشتهي. وفي الختام، تقدم نصيحة بأنه في حال مواجهة الشهوة، من الأفضل الهروب منها بدلاً من دخول صراع قد يؤدي إلى هزيمة، أو على الأقل إذا نجحنا في التغلب عليها، نجنب قلوبنا التلوث بسببها^(١)، جاء في الكتاب المقدس: "لَا تَكُنْ تَابِعًا لِشَهَوَاتِكَ، بَلْ عَاصِ أَهْوَاءَكَ. فَإِنَّكَ إِنْ أَبَحْتَ لِنَفْسِكَ الرِّضَى بِالشَّهْوَةِ، جَعَلَتْكَ شَمَاتَةً لِّلْعَدَائِكَ"^(٢).

وتظهر نصوص الكتاب المقدس واقع الشهوات وكيفية التعامل معها بحكمة، وتعكس مفهوم الهروب من الشهوات والابتعاد عن أسبابها بدلاً من دخول في صراعات أو نقاشات غير مجدية، وأن مع كل تفاعل مع الشهوة فإنها تتعاضد، مما يمكن أن يؤدي إلى الاستسلام لها وفقدان السيطرة. ومن الأساليب الخاطئة التي يمكن أن يلجأ إليها الأشخاص لتحقيق شهواتهم مثل الكذب والخداع والاحتيال. ومن الناحية النفسية، يُمكن أن يكون الفرد مغرماً بالشهوة ويسعى لإشباعها بشكل متكرر دون أن يشعر بالرضا. فالشهوة تأخذ أشكالاً متصاعدة تبدأ من الفكرة وتنتهي بالاستعباد لها، فالأفضل عدم الوقوع في فخ الاعتقاد بأن الشهوة يمكن إشباعها بشكل نهائي؛ لأنها لا

(١) ينظر: مقالات البابا شنودة الثالث المنشورة في جريدة الأهرام - مقال يوم الأحد ١٨-١-

٢٠٠٩ على شبكة الإنترنت، <https://gate.ahram.org.eg>.

(٢) سفر يشوع بن سيراخ ١٨: ٣١.

تشبع أبدأً وقد تؤدي إلى دورة لا نهاية لها من الرغبة والإشباع^(١)، جاء في الكتاب المقدس: "أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَاتَّبِعِ الْبِرَّ وَالْإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلَامَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ"^(٢).

وإن إشباع طبيعة الشهوات لا يروضها بل يُزيدها، وثمة أمثلة واضحة تُظهر كيف يمكن للإنسان أن يكون مجرد تحقيق الشهوة بما يكفي غير كافٍ ويدفع إلى المزيد من الرغبة، فالشخص الذي يشتهي المال يصبح دائماً يرغب في المزيد من الثروة، وكذلك الحال بالنسبة الشاب الطموح الذي يرغب في الترقية المستمرة، ويُظهر كذلك أن حتى في حالة الشهوة الجسدية، الإنسان قد لا يُشبع منها ببساطة، وخير مثال في قصة آدم وشهوة تجربته مع شجرة الجنة، فالإنسان يمكن أن يكون متجاوزاً حتى على الأشياء التي ليست له، وهذا يتناول أهمية السيطرة على الشهوات التي لا تُشبع أبداً، وقد تدفع الإنسان للبحث المستمر عن الإشباع مما يمكن أن يؤدي إلى تفاقمها بدلاً من السيطرة عليها^(٣)، جاء في الكتاب المقدس: "لَا تَتَّبِعْ هَوَاكَ وَلَا قُوَّتَكَ، لِتَسِيرَ فِي شَهَوَاتِ قَلْبِكَ"^(٤).

وعلى سبيل المثال، يذكر الكتاب المقدس كيف أنه يُمكن ليوسف الصديق أن يكون خالياً من شهوات داخلية، لكنه على الرغم

(١) ينظر: الحروب الروحية - البابا شنودة الثالث، الطبعة الثالثة، يوليو ١٩٩٢ م، القاهرة، مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) بالعباسية، رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٣/٢٩٦٦٣/١٩٨٨ م.

(٢) رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٢: ٢٢.

(٣) ينظر: الاقتداء بالمسيح، للراهب توماس كيمييس، نقله عن اللاتينية الأب بطرس المعلم البولسي، طبعة جديدة، ١٩٩٩ م منشورات المكتبة البولسية، جونيه، بيروت، لبنان، تصدير صاحب السيادة المطران بطرس كامل مدور: ٥١.

(٤) سفر يشوع بن سيراخ ٥: ٢.

من ذلك هرب من إغراءات الشهوة الخارجية الممثلة في امرأة تشتهيه، وهذا يظهر أن السيطرة على الشهوة والهروب منها هو الوسيلة الفعالة للتغلب عليها؛ ولهذا فإن الابتعاد عن الشهوات يُعتبر أمراً ضرورياً، حيث إنها تُعتبر جذوراً للكثير من الخطايا المشتركة، على سبيل المثال، يُعزى الزنا إلى شهوة الجسد، والسرقعة إلى شهوة امتلاك أموال الآخرين أو حب الاقتناء. ويمكن أن يبدأ الكذب بشهوة تبرير سلوك معين أو بشهوة الهروب من العواقب. وغالباً ما يُشجع القتل بشهوة الانتقام أو الحسد، أو برغبة الهروب من الكشف عن خطيئة أخرى. فإذا تمكن الإنسان من النجاة من الشهوة والتغلب عليها من خلال الهروب منها، فإنه ينجح في التغلب على جميع الخطايا التي تنشأ من الشهوة. وبالفعل، اللذة الحقيقية تكمن في النجاح في السيطرة على النفس واحتوائها، وهي أعمق بكثير من اللذة المتعلقة بممارسة الشهوات،^(١) جاء في الكتاب المقدس: "كَأَوْلَادِ الطَّاعَةِ، لَا تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمُ السَّابِقَةَ فِي جَهَالَتِكُمْ، بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ".^(٢)

وجاء فيه أيضاً: "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ كَغُرَبَاءَ وَنُزَلَاءَ، أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي تُحَارِبُ النَّفْسَ، وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتِكُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا، فِي مَا يَقَرُّونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ، يُمَجِّدُونَ اللَّهَ فِي يَوْمِ الْاِفْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلَاحِظُونَهَا".^(٣)

(١) ينظر: محاضرات في العهد القديم (الجزء الأول) - أ. نجوى غزالي، الطبعة الأولى،

القاهرة، رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٢٨٩١، ٢٠١٥م: ٧٦.

(٢) رسالة بطرس الرسول الأولى ١: ١٤، ١٥.

(٣) رسالة بطرس الرسول الأولى ٢: ١١، ١٢.

ثانياً: ترك المعاصي والآثام

يبين الكتاب المقدس في نصوص عدة أهمية التوبة من الذنوب،
وأنها تساعد على تطهير النفس وتزكيتها من آفات وأمراضها، جاء في
الكتاب المقدس: "النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ".^(١)

وجاء في الكتاب المقدس أيضاً: "اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلَا تُكْمَلُوا شَهْوَةَ
الْجَسَدِ. لِأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَبِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهَذَانِ
يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لَا تُرِيدُونَ. وَلَكِنْ إِذَا انْقَدْتُمْ
بِالرُّوحِ فَلَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زِنَى
عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ، عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ سِحْرٌ عِدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ
تَحَزُّبٌ شِقَاقٌ بِدْعَةٌ. حَسَدٌ قَتْلٌ سُكْرٌ بَطَرٌ، وَأَمْثَالُ هَذِهِ الَّتِي أَسْبَقُ
فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ لَا
يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ. وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلَامٌ، طُولُ أَنَاةٍ
لُطْفٌ صِلَاحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ تَعَقُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ. وَلَكِنَّ
الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ. إِنْ كُنَّا
نَعِيشُ بِالرُّوحِ، فَلْنَسْلُكْ أَيْضًا بِحَسَبِ الرُّوحِ".^(٢)

كما أنهم يذكرون أنه إذا كانت رغباتك تطابق ما جاء من قبل
الرب فاعلم أن الروح القدس هو الذي يقودك، وفي نفس الوقت
احترس أن تخلط بين مشاعرك وقيادة الروح، فالانقياد بالروح القدس
يمنحك الرغبة لتسمع، والاستعداد لتطيع، والحساسية للتمييز بين
مشاعرك وتحريضات الروح، ويصف الرسول بولس القوتين
المتصارعتين داخلنا - الروح القدس وأهواءنا الشريرة - ولا يقول

(١) سفر حزقيال ١٨: ٤، ٢٠.

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٥: ١٦-٢٥.

الرسول إن هاتين القوتين متعادلتان، فلا شك في أن الروح القدس أقوى بما لا يقاس، ولكننا نحن ضعفاء لو تركنا لخطايانا لأخطائنا الاختيار، والسبيل الوحيد أمامنا للتحرر من رغباتنا الطبيعية الشريرة، إنما بالقوة التي يمنحنا إياها الروح القدس.

وجاء في الكتاب المقدس: "الْحِكْمَةُ لَا تَلُجُّ النَّفْسَ السَّاعِيَةَ بِالْمَكْرِ، وَلَا تَحِلُّ فِي الْجَسَدِ الْمُسْتَرْقِ لِلْخَطِيئَةِ".^(١)

لجميعنا شهوات طبيعية شريرة، ولا يمكننا تجاهلها، ولكي نستطيع أن نتبع قيادة الروح القدس، يجب أن نتعامل مع هذه الشهوات بحزم، يجب أن نسمرها على صليب المسيح، وهذه الشهوات تشمل خطايا واضحة مثل الخطايا الجنسية والسحر، كما أنها تشمل خطايا أقل وضوحا مثل الطمع والغضب والحسد، وتجاهل خطايانا أو عدم معالجتها بحزم يحرمننا من أن نرث ملكوت الله. وتسيطر علينا جميعا بعض القوى الخارجية، فإذا كان الناموس هو الذي يسيطر علينا، فلا شك في أن عجزنا عن حفظه يديننا، وإذا كانت الخطية هي التي تسيطر علينا، فإن أعمالنا الشريرة تدمرنا، أما إذا كان الروح القدس هو الذي يسيطر علينا فلا بد أن نثمر الثمر المذكور في هذه القائمة، يجب أن لا نخشى سيطرة الروح علينا، فهو لا يمتلكنا رغم إرادتنا، أو يعاملنا وكأننا بلا إرادة كالإنسان الآلي. فهم يذهبون إلى أنه لكي نقبل المسيح مخلصا لنا، علينا أن نرجع عن خطايانا ونسمر - طوعا - رغباتنا الطبيعية الشريرة على الصليب، وليس معنى هذا على أي حال أننا لن نرى أثرا لهذه الرغبات مرة أخرى، فكمسيحيين ما زالت لدينا إمكانية الوقوع في الخطية، ولكننا قد تحررنا من سلطان الخطية

(١) سفر الحكمة ١: ٤.

علينا، وليس علينا أن نستسلم لها، بل يجب أن نضع يوميا ميولنا الخاطئة تحت سيطرة الله، وأن نسمرها يوميا على صليب المسيح، ونستمد – لحظة بعد لحظة – القوة من الروح القدس للغلبة عليها.^(١)

المطلب الثاني: نتيجة تزكية النفس النجاح في الدنيا والآخرة

جاء في الكتاب المقدس: "أَيُّهَا الْأَوْلَادُ احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ".^(٢) "أَيُّهَا الْحَبِيبُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرُومُ أَنْ تَكُونَ نَاجِحًا وَصَحِيحًا، كَمَا أَنَّ نَفْسَكَ نَاجِحَةٌ".^(٣) فالرسول يتمنى أن يكون صحيحًا جسديًا، كما أنه نفسيًا أي روحياً صحيح... "كما أن نفسك ناجحة" النجاح ليس النجاح المادي وصحة الجسد، بل نجاح نفسي يتمثل في الإحساس بالشبع والفرح والرضى والسلام الذي يملأ القلب، كما قال داود "أحبك يا رب يا قوتي"^(٤) ودانيال ويوسف كانوا ناجحين، وللأسف فهناك من لا يهتمون بحياتهم الروحية وأن يصرف أولادهم وقتاً مع الله، والله حين يعطي النجاح، يعطي نجاحاً مادياً مع سلام يملأ القلب وهو سلام يفوق كل عقل، ونجاحاً روحياً أي خلاصاً أبدياً.^(٥)

فقد كان يوحنا مهتماً جداً بخير وصلاح الناس، وهذا ما يناقض تماماً الهرطقة التي شاعت في تلك الأيام، والتي كانت تنادي بالفصل بين الروح والمادة، وتحتقر الجانب المادي من الحياة، فنحن إما أن نهمل الجسد وسلامة صحته، أو نطلق العنان لشهوات الجسد الخاطئة، أما

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ٢٥١٠.

(٢) رسالة يوحنا الرسول الأولى ٥: ٢١.

(٣) رسالة يوحنا الرسول الثالثة ١: ٢.

(٤) مز ١٨.

(٥) ينظر: في العهد القديم (الجزء الأول) - أ. نجوى غزالي، الطبعة الأولى، القاهرة، رقم

الإيداع بدار الكتب: ٢٢٨٩١، ٢٠١٥ م: ٨١.

الله فيهتم بجسدك وروحك معا، وينبغي علينا كمسيحيين مسؤولين أن لا نهمل في أنفسنا، وألا نطلق للجسد العنان، لكن لابد أن نعتني باحتياجاتنا الجسدية والمادية، ونعتني بأجسادنا ونهذبها حتى تكون في أفضل حال لخدمة الله.^(١)

"أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ قَابِئُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى إِيْمَانِكُمْ الْأَقْدَسِ، مُصَلِّينَ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَاحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ، مُنْتَظِرِينَ رَحْمَةَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ. وَارْحَمُوا الْبَعْضَ الْمُتَمَيِّزِينَ، وَخَلِّصُوا الْبَعْضَ بِالْخَوْفِ، مُخْتَطِفِينَ مِنَ النَّارِ، مُبْغِضِينَ حَتَّى الثُّوبِ الْمُدَنَسِ مِنَ الْجَسَدِ".^(٢)

أي إن حفظ النفس داخل حدود محبة الله معناه أن نحيا قريبين منه ومن شعبه، غير منصتين للمعلمين الدجالين الذين يجذبوننا بعيدا عنه... إن غير المؤمن ضائع، ومحتاج إلى الخلاص، بغض النظر عن النجاح الذي يحققه بمقاييس العالم، وينبغي أن لا نستخف بالشهادة أو نتهاون فيها، فهي مسألة حياة أو موت... ويختم يهوذا رسالته - كما بدأها - بتأكيد أن قوة الله تحفظ المؤمن من السقوط فريسة للمعلمين الدجالين، فبرغم انتشار أولئك المعلمين الزائفين وخطورتهم، فلا يجب أن نخاف منهم، هذا لو وثقنا في الله متأصلين فيه وثابتين فيه.^(٣)

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ٢٧٤٠.

(٢) رسالة يهوذا ١: ٢٠-٢٣.

(٣) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ٢٧٤٦.

ترجمة الكتب السماوية تاريخها . غاياتها . حكمها

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله الذي جعل من آياته اخلاف ألسنتنا وألواننا، الحمد لله الذي جعلنا شعوبا وقبائل وقال (لتعارفوا) والصلاة والسلام على سيدنا محمد، المبعوث رحمة للعالمين، ورضي الله عن آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن الترجمة عملية قديمة قدم اللغة، ولم يعد هناك من شك في أن كل نهضة فكرية أو علمية لا بد أن يسبقها حركة ترجمة نشيطة؛ ففي العصور القديمة، قامت حركة ترجمة فاعلة ومؤثرة من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية، بعد أن أفل نجم الحضارة الإغريقية، وبدأ الرومان يحتلون مواقعها.

وللترجمة في تاريخ الثقافة العربية عدة تجارب لها شأن عظيم، فقد تم نقل أغلب تراث الأمم التي سبقت العرب كالفرس والروم خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين وما بعدهما إلى العربية عن السريانية، ثم عن اليونانية. وأخذ العرب يتعلمون اللغات الأجنبية بعد استقرار الإسلام في البلاد المفتوحة، فاستطاعوا نقل الكثير إلى العربية. وفي العصر العباسي بصفة عامة، مرت الترجمة بحركة انتشار واسعة، ويسر لذلك أن العراق كان يموج بالأطباء والفلاسفة والمنجمين. وقد مرت الترجمة في هذا العصر بعدة مراحل، بدأت بترجمة الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق، وانتهت بترجمة الكتب في مختلف العلوم والآداب. وأدى ذلك إلى اتساع في المعارف وتطور في أساليب التفكير وتعاضل في شأن الفرق الإسلامية التي تقوم مناهجها على الجدل، ثم أدى ذلك إلى ازدهار النحو وظهور البلاغة، كما يسر ولوج المسلمين إلى العلوم الفلسفية كاللاهوت والمنطق.

ومنذ ذلك الحين تبلورت الترجمة لتصبح علما له قواعده
وأأسسه، بعد أن كانت فنّا يعتمد على قدرات المترجم ونبوغه.
وإن الكتب السماوية تحتل مكانة رفيعة بين الكتب المترجمة،
ولها أهمية كبيرة على مستوى علماء الترجمة ورجال الدين.
ففيما يخص ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، يكاد
يجمع علماء الشريعة الإسلامية على حُرمة الترجمة الحرفية، فالذي
يجوز ترجمة معاني القرآن وتفسيره، لا ألفاظه.
وتأتي أهمية ترجمة النصوص الإسلامية ومعانيها إلى اللغات
الأخرى؛ لقلة المسلمين
- من الأجانب - الذين يتحدثون باللغة العربية، مقارنة بأولئك الذين
يتحدثون العربية ويقطنون في منطقة الشرق الأوسط.
فهناك مئات الملايين في قارة آسيا مسلمون ولا يتحدثون اللغة
العربية، وهناك عشرات الملايين في قارة أفريقيا مسلمون ولكنهم لا
يتحدثون اللغة العربية، كما يوجد كثير من المسلمين في أوروبا وأمريكا
الشمالية والجنوبية وأستراليا لا يتحدثون اللغة العربية.
هؤلاء المسلمون يحتاجون إلى ترجمة النصوص الإسلامية إلى
لغتهم الأم حتى يستطيعوا فهم الإسلام، فكم من المسلمين في شتى بقاع
الأرض لا يقدرّون على قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف لعدم
فهمهم اللغة العربية؟ وكم من أناس يرغبون في معرفة الإسلام
وحضارته ولكن يحجهم عن ذلك حاجز اللغة؟ وكم من الناس أضلهم
الأعداء بسبب كتاباتهم التي شوّهت صورة الإسلام وشككت فيه؟
من هنا تبرز أهمية دور الترجمة الدينية في الدعوة إلى الله.

فتهدف ترجمة النصوص الإسلامية إلى تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة، فعبورها يستطيع هؤلاء معرفة الإسلام والدخول في دين الله.

كما تهدف الترجمة الإسلامية إلى المساعدة على تصحيح المفاهيم الإسلامية المتمثلة في العقيدة الصحيحة، وتمييزها عن بعض المعتقدات الضلالية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، وحتى يفهم المسلمون من غير العرب الإسلام فهماً صحيحاً كان لا بد من ترجمة نصوصه ترجمة صحيحة.. وتهدف الترجمة الإسلامية إلى رد شبهات أولئك المستشرقين الذين بذلوا جهوداً كبيرة في طعن الإسلام وإظهاره بالدين المتناقض المنقول عن كتب اليهود والنصارى.

أما فيما يخص ترجمة الكتاب المقدس، فإن هناك اختلافات كثيرة وجوهرية بين تلك التراجم - في معظم الأحيان - كانت لغايات وأغراض، كالذي حصل مع لفظة مدينة (Baca) الواردة في الكتاب المقدس سفر المزامير - نسخة الملك جيمس والنسخة القياسية المنقحة (R.S.V) - حين ترجمت إلى اللغة العربية بالمعنى العبري إلى (وادي البكاء، أو الدموع، أو الجفاف) ومن المعلوم أن أسماء الأعلام لا يترجم معناها، بل تنقل لفظاً إلى اللغات الأخرى... وغيرها الكثير الكثير. وإني في بحثي هذا حاولت إلقاء الضوء على ماهية الترجمة، وأنواعها، وفنونها. ثم عرجت على ترجمة القرآن الكريم وحكمها الشرعي، وفوائدها، وغاياتها، وأهم مراكز الترجمة التفسيرية. بعدها تكلمت عن تراجم الكتاب المقدس، وبيّنت اختلافاتها والغاية من ذلك. سائلاً المولى عز وجل أن ينفع به كاتبه وقارئه وجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: في الترجمة المطلب الأول: تعريف الترجمة أولاً: لغةً:

يقال ترجم الكلام: إذا بينه وأوضحه، ويقال: ترجم كلامه إذا فسرته بلسان غيره، وترجم كلام غيره وعنه: نقله من لغة إلى أخرى، ومنه الترجمان.^(١)

ثانياً: اصطلاحاً:

اختلفت تعريفات العلماء للترجمة اصطلاحاً من حيث اللفظ، ومؤداها واحد، فمنها: "ترجمة الكلام أو الكتابة من لغة إلى أخرى"^(٢)، أو هي: "بأنها فن نقل الكلام من لغة إلى أخرى"^(٣)، أو هي: "فن جميل يعني بنقل ألفاظ ومعاني وأساليب من لغة إلى أخرى بحيث أن المتكلم باللغة المنقول إليها يتبين النصوص بوضوح ويشعر بها بقوة كما يتبينها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية"^(٤)، أو هي: "الترجمة في الأصل هي نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، وتقول فلان ترجم الكلام أي بينه وأوضح معانيه، أو بسطه وبين مقاصده وصيره مفهوماً"^(٥)، أو هي: "فن نقل

(١) الصحاح للجوهري الطبعة الأولى ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، ١٥٦٦/٤، وينظر: المصباح المنير للفيومي، طبعة المكتبة العلمية، بيروت، ١/٧٣، ولسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، ١٢/٦٦.

(٢) فن الترجمة الصحيحة إلى اللغة الإنجليزية .د. ممدوح محمد جبر، دار الحرم للتراث القاهرة. ط ٢٠٠٩م ص ١٢.

(٣) فن الترجمة للطلاب والمبتدئين. أكرم مؤمن دار الطلائع القاهرة. ط ٢٠٠٤م ص ٧.

(٤) فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة صفاء خلوصي .دار الرشيد للنشر منشورات "وزارة الثقافة والإعلام" ١٩٨٢م ص ١٤، سلسلة دراسات ٢٩٢.

(٥) مرشدك إلى الترجمة الصحيحة .أشرف معوض مصطفى .مطابع بن سينا القاهرة . ط ٢٠٠٠م ص ٤.

الكلام المعبر عنه بلغة ما إلى لغة مطلوب فهم هذا الكلام بها، سواء أكان هذا الكلام شفهيّاً أم مكتوباً^(١).

المطلب الثاني: أنواع الترجمة

إن للترجمة أنواعاً كثيرة، وتقسيماتٍ متعددة، يمكن إجمالها بما يلي:

النوع الأول: ويسمى بالترجمة ضمن اللغة الواحدة intralingual translation. وتعني هذه الترجمة أساساً إعادة صياغة مفردات رسالة ما في إطار نفس اللغة. ووفقاً لهذه العملية، يمكن ترجمة الإشارات اللفظية بواسطة إشارات أخرى في نفس اللغة، وهي تعتبر عملية أساسية نحو وضع نظرية وافية للمعنى، مثل عمليات تفسير القرآن الكريم.

النوع الثاني، وهو الترجمة من لغة إلى أخرى interlingual translation. وتعني هذه الترجمة ترجمة الإشارات اللفظية لإحدى اللغات عن طريق الإشارات اللفظية للغة أخرى. وهذا هو النوع الذي نركز عليه نطاق بحثنا. وما يهم في هذا النوع من الترجمة ليس مجرد معادلة الرموز (بمعنى مقارنة الكلمات ببعضها) وحسب، بل تكافؤ رموز كلتا اللغتين وترتيبها. أي يجب معرفة معنى التعبير بأكمله.

النوع الثالث، ويمكن أن نطلق عليه الترجمة من علامة إلى أخرى intersemiotic translation. وتعني هذه الترجمة نقل رسالة من نوع معين من النظم الرمزية إلى نوع آخر دون أن تصاحبها إشارات لفظية، وبحيث يفهمها الجميع. ففي البحرية الأمريكية على سبيل

(١) نفس المرجع ص ٤.

المثال، يمكن تحويل رسالة لفظية إلى رسالة يتم إبلاغها بالأعلام، عن طريق رفع الأعلام المناسبة.^(١)

وفي إطار الترجمة من لغة إلى أخرى interlingual translation، يمكن التمييز بصفة عامة بين قسمين أساسيين:

١- الترجمة التحريرية Written Translation:

وهي التي تتم كتابة. وعلى الرغم مما يعتبره الكثيرون من أنها أسهل نوعي الترجمة، إذ لا تتقيد بزمن معين يجب أن تتم خلاله، إلا أنها تعد في نفس الوقت من أكثر أنواع الترجمة صعوبة، حيث يجب على المترجم أن يلتزم التزاما دقيقا وتاما بنفس أسلوب النص الأصلي، وإلا تعرض للانتقاد الشديد في حالة الوقوع في خطأ ما.

٢- الترجمة الشفهية Oral Interpretation:

وتتركز صعوبتها في أنها تتقيد بزمن معين، وهو الزمن الذي تقال فيه الرسالة الأصلية. إذ يبدأ دور المترجم بعد الانتهاء من إلقاء هذه الرسالة أو أثنائه. ولكنها لا تلتزم بنفس الدقة ومحاولة الالتزام بنفس أسلوب النص الأصلي، بل يكون على المترجم الاكتفاء بنقل فحوى أو محتوى هذه الرسالة فقط.^(٢)

وتنقسم الترجمة الشفهية إلى عدة أنواع:

أولا: الترجمة المنظورة At-Sight Interpreting:

(١) كيف تترجم؟ إعداد محمد حسن يوسف، مدير برنامج الترجمة بالجامعة الأمريكية –

الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م، ص ٤٦.

(٢) كيف تترجم؟ إعداد محمد حسن يوسف، ص ٤٨.

أو الترجمة بمجرد النظر. وتتم بأن يقرأ المترجم نص الرسالة المكتوبة باللغة المصدر SL بعينه، ثم يترجمها في عقله، ليبدأ بعد ذلك في ترجمتها إلى اللغة المنقول إليها TL بشفتيه.

ثانياً: الترجمة التتبعية Consecutive Interpreting:

وتحدث بأن يكون هناك اجتماع بين مجموعتين تتحدث كل مجموعة بلغة مختلفة عن لغة المجموعة الأخرى. ويبدأ أحد أفراد المجموعة الأولى في إلقاء رسالة معينة، ثم ينقلها المترجم إلى لغة المجموعة الأخرى لكي ترد عليها المجموعة الأخيرة برسالة أخرى، ثم ينقلها المترجم إلى المجموعة الأولى ... وهكذا... ومن الصعوبات التي يجب التغلب عليها في الترجمة التتبعية، مشكلة الاستماع ثم الفهم الجيد للنص من منظور اللغة المصدر نفسها. ولذلك فيجب العمل على تنشيط الذاكرة لاسترجاع أكبر قدر ممكن من الرسالة التي تم الاستماع إليها.^(١)

ثالثاً: الترجمة الفورية Simultaneous Interpreting:

وتحدث في بعض المؤتمرات المحلية أو المؤتمرات الدولية، حيث يكون هناك متحدث أو مجموعة من المتحدثين بلغة أخرى عن لغة الحضور. ويبدأ المتحدث في إلقاء رسالته بلغته المصدر SL ليقوم المترجم بترجمتها في نفس الوقت إلى لغة الحضور TL.^(٢)

ويمكن تقسيم الترجمة من منظور آخر إلى حرفية وتفسيرية...

(١) الترجمة نقل للعلامات اللغوية أم صياغة جديدة، ترجمة الدكتور محمد نبيل النحاس الحمصي، كلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص ٩.

(٢) ينظر: مقال بعنوان: الترجمة بين أسئلة الهوية والماهية، بقلم سامح فكري حنا، الاثنين ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٦م، شبكة المعلومات الدولية.

الترجمة الحرفية: وهي الترجمة التي يلتزم المترجم فيها بالنص الأصلي، ويتقيد فيها بالمعنى الحرفي للكلمات، حيث لا تترك للمترجم فرصة للتصرف بمرونة للوصول إلى أحسن صياغة.

الترجمة التفسيرية: وفيها يتدخل المترجم بتفسير وشرح بعض الألفاظ الغامضة والعبارات التي ترد في النص الأصلي.^(١)

المبحث الثاني: ترجمة القرآن الكريم

إن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، أنزله على نبينا محمد ﷺ، وتكفل تعالى بحفظه، وأمر نبيه ﷺ بتبليغه للناس كافة، فبلغ نبينا الرسالة وأدى الأمانة، وأمر ﷺ من يسمع مقالته أن يبلغها للناس، وإن من واجب الدعاة اليوم أن يقوموا بهذه المهمة التي كلفهم بها ربنا تبارك وتعالى على لسان نبيه ﷺ، ومن ألوان هذه الدعوة ترجمة النصوص الإسلامية إلى اللغات الأجنبية.

وفي هذا المبحث سوف أتكلم عن أهمية هذه الترجمة وأهدافها، وأنواعها، وحكمها الشرعي بشيء من التفصيل.

المطلب الأول: أهمية ترجمة القرآن الكريم وأهدافها

تعد الترجمة من أهم الوسائل قديماً وحديثاً في التواصل الحضاري بين الأمم والشعوب، من خلال منطلق الأخذ والعطاء بين الثقافات المختلفة وكذلك بين اللغات وغيرها.

وإن ازدهار الحضارات والفكر الإنساني مرتبط ارتباطاً طردياً بعملية الترجمة، فكلما كانت الحضارة على اتصال بتمثيلات عبر الترجمة كان ذلك أدعى لازدهارها كما هو الحال في الحضارة الإسلامية

(١) ينظر: فن الترجمة للطلاب والمبتدئين. أكرم مؤمن. دار الطلائع القاهرة، ط ٢٠٠٤ م.

التي استفادت من اليونانية، والحضارة الغربية التي استفادت من الحضارة الإسلامية.^(١)

فالترجمة تساعدنا على معرفة الآخر عن طريق نقل فكره إلينا وتساعدنا كذلك على إدراك الذات عن طريق:

١. تسليط الضوء على الآخر لتتعرف عليه وبمعرفتنا نستطيع معرفة أنفسنا.

٢. إدراك الذات عن طريق إدراك الآخر لنا وذلك بنقل تصورات الآخر عنا.

وتعمل الترجمة على إحداث نهضة ثقافية واقتصادية وذلك بنقل مفاهيم ثقافية من الثقافات وعلومها وتقنياتها إلى ثقافة أخرى.

كما تؤثر الترجمة في الحركات السياسية والاجتماعية، وكثيراً ما تنتقل مفاهيم سياسية واجتماعية من حضارات إلى أخرى عن طريق الترجمة، فعبرها عرفت الديمقراطية الغربية وتفكير المجتمع الغربي.

وتأتي أهمية ترجمة النصوص الإسلامية ومعانيها إلى اللغات الأخرى؛ لقلة المسلمين الذين يتحدثون باللغة العربية، مقارنة بأولئك الذين يتحدثون العربية ويقطنون في منطقة الشرق الأوسط.

فهناك مئات الملايين في قارة آسيا مسلمون ولا يتحدثون اللغة العربية وهنالك عشرات الملايين في قارة إفريقيا مسلمون ولكنهم لا يتحدثون اللغة العربية، كما يوجد كثير من المسلمين في أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا لا يتحدثون اللغة العربية.

(١) بحث بعنوان: الترجمة وأثرها في تبليغ الدعوة الإسلامية، للدكتور علي عيسى عبد الرحمن، أستاذ مشارك كلية الدعوة، جامعة أم درمان الإسلامية. شبكة المعلومات الدولية، ص ٦.

وهؤلاء المسلمون يحتاجون إلى ترجمة النصوص الإسلامية إلى لغتهم الأم حتى يستطيعوا فهم الإسلام، كم من المسلمين في شتى بقاع الأرض لا يقدرّون على قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف لعدم فهمهم اللغة العربية؟ وكم من أناس يرغبون في معرفة الإسلام وحضارته ولكن يحجهم عن ذلك حاجز اللغة؟ وكم من الناس أضلهم الأعداء بسبب كتاباتهم التي شوهت صورة الإسلام وشككت فيه؟ من هنا تبرز أهمية دور الترجمة الدينية في الدعوة إلى الله^(١).

فتهدف ترجمة النصوص الإسلامية إلى تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة فعبرها يستطيع هؤلاء معرفة الإسلام والدخول في دين الله. كما تهدف الترجمة الإسلامية إلى المساعدة على تصحيح المفاهيم الإسلامية المتمثلة في العقيدة الصحيحة بعيداً عن بعض المعتقدات الضلالية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، وحتى يفهم المسلمون من غير العرب الإسلام فهماً صحيحاً كان لا بد من ترجمة نصوصه ترجمة صحيحة.

وتهدف الترجمة الإسلامية إلى رد شبهات أولئك المستشرقين الذين بذلوا جهوداً كبيرة في طعن الإسلام وإظهاره بالدين المتناقض المنقول عن كتب اليهود والنصارى^(٢).

(١) ينظر: مجلة المجتمع، رقم العدد: ١٥٣٩، تاريخ العدد: ٢٠٢٢، ٢٠٣٠ م.

<http://www.almujtamaa-mag.com>

(٢) ينظر: ترجمات إنجليزية لمعاني القرآن الكريم في ميزان الإسلام، د. وجيه حمد عبد

الرحمن ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، www.qurancomplex.com.

المطلب الثاني: أنواع ترجمة القرآن الكريم

يفهم من مصطلح (ترجمة القرآن الكريم) أربعة أشياء:

أولها: تبليغ القرآن الكريم لمن لم يبلغه باللغة العربية.

ثانيها: تفسير الكلام باللغة العربية التي جاء بها. ومنه قيل في

ابن عباس رضي الله عنه (ترجمان القرآن).^(١)

ثالثها: تفسير الكلام بلغة غير لغته. وجاء في تفسير ابن كثير

والبغوي أن كلمة ترجمة تستعمل في لغة العرب بمعنى التبين مطلقا

سواء اتحدت اللغة أم اختلفت. ويطلق عليها (الترجمة التفسيرية).

رابعها: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، وبعبارة أخرى (الترجمة

الحرفية).^(٢)

الفروق بين الترجمة الحرفية والتفسيرية للقرآن الكريم:

الفارق الأول: أن صيغة الترجمة صيغة استقلالية يراعى فيها

الاستغناء بها عن أصلها وحلولها محله. ولا كذلك التفسير، فإنه قائم

أبدا على الارتباط بأصله، بأن يؤتى مثلا بالمفرد أو المركب، ثم يشرح

هذا المفرد أو المركب شرحا متصلا به اتصالا يشبه اتصال المبتدأ بخبره

إن لم يكن إياه؛ ثم ينتقل إلى جزء آخر مفرد أو جملة، وهكذا من

بداية التفسير إلى نهايته، بحيث لا يمكن تجريد التفسير وقطع وشائج

اتصاله بأصله مطلقا؛ ولو جرد لتفكك الكلام وصار لغوا أو أشبه

(١) حديث وصف سيدنا عبد الله بن عباس بترجمان القرآن أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٣/٦١٨ رقم الحديث (٦٢٩١).

(٢) ينظر: الترجمة وأثرها في تبليغ الدعوة الإسلامية، د. علي عيسى عبد الرحمن، أستاذ مشارك كلية الدعوة، جامعة أم درمان الإسلامية، ص ٢٥.

باللغو ، فلا يؤدي معنى سليما ، فضلا عن أن يحل في جملته وتفصيله محل أصله.

الفارق الثاني: أن الترجمة لا يجوز فيها الاستطراد ؛ أما التفسير فيجوز بل قد يجب فيه الاستطراد . وذلك لأن الترجمة مفروض فيها أنها صورة مطابقة لأصلها ، حاكية له ، فمن الأمانة أن تساويه بدقة من دون زيادة ولا نقص ؛ حتى لو كان في الأصل خطأ لوجب أن يكون الخطأ عينه في الترجمة ، بخلاف التفسير؛ فإن المفروض فيه أنه بيان لأصله وتوضيح له . وقد يقتضي هذا البيان والإيضاح أن يذهب المفسر مذاهب شتى في الاستطراد ، توجيهها لشرحها ، أو تنويرا لمن يفسر لهم على مقدار حاجتهم إلى استطراده . ويظهر ذلك في شرح الألفاظ اللغوية خصوصا إذا أريد بها غير ما وضعت له ، وفي المواضع التي يتوقف فهمها أو الاقتناع بها على ذكر مصطلحات أو سوق أدلة أو بيان حكمة .

الفارق الثالث: أن الترجمة تتضمن عرفا دعوى الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده ، ولا كذلك التفسير ؛ فإنه قائم على كمال الإيضاح كما قلنا ، سواء أكان هذا الإيضاح بطريق إجمالي أو تفصيلي ، متناولا كافة المعاني والمقاصد أو مقتصرأ على بعضها دون بعض ، طوعا للظروف التي يخضع لها المفسر ومن يفسر لهم .

الفارق الرابع: أن الترجمة تتضمن عرفا دعوى الاطمئنان إلى أن جميع المعاني والمقاصد التي نقلها المترجم ، هي مدلول كلام الأصل وأنها مرادة لصاحب الأصل منه . ولا كذلك التفسير؛ بل المفسر تارة يدعي الاطمئنان ، وذلك إذا توفرت لديه أدلته ؛ وتارة لا يدعيه ، وذلك عندما تعوزه تلك الأدلة . ثم هو طورا يصرح بالاحتمال ويذكر وجوها محتملة مرجحا بعضها على بعض ، وطورا يسكت عن التصريح أو عن الترجيح ؛ وقد يبلغ به الأمر أن يعلن عجزه عن فهم كلمة أو جملة

ويقول : رب الكلام أعلم بمراده ؛ على نحو ما نحفظه لكثير من المفسرين إذا عرضوا لمتشابهات القرآن ولفواتح السور المعروفة.^(١)

المطلب الثالث

حكم ترجمة القرآن الكريم

نستعرض المعاني الأربعة مشفوعاً كل معنى منها بحكمه

المناسب له:

١- ترجمة القرآن بمعنى تبليغ ألفاظه:

تطلق ترجمة القرآن إطلاقاً مستنداً إلى اللغة ويراد بها: تبليغ ألفاظه.

وحكمها حينئذ أنها جائزة شرعاً. والمراد بالجواز هنا ما يقابل الحظر فيصدق بالوجوب وبالندب. وإن شئت دليلاً فيها هو ﷺ كان يقرأ القرآن ويسمعه أوليائه وأعداءه، ويدعو إلى الله به في مولده ومهاجره، وفي سفره وحضره؛ والأمة من ورائه نهجت نهجه، فبلغت ألفاظ القرآن، وتلقاها بعضهم عن بعض فرداً عن فرد، وجماعة عن جماعة، وجيلاً عن جيل، حتى وصل إلينا متواتراً. ثم ها هو القرآن نفسه يتوعد كاتميهِ ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٠).

والنبي ﷺ يقول: ((بلغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)).^(١)

(١) ينظر: الترجمة وأثرها في تبليغ الدعوة الإسلامية، د. علي عيسى عبد الرحمن، أستاذ مشارك كلية الدعوة، جامعة أم درمان الإسلامية، ص ٢٧.

ويقول ﷺ : ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)).^(١)

٢- ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغته العربية:

هذا هو الإطلاق الثاني المستند إلى اللغة أيضاً كما مرّ. ويراد به تفسير القرآن بلغته العربية لا بلغة أخرى. وغني عن البيان أن حكمه الجواز بالمعنى الأنف. وإن كنت في شك فهالك القرآن نفسه يقول الله فيه لنبيه ﷺ : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: ٤٤]. ولقد قام الرسول صلوات الله وسلامه عليه ببيانته العربي خير قيام، حتى اعتبرت السنة النبوية - بمعظمها - شارحة له، ونقل منها في التفسير بالمأثور شيء كثير. ولقد اقتدى العلماء برسول الله ﷺ في ذلك، منذ عهد الصحابة إلى اليوم؛ وها هي المكتبات العامة والخاصة زاخرة بالتفاسير العربية للقرآن الكريم^(٢) على رغم ما اندثر منها، وعلى رغم ما يأتي به المستقبل من تفاسير، ويتلقاها عنهم من يجدون في أنفسهم حاجة إلى عرض جديد لعلوم القرآن والدين؛ مما يدل على أن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٦١) ٤/ ١٧٠، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ دار طوق النجاة مصورة عن الطبعة السلطانية بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٢٧) ٦/ ١٩٢، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وابن حبان في صحيحه برقم (١١٨) ١/ ٣٢٥، باب ذكر البيان بأن من خير الناس من تعلم القرآن.

(٣) منها على سبيل المثال لا الحصر: تفسير الطبري، تفسير الثعلبي، تفسير الماوردي، التفسير الوسيط، التفسير الوجيز، تفسير السمعاني، تفسير البغوي، تفسير الزمخشري، تفسير الرازي، تفسير العز بن عبد السلام، تفسير القرطبي، تفسير البيضاوي، تفسير النسفي، تفسير ابن جزي، التفسير القيم، تفسير ابن كثير، تفسير الجلالين، تفسير النيسابوري، تفسير الثعالبي، الدر المنثور، نظم الدرر، روح البيان، تفسير القاسمي، تفسير المراغي، التفسير الوسيط....

القرآن بحر الله الخِضَمِّ، وأن العلماء جميعاً من قدامى ومحدثين، لا يزالون وقوفاً بساحله، يأخذون منه على قدر قرائحهم وفهومهم. والبحر بعد ذلك هو البحر في فيضانه وامتلائه، والقرآن هو القرآن في ثروته وغناه بعلومه وبأسراره. ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ [الكهف: ١٠٩].

٣- ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغة أجنبية:

هذا هو الإطلاق الثالث المستند إلى اللغة أيضاً ويراد به تفسير القرآن بلغة غير لغته، أي بلغة عجمية لا عربية. ولا ريب عندنا في أن التفسير القرآن بلسان أعجمي لمن لا يحسن العربية، يجري في حكمه مَجْرَى تفسيره بلسان عربي لمن يحسن العربية. فكلاهما عرض لما يفهمه المفسر من كتاب الله بلغة يفهمها مخاطبه، لا عرض لترجمة القرآن نفسه؛ وكلاهما حكاية لما يستطيع من المعاني والمقاصد، لا حكاية لجميع المقاصد، وتفسير القرآن الكريم يكفي في تحقّقه أن يكون بياناً لمراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ولو جاء على احتمال واحد؛ لأن التفسير في اللغة هو الإيضاح والبيان، وهما يتحققان ببيان المعنى ولو من وجه؛ لأن التفسير في الاصطلاح علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية، وهذا يتحقق أيضاً بعرض معنى واحد من جملة معاني احتملها التنزيل. وإذا كان تفسير القرآن بياناً لمراد الله بقدر الطاقة البشرية، فهذا البيان يستوي فيه ما كان بلغة العرب وما ليس بلغة العرب؛ لأن كلاً منهما مقدور للبشر، وكلاً منهما يحتاجه البشر؛ بيد أنه لا بد من أمرين؛ أن يستوفي هذا النوع شروط التفسير باعتبار أنه تفسير، وأن يستوفي

شروط الترجمة باعتبار أنه نقل لما يمكن من معاني اللفظ بلغة غير عربية.^(١)

٤- ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة أخرى:

هذا هو الإطلاق الرابع المستند إلى اللغة. ثم هو الإطلاق الوحيد في عرف التخاطب الأممي العام.

ويمكننا أن نعرّف ترجمة القرآن بهذا الإطلاق تعريفاً مضبوطاً على نمط تعريفهم فنقول: (هي نقل القرآن من لغته العربية إلى لغة أخرى). ويمكننا أن نعرفها تعريفاً مبسوطاً فنقول: ترجمة القرآن هي (التعبير عن معاني ألفاظه العربية ومقاصدها بألفاظ غير عربية، مع الوفاء بجميع هذه المعاني والمقاصد).

ثم إن لوحظ في هذه الترجمة ترتيب ألفاظ القرآن، فتلك ترجمة القرآن الحرفية أو اللفظية أو المساوية، وإن لم يلاحظ فيها هذا الترتيب، فتلك ترجمة القرآن التفسيرية أو المعنوية.^(٢)

والناظر فيما سلف من الكلام على معنى الترجمة وتقسيمها والفروق بينهما وبين التفسير يستغني هنا عن شرح التعريف والتمثيل للمعنى في قسميه؛ كما يستغني عن التدليل على أن هذا المعنى وحده هو المعنى الاصطلاحي الفريد في لسان التخاطب العام بين الأمم، ويعلم أن ترجمة القرآن بهذا المعنى خلاف تفسيره بلغته العربية، وخلاف

(١) ينظر: الترجمة وأثرها في تبليغ الدعوة الإسلامية، د. علي عيسى عبد الرحمن، أستاذ مشارك كلية الدعوة، جامعة أم درمان الإسلامية، ص ١٦.

(٢) ينظر: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، للدكتور ياسر خميس رجب، عضو الجمعية الدولية للمترجمين العرب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٩٨.

تفسيره بغير لغته العربية، وخلافُ ترجمة تفسيره العربي ترجمة حرفية أو تفسيرية.^(١)

حكم على هذه الترجمة:

إن هذه الترجمة من قبيل المستحيل الشرعي،^(٢) أي المحظور الذي حرمه الله؛ وذلك من وجوه عدة:

الوجه الأول:

أن طلب المستحيل العادي حرمه الإسلام، أيّاً كان هذا الطلب ولو بطريق الدعاء، وأيّاً كان هذا المستحيل ترجمة أو غير ترجمة؛ لأنه ضرب من العبث، وتضييع للوقت والمجهود في غير طائل. والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. والنبى ﷺ يقول: ((لا ضرر ولا ضرار))^(٣)، يضاف إلى ذلك أن طلب المستحيل العادي

(١) ينظر: ترجمة معاني القرآن الكريم بين الواقع والمأمول - مقارنة كمية ونوعية بين ترجمات معاني القرآن الكريم وترجمات الإنجيل، للدكتور وليد بن بليش العمري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، قسم الترجمات، مدير تحرير مجلة الدراسات القرآنية بالمجمع، (نشر هذا البحث ضمن أبحاث ندوة اللغات والترجمة: الواقع والمأمول المنعقدة بكلية اللغات والترجمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد صدرت أبحاث الندوة عام ١٤٢٦هـ، بعنوان: «الأبحاث المستكتبة والمحكمة لندوة اللغات والترجمة الواقع والمأمول»، وجاء هذا البحث في الصفحات من ٣٣٣-٣٩٢).

(٢) لمعرفة المزيد عن الخلاف حول مشروعية ترجمة معاني القرآن الكريم انظر: مبحث "ترجمة معاني القرآن الكريم" في كتاب مناهل العرفان للزرقاني، وفتوى الشيخ رشيد رضا في هذا الموضوع التي قام الأزهري بنشرها = والتقرير الذي تم إعداده بمركز الترجمات بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بعنوان: "جهود المملكة العربية السعودية في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة".

(٣) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. المستدرک على الصحيحين برقم (٢٣٤٥) ٦٦ / ٢، باب حديث معمر بن راشد.

غفلة أو جهل بسنن الله الكونية، وبحكمته في ربط الأسباب بمسبباتها العادية، تطميناً لخلقه، ورحمة بعباده ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣، والحج: ٦٥].

ولقد يعذر البعض إذا ظنوا أن بعض المحالات أمور ممكنة فطلبوها ولكن الذي يحاول ترجمة القرآن بهذا المعنى لا يعذر بحال؛ لأن القرآن نفسه أعذر حين أنذر بأنه لا يمكن أن يأتي الجن والإنس بمثله وإن اجتمعوا له وكان بعضهم لبعض ظهيراً. وبذلك (قَطَّعت جبهة قول كل خطيب)^(١).

الوجه الثاني:

أن محاولة هذه الترجمة فيها ادِّعاء عمل لإمكان وجود مثل أو أمثال للقرآن، وذلك تكذيب شنيع لصريح الآية السابقة؛ ولقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنْ أَحَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)﴾ [يونس: ١٥، ١٦].^(٢)

الوجه الثالث:

أننا إذا فتحنا باب هذه التراجم، تراحم الناس عليها بالمناكب، وعملت كل أمة وكل طائفة على أن تترجم القرآن في زعمها بلغتها

(١) ينظر: فهم القرآن لمن لا ينطق بلغة الضاد، محمد حميد الله، بحث مقدم في الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، إصطنبول، ١٩٨٦م، ص ٤٩-٧٠.

(٢) ينظر: بحث بعنوان: مشكلات الترجمة العربية، مقارنة ميدانية، للأستاذ الدكتور حسام الخطيب، مشرف عام مركز الترجمة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، الشبكة العالمية العنكبوتية، ص ٨.

الرسمية والعامية، ونجم عن ذلك ترجمات كثيرات لا عداد لها، وهي بلا شك مختلفة فيما بينها؛ فينشأ عن ذلك الاختلاف في الترجمات، خلاف حتى بين المسلمين، أشبه باختلاف اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل. وهذا الخلاف يصدع بناء المسلمين ويفرق شملهم، ويؤيّد أعدائهم فرصة للنيل منهم، ويوقظ بينهم فتنة عمياء كقطع الليل المظلم، فيقول هؤلاء لأولئك: قرآننا خير من قرآنكم، ويرد أولئك على هؤلاء تارة بسبّ اللسان، وأخرى بحدّ الحسام، ويخرون ضحايا هذه الترجمات، بعد أن كانوا بالأمس إخواناً يوحد بينهم القرآن، ويؤلف بينهم الإسلام. وهذه الفتنة-لا أذن بها الله- أشبه، بل هي أشد من الفتنة التي أوجس خيفة منها أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وأمر بسبها أن تحرق جميع المصاحف الفردية، وأن يجتمع المسلمون على تلك المصاحف العثمانية الإجماعية.^(١)

الوجه الرابع:

أن الأمة أجمعت على عدم جواز رواية القرآن بالمعنى^(٢)؛ وأنت خير بأن ترجمة القرآن بهذا المعنى العرفي، تساوي روايته بالمعنى، فكلتاها صيغة مستقلة وافية بجميع معاني الأصل ومقاصده، لا فرق بينهما إلا في القشرة اللفظية. فالرواية بالمعنى لغتها لغة الأصل، وهذه الترجمة لغتها غير لغة الأصل. وعلى هذا يقال إذا كانت رواية القرآن

(١) ينظر: المستشرقون ودورهم في ترجمة القرآن الكريم، محمد شيخاني، بحث مقدم في

الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم، إسطنبول، ١٩٨٦م، ص

(٢) إلا الإمام أبو حنيفة ومحمد، فقد قالوا بجواز قراءة القرآن بالمعنى. ينظر تفصيل ذلك في:

المحيط البرهاني في الفقه النعماني: ٣١٩/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق: ٣٨٥/٢،

والدر المختار: ٥٣١/٢، الفواكه الدواني: ١١/١، حاشية العدوي على كفاية الطالب

الرباني: ٨١/١.

بالمعنى في كلام عربي ممنوعة إجماعاً، فهذه الترجمة ممنوعة كذلك، قياساً على هذا المجمع عليه؛ بل هي أخرى بالمنع، للاختلاف بين لغتها ولغة الأصل.

الوجه الخامس:

أن الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين، تواضعوا على أن الأعلام لا يمكن ترجمتها، سواء أكانت موضوعة لأشخاص من بني الإنسان، أم الأفراد من الحيوان، أم لبلاد وأقاليم، أم لكتب ومؤلفات؛ حتى إذا وقع عَلمٌ من هذه الأعلام أثناء ترجمة ما، ألفيته هو ثابتاً لا يتغير، عزيزاً لا ينال، متمتعاً بحصانته العلمية، لاترزؤه الترجمة شيئاً، ولا تنال منه منالاً؛ وما ذاك إلا لأن واضعي هذه الأعلام قصدوا ألفاظها بذاتها، واختاروها دون سواها للدلالة على مسمياتها؛ فكذلك القرآن الكريم علم رباني قصد الله سبحانه ألفاظه دون غيرها، وأساليبه دون سواها، لتدل على هداياته وليؤيد بها رسوله، وليتعبّد بتلاوتها عباده. وكان سبحانه حكيماً في هذا التخصيص والاختيار، لمكان الفضل والامتياز في هذه الأساليب والألفاظ المختارة.^(١)

ومن تَفَقَّه في أساليب اللغة العربية، وعرف أن لخفة الألفاظ على الأسماع وحسن جَرَسِها في النفوس مدخلاً في فصاحة الكلام وبلاغته، أيقن أن القرآن قَدْ أفاض في بابه، وعَلَّمَ الأعلام في بيانه؛ لأن ما فيه من الأساليب البلاغية والموسيقى اللفظية، أمر فاق كل فوق، وخرج عن كل طوق "وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ

(١) ينظر: مشكلات الترجمة دراسة تطبيقية، محمد نبيل النحاس الحمصي، أستاذ مشارك قسم اللغات الأوروبية، مجلة جامعة الملك سعود، اللغات والترجمة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، الرياض، ص ٨.

أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمُؤْتَى، بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا (٣١) [الرعد] فَأَتَى لِمَخْلُوقٍ بَعْدَ هَذَا
أَنْ يَحَاكِيه بِتَرْجُمَةٍ مَسَاوِيَةٍ أَوْ مِمَّاثِلَةٍ.^(١)

المطلب الرابع

مؤسسات الترجمة الإسلامية

أ) مجمع الملك فهد

"إن المجمع معلم حضاري علمي وعالي لخدمة القرآن الكريم
والسنة النبوية وعلومها.. وهو أكبر مؤسسة علمية تعنى بكتاب الله
وطباعة ونشر وتفسير وترجمة لمعانيه واهتماماً بعلومه... ومن أبرز
أهداف المجمع التي تختص بالقرآن الكريم، وهي: طباعة المصحف
الشريف بالروايات المشهورة في العالم الإسلامي، وتسجيل تلاواته
بالروايات المشهورة، وترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم،
والعناية بتفسير القرآن الكريم، والعناية بعلوم القرآن الكريم، وإجراء
البحوث والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، والوفاء باحتياجات
المسلمين داخل المملكة وخارجها من القرآن الكريم وتفسيره وترجمة
معانيه، ونشر إصدارات المجمع من القرآن الكريم وتفسيره وعلومه
وترجمة معانيه على شبكة الإنترنت".^(٢)

ب) الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها

الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها من مؤسسات
ترجمة النصوص الإسلامية التي تهدف إلى نشر السنة النبوية وتقوية

(١) ينظر: إشكال ترجمة المصطلح الإسلامي، د. أمينة أدرودور، معهد الدراسات والأبحاث
للتعريب - الرباط، ص: ١٠٢.

(٢) جزء من نص حوار صحفي مع وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
المشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الشيخ صالح بن عبد
العزیز. الحوار منشور على موقع سبق. بتاريخ: ٢٠٠٩/٠٤/٠١ م. www.sabq.org

الوعي بها، ووضع الأسس الصحيحة لترجمة ونشر نصوص السيرة وعقد الندوات والمؤتمرات والدورات المتخصصة بذلك.^(١)

ج (المجلس الإسلامي العالمي

المجلس الإسلامي العالمي الذي يتخذ من القاهرة مقرا له من مؤسسات ترجمة النصوص الإسلامية، حيث أعلن عن تبنيه لمشروع يساهم في ترجمة ونشر التراث الإسلامي بعدة لغات لمساعدة أبناء الجاليات الإسلامية في الخارج على فهم الإسلام الصحيح والتمسك بالهوية الإسلامية.^(٢)

المبحث الثالث: ترجمة الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد)

المطلب الأول: تأريخ ترجمة الكتاب المقدس

إن الترجمة – كما مر بنا – عملية نقل أو تحويل من لغة إلى أخرى، ومهما كانت القدرة والأمانة فلا بد من وجود قدر ما من الحيود عن الأصل، يتوقف على إمكانات المترجم، ومكونات اللغتين الأصل والصورة، فإذا تدخلت عوامل أخرى مثل معتقدات المترجم وأهوائه، ذهبت الصورة بعيدا في طريق المسخ والتشويه.

تقول مقدمة الترجمة القياسية المراجعة (Revised Standard Version) : "إن الترجمة القياسية المراجعة للكتاب المقدس إنما هي عملية تنقيح مرخص بها للترجمة القياسية الأمريكية التي نشرت عام

(١) صحيفة الشرق الأوسط العدد ٩٠٧٥ بتاريخ: ٢٠٠٣/١٠/٠٣ م .

<http://www.aawsat.com>

(٢) ينظر: ترجمة معاني القرآن الكريم بين الواقع والمأمول.

١٩٠١م، والتي كانت هي الأخرى تنقيحاً لترجمة الملك جيمس التي نشرت عام ١٦١١م".

وإن أول ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس عملت بصورة مباشرة عن الأصل العبري والإغريقي، وكانت أول ترجمة مطبوعة، إنما كانت من عمل وليام تندل، الذي واجه معارضة مريرة، واتهم بتعمد إفساد معنى الكتاب المقدس، وأمر بإحراق تراجمه للعهد الجديد باعتبارها تراجم زائفة، وأخيراً سلم غدرا ليد أعدائه، حيث تم إعدامه على رؤوس الأشهاد حرقاً بالشد على الخازوق، في أكتوبر عام ١٥٣٦م.

ومع ذلك فقد أصبح عمل تندال هو الأساس للتراجم الإنجليزية اللاحقة، وخاصة كوفردال في عام ١٥٣٥م، وتوماس متي في عام ١٥٣٧م، وجنيف في عام ١٥٦٠م...^(١)

إن المترجمين الذين عملوا نسخة الملك جيمس قد أخذوا في حسابهم كل تلك التراجم السابقة، وترينا المقارنة أن هذه الترجمة قد أخذت أشياء من كل ترجمة سابقة، كما أنها أخذت الكثير - وخاصة في العهد الجديد - من ترجمة نتدال، ولقد أصبحت ترجمة الملك جيمس هي النسخة المعتمدة للشعوب الناطقة بالإنجليزية.

وعلى الرغم من ذلك، فإن نسخة الملك جيمس بها أخطاء كثيرة؛ ففي منتصف القرن التاسع عشر أظهرت بوضوح دراسات الكتاب المقدس واكتشاف كثير من المخطوطات الأكثر قدماً من تلك التي اعتمدت عليها ترجمة الملك جيمس، أن تلك الأخطاء من الكثرة والخطورة مما يستدعي تنقيحاً للترجمة الإنجليزية.

(١) ينظر: ترجمة معاني القرآن الكريم بين الواقع والمأمول - مقارنة كمية ونوعية بين ترجمات معاني القرآن الكريم وترجمات الإنجيل، للدكتور وليد بن بليش العمري.

ولقد كانت نتيجة ذلك هو إصدار الترجمة الإنجليزية المراجعة (Revised English Version) في الأعوام ١٨٨١ - ١٨٨٥ م، ونظيرتها الترجمة القياسية الأمريكية (American Standard Version) في عام ١٩٠١ م.

واستمرت عملية تنقيح التراجم ومراجعتها - ولا تزال - إلى أن صدرت الترجمة القياسية المراجعة (Revised Standard Version) للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في عام ١٩٥٢ م.^(١) إن هذا القول يكفي للبرهنة على وجود أخطاء في التراجم، وإلا ما كان هناك داع لإعادة النظر فيها بقصد التنقيح والتعديل، وهي عملية مستمرة طالما فقد النص الأصلي، ولن يتوقف إلا بالعثور على ذلك الأصل المفقود، وهو أمل طالما اعترف به أهل العلم والاختصاص بأنه بعيد التحقيق، إن لم يكن محض خيال!

المطلب الثاني: نموذج من اختلاف تراجم العهد القديم

أولاً: موسى يقال له إله وشبه إله!

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت إن الرب جعل موسى إلهاً لهارون أخيه، وكذلك إلهاً لفرعون، فقال لموسى: "أليس هارون اللاوي أخاك، أنا أكون مع فمك ومع فمه، وأعلمكما ماذا تصنعان، وهو يكلم الشعب عنك، وهو يكون لك فماً، وأنت تكون له إلهاً" [خروج ٤: ١٤-١٦].

(١) ينظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، لواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة. المقدمة ص ٤.

"قال الرب لموسى: انظر، إنا جعلناك إلها لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك" [خروج ٧: ١].

وهذا ما تقوله أيضا ترجمة التوراة للكاتوليك.

أما ترجمة الكتاب المقدس للكاتوليك فقد أبقت على علاقة موسى بكل من فرعون وهارون، كما جاء في سفر الخروج ٧ : ١، لكنها قالت في الحديث الذي سبق هذا عن العلاقة بين موسى وهارون قولا آخر، إذ جعلت موسى مثل الله!

"هو يخاطب الشعب عنك، ويكون لك فما، وأنت تكون له بمثابة الله" [خروج ٤: ١٦].

وأما التراجم الإنجيلية والفرنسية فقد اختلفت هي الأخرى مثلما حدث في التراجم العربية، وهنا نلاحظ اتفاق ترجمة الملك جيمس الإنجيلية^(١) مع ترجمة الكتاب المقدس للكاتوليك في جعل موسى بالنسبة لهارون بمثابة الله، وجعلته إلها بالنسبة لفرعون.

كما نلاحظ اتفاق الترجمة الفرنسية المسكونية مع ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت في جعل موسى إلها لكل من هارون وفرعون.^(٢)

ثانيا: اسم (مكة) الذي حذف من الترجمة العربية

في نسخة الملك جيمس وهي من أوائل الترجمات الإنجيلية للكتاب المقدس، وفي سفر المزامير، المزمور ٨٤ نقراً:

(١) (He shall be to thee instead of a mouth, and thou shall be to him instead of God) [Ex. ٤. ١٦].

(٢) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص ٣٢.

٥. Blessed is the man whose strength is in thee; in
whose heart are the ways of them.

٦. Who passing through the valley of Baca make it a
well; the rain also filleth the pools

والمزمور يتكلم عن الاشتياق للذهاب إلى مسكن الله ورحلة
الحجيج إليه

ونلاحظ أسم الوادي : وادي بكا، وبكا أسم علم لأن أوله حرف
كا بيتال.

وأيضاً نجد في النسخة القياسية المنقحة R.S.V. وهي النسخة
التي أعتمدها المجلس العالمي للكنائس المسيحية بالولايات المتحدة في
منتصف القرن العشرين النص كالاتي:

٥ Blessed are the men whose strength is in thee, in
whose heart are the highways to Zion.

٦ As they go through the valley of Baca they make it a
place of springs; the early rain also covers it with pools.^(١)

ونلاحظ هنا أنه تمت إضافة كلمة (to Zion) إلى صهيون، ولكن
ليس هذا موضوعنا، سنركز فقط على أسم الوادي، وننتقل إلى النص
الوارد على موقع يهودي وهم أدري بكتابهم (العهد القديم):

٦ Happy is the man whose strength is in Thee; in whose
heart are the highways.

The Bible, containing the Old and New Testaments, Revised Standard (١)
Version, The British & Foreign Bible Society.

Y Passing through the valley of Baca they make it a
place of springs; {N}

yea, the early rain clotheth it with blessings.

ولو استعرضنا بعض الترجمات الفرنسية سنجد نفس أسم
الوادي (بكا) كاسم علم لا يتم ترجمته:

٦. (٨٤:٧) Lorsqu'ils traversent la vallée de Baca, Ils la
transforment en un lieu plein de sources, Et la pluie la couvre
aussi de bénédictions.^(١)

وترجمة ايطالية:

٦ Quando attraversano la valle di Baka, la trasformano
in luogo di sorgenti, e la prima pioggia la ricopre di
benedizioni.

واسبانية:

٦ Pasando por el valle de Baca lo convierten en
manantial,
también las lluvias tempranas lo cubren de bendiciones.

ولكن نجد في ترجمات أخرى وعلى رأسها الترجمات العربية لا
تذكر أسم الوادي ولكن تترجم معناه العبري، منها ترجمة الفانديك:

٥. طُوبَى لِلْأَنَاسِ عِزُّهُمْ بِكَ. طُرُقُ بَيْتِكَ فِي قُلُوبِهِمْ.

٦. عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعاً. أَيْضاً بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ

مُورَةً.

La Bible Qui Comprend, L'ancien Et Le Nouveau Testament Traduits D'apres (١)

Les Textes Originax Hebreu Et Grec. Les Societes Bibliques

ولا أدري من أين أتى بكلمة (مورة) وهي أسم بلدة.

وجاء في الترجمة المشتركة:

٦. هَنِيئًا لِلَّذِينَ عَزَّزْتُهُمْ بِكَ، وَبِقُلُوبِهِمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْكَ.

٧. يَعْبُرُونَ فِي وَادِي الْجَفَافِ، فَيَجْعَلُونَهُ عُيُونَ مَاءٍ، بَلْ بُرْغًا

يَغْمُرُهَا الْمَطَرُ.

وأما ترجمة كتاب الحياة فجاء فيها:

٥. طُوبَى لِلنَّاسِ أَنْتَ قُوَّتُهُمْ. الْمُتَلَبِّثُونَ لَا تَبَاعِ طُرُقَكَ الْمُفْضِيَّةَ إِلَى

بَيْتِكَ الْمُقَدَّسِ.

٦. وَإِذْ يَعْبُرُونَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ الْجَافِّ، يَجْعَلُونَهُ يَنَابِيعَ مَاءٍ،

وَيَغْمُرُهُمُ الْمَطَرُ الْخَرِيفِيُّ بِالْبَرَكَاتِ.

ولا أدري من أين أتى بوصف المطر بأنه خريفي هل من حق

أي أحد أن يجري تعديلات على كتاب مقدس.

ويجمع بين هذه الترجمات إصرارها على عدم ذكر أسم الوادي.

وقاموا بترجمة الكلمة العبرية בִּכְאָב والتي تنطق بكا - ترجموها

بمعناها فقالوا وادي البكاء أو وادي الجفاف أو وادي الدموع في بعض

الترجمات، ومن المعروف أنه عند ترجمة أسماء الأعلام نترجمها بنطقها

على حالها ولا نترجم معناها، فمثلا إذا كان هناك فتاة أسمها (جميلة)

فلن نترجمها ونقول اسمها (beautiful) ولكن سنقول اسمها

(Jamiela) .

فما الذي دعا المترجمين إلى الابتعاد عن ذكر الاسم؟؟

الإجابة هنا في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

[٩٦: آل عمران]

ومن الغريب أن بكة (مكة) المذكورة في الآية هي وادٍ بين جبال، ويمر خلالها الحجيج إلى بيت الله، وبها بئر متفجر هو بئر زمزم لم ينضب منذ مئات السنين.

فالملايسات كثيرة مما حدا بالترجمات العربية بالذات والتي هي على علم بالقرآن أن تمحو اسم الوادي من كتابها، وتنتهت لذلك ترجمات أخرى وحذت حذوها.

وبصرف النظر عن حقيقة هذا الوادي وهل هو موجود في فلسطين في طريق الحجيج إلى بيت المقدس أو موجود في مكان آخر – إلا أن السؤال يطرح نفسه: هل من حق أي إنسان أن يعدل ويغير في كتابه المقدس حسب آراءه ومخاوفه؟

وإذا كان هذا قد تم في عصر الطباعة والكتب المنشورة على الملأ فماذا حدث أيام كانت النسخ قليلة وحكرا على رجال الدين فقط؟^(١)

(١) مقال منشور على الشبكة العنكبوتية العالمية.

المطلب الثالث: اختلاف التراجم في العهد الجديد

المسيح ليس هو الله

تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" [يوحنا ١ : ١].

وهو ما تقوله ترجمة الكتاب المقدس للكاتوليك، وتقوله أيضا التراجم الإنجيلية^(١) والفرنسية^(٢).

إلا أن ترجمة العهد الجديد للكاتوليك، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية تقول: "والكلمة هو الله".

إن هذه الترجمة الثانية تختلف عن الترجمة الأولى، بصرف النظر عما يبدو بينهما من تشابه، وكلاهما يختلف عن تراجم أخرى، ولما كنا أمام أخطر صيغة كتبت في العهد الجديد، كان من اللازم التدقيق في اختيار كل واحدة من مكوناتها.

وكيف يتفق هذا وما يقوله المسيح في حديثه عن اثنين هما: الله والمسيح، في أقوال كثيرة جاءت في إنجيل يوحنا، منها قوله: "أنا هو الشاهد نفسي، ويشهد لي الأب الذي أرسلني" [يوحنا ٨ : ١٧ - ١٨].

وقوله: "أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم" [يوحنا ٢٠ : ١٧].

وقوله: "لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الأب الذي أرسلني" [يوحنا ٥ : ٣٠].

فمرة يطلق على المسيح (الله)، ومرة أخرى يفرق بينه وبين الأب.

(١). (and the Word was God).

(٢). (et la Parole (le Verbe) etait Dieu).

الخاتمة

- بعد هذه الرحلة في ميدان من ميادين الترجمة، ألا وهي ترجمة الكتب المقدسة، يمكن القول أن الباحث توصل إلى النتائج التالية:
١. الترجمة عملية قديمة قدم اللغة، ولم يعد هناك من شك في أن كل نهضة فكرية أو علمية لابد أن يسبقها حركة ترجمة نشيطة
 ٢. للترجمة في تاريخ الثقافة العربية عدة تجارب لها شأن عظيم، فقد تم نقل أغلب تراث الأمم التي سبقت العرب كالفرس والروم خلال القرنين السابع والثامن الميلاديين وما بعدهما إلى العربية بواسطة الترجمة السريانية، ثم عن اليونانية مباشرة.
 ٣. إن الكتب السماوية تحتل مكانة رفيعة بين الكتب المترجمة، ولها أهمية كبيرة على مستوى علماء الترجمة ورجال الدين.
 ٤. يكاد يجمع علماء الشريعة الإسلامية على حُرمة ترجمة القرآن الكريم ترجمة الحرفية، فالذي يجوز ترجمة معاني القرآن وتفسيره، لا ألفاظه.
 ٥. تهدف ترجمة النصوص الإسلامية إلى تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة، فعبرها يستطيع هؤلاء معرفة الإسلام والدخول في دين الله. وتهدف الترجمة الإسلامية إلى رد شبهات أولئك المستشرقين الذين بذلوا جهوداً كبيرة في طعن الإسلام وإظهاره بالدين المتناقض المنقول عن كتب اليهود والنصارى.
 ٦. إن هنالك الكثير من الاختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ونرى بين الحين والآخر ظهور ترجمة تصحح سابقتها، واستمرت عملية تنقيح التراجم ومراجعتها - ولا تزال - إلى أن صدرت الترجمة القياسية المراجعة (Revised Standard Version) للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في عام ١٩٥٢ م. وهذا القول يكفي للبرهنة على وجود

أخطاء في التراجم، وإلا ما كان هناك داع لإعادة النظر فيها بقصد التنقيح والتعديل، وهي عملية مستمرة طالما فقد النص الأصلي، ولن يتوقف إلا بالعثور على ذلك الأصل المفقود.

دور الشباب في مناهضة الغلو والتطرف من خلال
علم مقارنة الأديان

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن الإسلام مشتق من مادة السلام، والقرآن الكريم والسنة المطهرة تشير نصوصهما بشكل واضح إلى تقديم التسامح والتعايش ونبذ العنف والكراهية، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(١) ويقول أيضا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢) فهي دعوة للتكاتف والاعتصام والتلاحم والتعايش السلمي، لأن العنف والتخاصم والتصادم والتنازع صواعق تهدد العلاقات الاجتماعية بالانفجار والتشطي والضياع.

وفي الوقت الذي تنبذ هذه النصوص حالات التنازع توجي نصوص أخرى إلى التقارب والحوار والتفاهم والتلاحم الفكري، فهي دعوة للسير والالتقاء ودراسة المكونات الفكرية والتاريخية لأبناء البلد الواحد والهوية الوطنية الواحدة، بل وبينهم وبين سائر البشر: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٣) ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(٤).

وأما النصوص الحديثية فهي مليئة بمفردات (الفكر، النظر، العقل، الخلق، البصيرة، الرأي، القول، العمل، التدبر..) والتي تؤسس لدى الذهنية الإسلامية الجماهيرية نوعا من الاتزان والنزعة إلى العقلانية والتأني والبناء والتقدم واستشراف المستقبل.

(١) سورة الأنفال: ٤٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٣) سورة النحل: ٢٦.

(٤) سورة الحجرات: ١٣.

هذا، وإن شريعة سيدنا عيسى عليه السلام، أقرت مبدأ التسامح خير إقرار، تشريعا وقولا وعملا وتطبيقا، فهو مما تتميز به المسيحية أكثر مما سبقها من رسالات وشرائع، بشهادة القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسِيّسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١) وقد جاء في بعض نصوص الكتاب المقدس: (فإن كنتم تغفرون للناس زلاتهم، يغفر لكم أبوكم زلاتكم. وإن كنتم لا تغفرون للناس زلاتهم، لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم... محتملين بعضكم بعضا، ومسامحين بعضكم بعضا إن كان لأحد على أحد شكوى ... وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضا في المسيح ... ومتى وقفتم تصلون، فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء، لكي يغفر لكم أيضا أبوكم زلاتكم وإن لم تغفروا انتم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم ... فقال يسوع: إغفر لهم، لأنهم لا يعرفون ما يفعلون...)^(٢) وغيرها الكثير من النصوص في الكتاب المقدس.

وقد اقضت المادة العلمية تقسيم البحث إلى مبحثين وخاتمة،

وكما يلي:

المبحث الأول: ماهية علم الأديان وبيان أهميته

المطلب الأول: ماهية علم الأديان

المطلب الثاني: تعريف الغلو والتطرف

المبحث الثاني: علم الأديان وأثره في مناهضة التطرف والغلو

والإرهاب

(١) سورة المائدة: ٨٢.

(٢) سيأتي تفصيل هذه النصوص من العهد الجديد في ثنايا البحث.

المطلب الأول: نشأة علم الأديان وأهمية دراسته
المطلب الثاني: الدعوة إلى الله تعالى بالتي هي أحسن
المطلب الثالث: دعوة القرآن الكريم والكتاب المقدس إلى
مناهضة التطرف

والله تعالى أسأل، أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم،
وأن يرزقني العلم النافع، وأن ينفعني بما علمني، والحمد لله أولاً وأخراً.

المبحث الأول: ماهية علم الأديان وبيان أهميته المطلب الأول: ماهية علم الأديان

الدّين ضرورة حياتية يطبع الإنسان بل يسير حركة حياته
ونمائه وفق قواعده، والتدين موقف أساسي من مواقف القيم
الإنسانية، بل من أعظمها والتي لا مندوحة له إلّا به.
ف نجد عبر الحقبة التاريخية للإنسان أنّه لا يوجد قوم عاشوا
دون أن يتدينوا بدين أو ينقادوا إلى رسوم وطقوس، لذلك فالفكرة
الدينية منتشرة بين جميع الشعوب والأقوام البدائية أو المتحضرة،
كالبابليين (بعل وعشتار) والسومريين (انوو انليل) والفرس (امورامزدا)
والهنود (برهما، سيفا، بوذا...) ولهذا ذكر مؤرخو الحضارات وتاريخ
الأديان كبنيامين كوستان: أنّ الدّين من العوامل التي سيطرت على
البشر وأنّ +التحسّس الدّيني من الخواص اللازمة لطبائعنا الرّاسخة،
ومن المستحيل أن نتصوّر ماهية الإنسان دون أن تتبادر إلى ذهننا فكرة
الدّين.^(١)

(١) علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، جيب، ترجمة، عادل العوا، منشورات عويدات،
بيروت باريس، الطبعة الثانية ١٩٨٩، ص: ١٢.

أمّا إذا رجعنا إلى نظرة الكتب السماوية (التوراة، الإنجيل، القرآن) فأنّها تؤكد على هذه الحقيقة السرمدية. فإنّ القرآن يؤكد أنّ الإنسان أو ما خلق خلق لدافع ديني (وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون).^(١)

أمّا الشعوب البدائية الموغلة في التوحش فلكل منها قوّة غيبية تتقرب إليها وكائن أعلى تتضرع إليه بالإضافة إلى الديانات السماوية الكبرى اليهودية، المسيحية، الإسلام.

من هذا تعيّن على الفكر الإنساني الاهتمام بظاهرة (الدّين) وجعله من المعارف الأساسية لدراسته في إطار العلوم حتى ظهر كعلم مستقبل بمنهج واهتماماته العلمية كباقي العلوم.^(٢)

وإنّ بداية ظهور علم مقارنة الأديان تظهر من خلال اهتمام الإنسان بالآخرين ومعتقداتهم بدافع دينه أو دوافع أخرى، ذاتية معرفية لكن الملاحظ عند مؤرخي الأديان أنّهم تضاربوا حول البدايات الأولى والتي مهدت لظهور هذا العلم... ويمكن القول أنّ تاريخ الدّين هو علم جديد، ونعني بعلم الدّين الدراسة الموضوعية لمختلف الأديان، أصلها، نموها في الزمان والمكان ونستخلص أنّه علم نسبي وجديد فقد سجل لنا علماء تاريخ الأديان بعض البدايات التي أفرزها الفكر اليوناني القديم... فقد تعرض الفلاسفة اليونانيون بكل حرية للمشاكل الكبرى التي جلبت اهتماماتهم كأصل العالم، العلاقة الإلهية بالعدالة، مصير الأرواح بعد الموت وعليه كانت هذه هي بداية النقد

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) مقارنة الأديان علم إسلامي ضاع ثم عاد، مقالة منشورة في الشبكة العنكبوتية العالمية،

موقع المسافر. www.almosafr.com/forum/t٢٤٨٦٢.html

الذي تطور أكثر عند الفلاسفة ومن ثمّ ظهرت عدّة مناهج تفسيرية للأديان.^(١)

ثمّ تلتها بعض التطوّرات حتى ظهر آخر الأديان السماوية (الإسلام) الذي أعطى هذا العلم حقه في الظهور واستشرف طرقه ومناهجه، فقد جاءت إشارات قرآنية ساعدت علماء الإسلام في العصور الزاهرة للحضارة الإسلامية أن يظهروا هذا العلم، فأوجبت احترام أي دين واحترام معتنقيه عكس ما بدى عند المسيحيين، في القرنين السادس عشر والسابع عشر.^(٢)

المطلب الثاني: تعريف الغلو والتطرف

أولاً: معنى الغلو

الغلو في اللغة: "الارتفاعُ ومُجاوزة القَدْرِ في كلّ شيء... و غَلا في الدِّين والأمرُ يَغْلُو غُلُوًّا جاوزَ حدّه.. وفي التنزيل: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾"^(٣) ... وقال بعضهم : غَلَوْتُ في الأمرِ غُلُوًّا وَغَلَانِيَةً وَغَلَانِيًّا إِذَا جاوزْتُ فيه الحدَّ وأفرطت فيه... والغُلُوّ الإِعْداء... وَغَلَا بالسَّهْمِ يَغْلُو غُلُوًّا وَغُلُوًّا وَغَالَى به غِلَاءً رَفَعَ يده يريد به أَقْصَى الغاية وهو من التجاوز؛ ومنه قول الشاعر: كَالسَّهْمِ أَرْسَلَهُ مِنْ كَفِّهِ الْغَالِي... وقال الليث: رمى به ؛ وأنشد للشماخ: كما سَطَعَ المِريخُ شَمَرَهُ الْغَالِي... والمُغَالِي بالسَّهْمِ: الرافِعُ يده يريدُ به أَقْصَى الغاية".^(٤)

Sous la direction de Maurice brilliant et René Aigrain, histoire de religions, (١)

Tome . ١, bloud et gay, France, p. ١١٣-١١٤.

Alfred. Loisy, leçon d'ouverture du cours d'histoire des religions au collège (٢)

de France, Emile nourry, paris, ١٩٠٩, p. ٠٦.

(٣) سورة النساء: ١٧١.

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور : ١٣٢/١٥.

فمعنى الغلو في لغة العرب: هو كل ما تجاوز حده وارتفع عن قدره وأفرط في أمر ما، سواء كان شخصا أو قضية أو جماعة. أما في الاصطلاح: فقد قال الجصاص: "هو مجاوزة حد الحق فيه".^(١)

أو يمكن القول إن كل من فعل أمرا موهما أنه مشروع وليس كذلك فهو غال في دينه مبتدع فيه قائل على الله غير الحق بلسان مقاله أو لسان حاله.^(٢)

ثانيا: معنى التطرف

التطرف في اللغة: إن المتتبع لهذه الكلمة في اللغة يجدها تدور على معنيين حد الشيء، والحركة في بعض الأعضاء^(٣) والذي يهمننا هنا هو المعنى الأول، وهو حد الشيء وحرفه. والذي ورد في معاجم اللغة: ان المراد منه هو منتهى الشيء وغايته هذا اذا لم يتساو الحدان، فيصلح كل واحد منهما ان يكون مبتدأ ومنتهى كحدي الخيط. ولذلك يقال تطرفت الشمس أي دنت للغروب قال الشاعر: دنا وقرن الشمس قد تطرفا^(٤). وقال الفيروزابادي في بيان معنى كلمة تطرف "منتهى كل شيء"^(٥).

(٢) أحكام القرآن للجصاص: ٢٨١/٣.

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث: ٢٠، ٢١.

(٣) مجمل اللغة، ابن فارس، مادة (طرف) ٤٤٧/٣.

(٤) تاج العروس، مادة طرف: ١٧٩/٦-١٨٠.

(٥) القاموس المحيط، مادة طرف ١٦٧/٣.

وقال في تاج العروس: ومقتضى سياق ابن سيده أنه الطرف
محركه^(١)

وفي المعجم الوسيط "الطرف من كل شيء منتهاه أو الناحية أو
الجانب"^(٢)

وقال الراغب: طرف الشيء جانبه، ويستعمل في الأجسام
والأوقات^(٣).

وعليه فالتطرف تفعل من الطرف تطرف يتطرف فهو متطرف
آت الطرف ومنه قولهم للشمس: إذا دنت للغروب تطرفت، وسواء أقلنا
بأن الطرف هو منتهى الشيء أم مطلق الحد، فإن من تجاوز حد
الاعتدال وغلا يصبح لغويا تسميته بالمتطرف. جاء في المعجم الوسيط
في معنى تطرف: "تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط"^(٤).

فالتطرف في اللغة معناه الوقوف في الطرف بعيدا عن الوسط،
وأصله في الحسيات كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو المشي. ثم
انتقل إلى المعنويات، كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك.^(٥)

أما التطرف في الاصطلاح:

فلم يخرج مفهوم التطرف في الفكر الإسلامي عن مفهومه في
اللغة فهو يعني مجاوزة الحدود الشرعية... فقد عرفه الإمام الشاطبي:
"هو المبالغة في الأمر، ومجاوزة الحد فيه إلى حيز الإسراف"^(٦).

(١) تاج العروس: مادة طرف: ١٨١/٦.

(٢) تاج العروس للزبيدي: مادة طرف: ١٧٦/٦.

(٣) المفردات: مادة طرف ٣٠٢.

(٤) المعجم الوسيط. مادة طرف ٥٦١/٢.

(٥) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف يوسف القرضاوي ص ٢٣.

(٦) الاعتصام، الشاطبي: ٣٠٤/١.

وذكر ابن حجر في فتح الباري بأنه: "المبالغة في الشيء والتشدد فيه بتجاوز الحد"^(١).

وقد عرف ابن خلدون المتطرفين بكونهم طوائف فقال: "تجاوز حد العقل والإيمان في القول بالوهمية البشر إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية..."^(٢)

المبحث الثاني: علم الأديان وأثره في مناهضة التطرف والغلو

والإرهاب

المطلب الأول: نشأة علم الأديان وأهمية دراسته

لقد أعطى الإسلام لليهود والنصارى وضعاً متميزاً في التعامل والعلاقات، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهِنَا وَالْهَيْكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.^(٣)

كما أنه أباح مؤاكلة أهل الكتاب ومصاهرتهم والتزوج من نسائهم ويكون لهذه الزوجة الكتابية القيام بفروض عبادتها والذهاب إلى معبدها أو كنيستها لممارسة شعائر دينها ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.^(٤)

لهذا ظهر علم تاريخ الأديان أو علم الملل والنحل والذي أصبح يعرف من بعد بعلم مقارنة الأديان بمنهجيته السمحاء وبعده الإنساني والعالمي على عكس الأديان الأخرى التي كانت تعتبر أي دين ضلالاً

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني: ٣٤٤/١٣.

(٢) المقدمة: لابن خلدون: ١٤٩.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٤) سورة المائدة، الآية ٥٦.

وبدعة، فإذا نظرنا إلى موقف اليهودية من المسيحية والمسيح فهي تعتبرها ضلالاً بل اعتبرت المسيح (عليه السلام) ضمن المسحاء الكاذبين....

فقد ذكر آدم ميتز: "... أن تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى وهو التسامح الذي لم يسمح مثله في العصور الوسطى سبباً في أنّ الحق بمباحث علم الكلام شيء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى هو علم مقارنة الملل".^(١)

واهتم المسلمون أيضاً بدراسة الأديان غير السماوية، اعتنوا بها وبمعتقداتها وما أفرزته من أطر اجتماعية وثقافية، فكانت دراستهم من أهم ما أنتجه الفكر الإنساني وقتها، حتى أن كتب علم الكلام لا تخلوا من دراسة ومناقشة هذه الأديان كالثانوية، المناوية المزدكية، الهندوسية (البرهمية)، البوذية.^(٢)

وهذا العلم كما يبدو من المؤلفات التي تركها المسلمون الأوائل، علم قديم، وفي هذا يقول الشهرستاني أحد أساطين هذا العلم: "أعلم أنّ العرب في الجاهلية كانت على ثلاثة أنواع من العلوم: أحدها: علم الأنساب والتواريخ والأديان..."^(٣).

(١) آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، محمد الهادي أبوا ريدة، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة ١٩٨٦، ج ١: ص: ٣٤٣-٣٤٢.

(٢) Guy Monnot, islam et religions, éditions Maisonneuve et larose, paris ١٩٨٦, pp, ٣٨-٤٤.

ينظر كذلك إلى بليوغرافيا التي وضعها المؤلف للكتابات التي درست الأديان غير السماوية من صفحة ٤٩-٧٩.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني: ٨٣ / ٣.

كما ورد كذلك في رسائل إخوان الصفا: "وأعلم يا أخي أنّ العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان".^(١)

وفي هذا إشارة واضحة إلى أهمية هذا العلم وقدمه عند المسلمين. وأهميته تكمن في أنّ جلّ علماء المسلمين قد خصصوا له مبحثاً خاصاً حتى ولو لم يكونوا متخصصين فيه.

المطلب الثاني: الدعوة إلى الله تعالى بالتي هي أحسن

الدعوة الإسلامية اتصال إقناعي يتضمن حدوث تفاعلات وتأثيرات متبادلة بين عناصر الاتصال : المرسل، الرسالة، الوسيلة، المستقبل، رجوع الصدى . ولذلك فإنه لا يمكن فهم جانب أو أكثر من جوانب النشاط الدعوي إذا ما درسناه بمعزل عن الجوانب الأخرى، إذ أن التغييرات التي تطرأ على عنصر واحد أو أكثر من عناصر الاتصال الدعوي يؤدي إلى حدوث تعديلات على بقية العناصر، وهذا يُبرز أهمية دراسة عناصر الاتصال في الدعوة الإسلامية، وتحديد دور كل عنصر منها وأهميته^(٢).

وعناصر الاتصال في الدعوة الإسلامية هي :-

١. المرسل (الداعية) :

المرسل في علم الاتصال هو : من لديه أفكار أو معلومات أو خبرات أو وجهات نظر معينة يريد توصيلها، وهو قد يكون فرداً أو جماعة أو هيئة .

(١) محمد خليفة حسن أحمد، دراسات في تاريخ وحضارة الشعوب السامية القديمة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٨٥، ص: ١٢٧.

(٢) ينظر: الإعلام الإسلامي: المبادئ، النظرية، التطبيق، محمد منير حجاب: ١١٢.

والمرسل في علم الاتصال يقابل الداعية في مجال الدعوة الإسلامية، وقد عرفه أحد المتخصصين بعلم الاتصال على أنه : شخص محترف يحاول التأثير في الناس لكي يتبنوا أفكاراً معينة يشعر أنها ضرورية ومهمة^(١).

أو هو شخص مؤمن بفكرته يدعو إليها بالكتابة والخطابة، والحديث العادي، والعمل الجدي، وبكل ما يستطيع من وسائل الدعاية، فهو كاتب وخطيب ومحدث وقُدوة يؤثر في الناس بعلمه وشخصه، والداعية أيضاً طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، فهو قائد في محيطه وسياسي في بيته وزعيم لفكرته^(٢).

والتعريف الأكثر شمولاً هو : أن الداعية شخص له أسلوب دعوي يؤثر به على غيره ولديه افكار يؤمن بها ويصدر عنها في سلوكه وتصرفاته، ويستخدم لذلك إمكانيات وسائل الإعلام المتاحة كافة، ومختلف الأساليب الإقناعية، من أجل تكوين رأي عام صائب علمي يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته، وذلك على وفق منهج علمي وفني مدروس ومخطط ومستمر ودون أن يبغى بذلك منصباً أو جاهاً^(٣).

ولكي يحقق المرسل « الداعية » النجاح المطلوب من اتصاله الدعوي لابد أن يحوز على ثقة الجمهور الذي يخاطبه ويقدره وذلك

(١) المصدر نفسه: ١٠٩، ٢١٠.

(٢) ينظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٥.

(٣) ينظر: الإعلام الإسلامي: المبادئ، النظرية، التطبيق: ٢١٠.

يتحصّل بمراعاة عوامل التأثير في نجاح الاتصال والتي تتعلق بالمرسل وهي^(١):-

١. خبرة المرسل : وهي مدى معرفة صاحب الرسالة بالموضوع الذي يريد إبلاغه للجمهور . فكلما كان الشخص ملماً بموضوع رسالته التي يوجهها كان تأثيره على الجمهور المتلقي أكبر، ولذا فإن على الداعية أن يلم بمجموعة من العلوم والمعارف التي تعينه في دعوته والتي يطلق عليها عدة الداعية .

٢. مصداقية المرسل : فكلما شعر الجمهور المستقبل بمصداقية المرسل عالية في تناوله للموضوعات كان أكثر تقبلاً لآرائه وأفكاره، ولذلك فإن على الداعية حينما يناقش عقائد غير المسلمين ينبغي أن يتصف بالموضوعية والحيادية دون إحجاف أو غبن .

وعدة الداعية هي : المعارف والخبرات التي تعرّف الداعية بوظيفته، وحقيقة الدور الذي عليه القيام به، وأهدافه وآليات تحقيقها التي بمجموعها تؤدي إلى نجاح الأداء الدعوي، وهي مجموعة من العلوم التي منها ما يتعلق بوظيفة الداعية ورسالته الواجب عليه إيصالها إلى المدعويين ومنها ما يتعلق بالمدعويين وطبائعهم وثقافتهم وهي :-

أولاً :- العلوم الشرعية : والعلوم الشرعية أهمهما الكتاب والسنة وكما يأتي^(٢):-

(١) ينظر: كيف تؤثر وسائل الإعلام: دراسة في النظريات والأساليب، محمد عبد الرحمن الحضيف، ط٢، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م: ٤٨، ٤٩ .

(٢) ينظر: الإعلام الإسلامي: المبادئ، النظرية، التطبيق: ٢٤٥ و٢٤٦، والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن وهف القحطاني، ط٢، الرياض، مكتبة الرشد، ١٩٩٢م: ١٢٠، ١٢١ .

أ. القرآن الكريم وعلومه : فعلى الداعية أن يدرس القرآن الكريم وتفسيره دراسة واعية لما تضمنته آياته من معاني ونصوص وأوامر ونواهي، إذ أن القرآن الكريم قد حوى من حقائق النفس والحياة والاجتماع الإنساني الكثير مما يفيد الداعية، وفضلاً عن ذلك فهو كتاب الدعوة الأول .

ب. السنة المطهرة : فهي المصدر الثاني للدعوة الإسلامية، والشارحة للقرآن الكريم والمبينة له والمفصلة لإجماله، وفيها يتمثل التطبيق العملي لكتاب الله تعالى، وتتمثل السنة النبوية في أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وأوصافه وسيرته التي حفظها لنا كتب الصحاح.

ثانياً :- الثقافة الإنسانية :- فعلى الداعية أن يُلم بأصول ما يعرفه باسم العلوم الإنسانية لكونها وثيقة الصلة بموضوع الإنسان الذي يُشكل غاية الداعية ومُرادَه، فالإلمام بهذه العلوم يعينه على فهم المدعويين، ويجعله أقدر على مخاطبتهم على قدر عقولهم^(١).

ثالثاً : الثقافة الإعلامية :- والثقافة الإعلامية لها دورها وأهميتها الخاصة، فهي المدخل والطريق الذي يوصل الداعية إلى تحقيق هدفه من عملية الدعوة وتتكون هذه الثقافة من حصيلة مجموعة من العلوم أهمها^(٢) : مناهج البحث، وسائل الإعلام، فنون التحرير الإعلامي والإخراج، نظريات الإعلام : وتتضمن الأسس المختلفة للإقناع والتأثير وتغير الاتجاهات وكافة العوامل التي تؤثر على عملية الاتصال،

(١) ينظر : الإعلام الإسلامي : المبادئ، النظرية، التطبيق : ٢٤٧، ٢٤٨، فصول في الدعوة الإسلامية : ٩٠ .

(٢) ينظر : الإعلام الإسلامي : المبادئ النظرية، التطبيق : ٢٤٨، ٢٤٩ .

ومن هنا تأتي أهميتها بالنسبة للداعية بما تقدمه له من أساليب ووسائل تفيده في دعوته .

٢. الرسالة (الرسالة الدعوية) :

تعرّف الرسالة بأنها المضمون والفكرة المراد إيصالها للمتلقي^(١)، أو النتاج المادي الفعلي للمصدر الذي يضع فكره في اطار معين^(٢)، وعلى ذلك فإن الرسالة الدعوية هي : النتاج الفعلي للداعية والمتضمن بيان حقيقة الدين الإسلامي عقيدة وشريعة بأسلوب جذاب، ومؤثر، أي أن الرسالة الدعوية تتضمن أمرين :-

١. المضمون (بيان حقيقة الإسلام عقيدة وشريعة) .

٢. الأسلوب (المؤثرات الفنية، صياغة الرسالة، الاستمالات العاطفية، الاستمالات العقلية) .

المطلب الثالث: حض القرآن الكريم والكتاب المقدس على

التسامح

قال تعالى متحدثا عن أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣) .

وهذا من إنصاف القران، فهو لا يعمم حكمه إلا حيث يكون التعميم هو الحق الذي لا شك فيه، وإن كان في قوم من هم جديرون بالثناء ذكرهم كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ

(١) ينظر : مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، محمود حسن إسماعيل، القاهرة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م: ١٠٤ .

(٢) ينظر : الإعلام الإسلامي : المبادئ، النظرية، التطبيق : ١٠٩ .

(٣) آل عمران ١١٣-١١٤

تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴿١﴾. أي إن القوم ليسوا متساوين في هذه الأعمال وتلك الأخلاق، فليسوا جميعاً أشراراً، وإن الله لم يخلق طائفة كبيرة من الناس اجتمعت على الشر اجتماعاً مطلقاً، بحيث يرتضيه الجميع ويقصدونه ويريدونه ويغونه عامدين يريدن معتدين، بل إن منهم الضال، ومنهم المضل، ومنهم الناطق بالحق الذي لا يجد داعياً، أو يحمل على السكوت في وسط نكران الضالين. وبعد أن ذكر سبحانه أنهم ليسوا سواء، ذكر أحوال أشرارهم، ثم ذكر أحوال أخيارهم ﴿يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. (٢) وهذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم من الذين آمنوا بالله وما أنزل إليهم وما أنزل على محمد ﷺ، مع خشوعهم لله وعدم كتمانهم ما بأيديهم من البشارات بمحمد ﷺ وذكر صفته ونعته ومبعثه، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ . أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾. (٣).

(١) آل عمران / ٧٥

(٢) آل عمران / ١٩٩

(٣) القصص / ٥٢-٥٤.

وذكر صفات هؤلاء بقوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾^(١) والحق إن هذه الصفات لا توجد في اليهود إلا قليلا، ولكن كثيراً من النصارى ينقادون إلى الحق عندما يدعون من قبل داعية مؤثر ومخلص لدينه كونهم أكثر رافة من اليهود إذ قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً﴾.^(٢)

كما أنهم أقرب مودة للمؤمنين من غيرهم إذ قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٣) فهؤلاء أكرمهم الله جل وعلى بهذا الإيمان إذ قال تعالى: ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

تدل الآية الكريمة على أن أقرب الناس محبة ومودة للمؤمنين: الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّا نَصَارَى أي قالوا: إنهم أتباع المسيح والإنجيل، فكان فيهم في الجملة مودة للإسلام وأهله، لما في قلوبهم على دين المسيح من الرقة والرافة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً﴾^(٥).

(١) الإسراء/ ١٠٧-١٠٩

(٢) الحديد/ ٢٧

(٣) المائدة/ ٨٢

(٤) المائدة/ ٨٥

(٥) سورة الحديد آية ٣٧.

وكان سبب مودة النصارى للمؤمنين: أنه يوجد فيهم قسيسون (علماء) ورهبان (عبّاد) يدعون للإيمان والفضيلة والتواضع، والزهد والتقشف، ولا يستكبرون عن سماع الحق والإنصاف وينقادون له، فوصفهم الله بالعلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه، والإنصاف.^(١)

وإذا سمعوا شيئاً من القرآن المنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، بكوا بكاء حاراً غزيراً تعاطفاً مع كلام الله، وما عرفوا من الحق، مما عندهم من البشارة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يبادرون لقبول دعوة الإيمان قائلين: ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين، والمراد به إنشاء الإيمان والدخول فيه أي آمنا بك وبرسلك وبمحمد صلى الله عليه وسلم، فاكتبنا مع من يشهد بصحة هذا المنزل على الأنبياء ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم، ويشهد لك بالوحدانية. وروى ابن مردويه وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس في قوله: فَارْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ أي مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمثه الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة، كما قال تعالى في خصائص أمة المصطفى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٢) .^(٣)

وهذا التكريم وهذا النداء العظيم لم يخص به النصارى فحسب، بل كل من آمن بالله واتبع رسل الله فله أجره عند ربه إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي: ٥/٧.

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي: ٨/٧.

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾ وقد تكرر هذا النداء كثيرا في كتاب الله فهو يحثهم على الإيمان، وبين لهم عظيم أجرهم عند الله ^(٢).

فقد ثبت في الحديث أن جعفرأ بن أبي طالب ؓ لما قرأ سورة (كهيعص) بحضرة النجاشي ملك الحبشة وعنده البطارقة والقساوسة بكى وبكوا معه، حتى أخضبوا لحاهم ^(٣).

وجاء في الحديث الصحيح إن النجاشي لما مات نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه: وقال: (إن أبا لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه) ^(٤). وهذا من عدل الإسلام وإنصافه وسماحة أهله. فالعبرة بحقيقة العقيدة، لا بعصبية جنس أو قوم ^(٥).

وفيما يخص الكتاب المقدس...

فإنه من البديهي أن الأديان بحكم انتمائها إلى السماء، فإنها لا تأمر إلا بالخير والحق والصلاح ولا تدعو إلا بالبر والحب والرحمة والاحسان، ولا توصي إلا بالأمن والسلم والسلام، وما كانت يوماً في حد ذاتها عائقاً أمام التبادل والتلاقح والتثاقف ولا أمام التعايش والتعارف والحوار، وإنما العائق يكمن في الذين يتوهمون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة ويستغلون الأديان في أقدار الناس ومصائرهم، تلك المهمة التي أبى الله تعالى أن يمنحها لأنبيائه الأخيار.

(١) البقرة/٦٢

(٢) ينظر: تفسير المنار ٢٧٥/١

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٥٤٤/١

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، برقم (٩٥٣)

(٥) ينظر: في ظلال القرآن ٢٧٥/١

وفيما يأتي بعض النصوص التي جاءت في الكتاب المقدس تحث الناس على التسامح:

(فإن كنتم تغفرون للناس زلاتهم، يغفر لكم أوبكم السماوي زلاتكم. وإن كنتم لا تغفرون للناس زلاتهم، لا يغفر لكم أوبكم السماوي زلاتكم).^(١)

وجاء في تفسير هذا النص: "يعطينا يسوع تحذيرا خطيرا يختص بالغفران، فإذا أبينا أن نغفر للآخرين، فإنه هو أيضا لن يغفر لنا، لماذا؟ لأننا عندما لا نغفر للآخرين، فإننا ننكر أننا خطاة مثلهم في حاجة إلى غفران الله، وغفران الله لخطايانا ليس نتيجة مباشرة لغفراننا للآخرين، ولكنه يقوم على أساس إدراكنا معنى الغفران. وكيف يمكن أن تحصل على الغفران لو أن غفران الله كان يتوقف على غفرانك للآخرين؟ من السهل أن نلتمس المغفرة من الله، لكن من الصعب أن نغفر للآخرين، ولكن كلما التمسنا من الله أن يغفر لنا خطايانا، فلنسأل أنفسنا: هل غفرت أنا لمن أساءوا إلي وأخطأوا في حقي".^(٢)

(محتملين بعضكم بعضا ، ومسامحين بعضكم بعضا ان كان لاحد على احد شكوى . كما غفر لكم المسيح هكذا انتم ايضا)^(٣)

وجاء في تفسيرها: "إن السبيل الوحيد للغفران، هو أن نذكر كم غفر الله لنا، إن إدراكنا لمحبة الله وغفرانه للذين لا حدود لهما، يمكننا من أن نحب الآخرين ونغفر لهم، يجب أن يحيى المسيحيون في

(١) متى ٦: ١٤ - ١٥

(٢) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ١٨٨٩.

(٣) كولوسي ٣: ١٣

توافق تام، وليس معنى هذا ألا توجد أي اختلافات في الرأي، ولكن المسيحيين يستطيعون في المحبة أن يعملوا معا رغم هذه الاختلافات، فهذه المحبة ليست مجرد مشاعر، ولكنها إرادة وعزم على الاستجابة لحاجات الآخرين، وهي تؤدي إلى السلام بين الأفراد، وبين أعضاء جماعة المؤمنين، فهل تسبب بعض المشاكل في علاقتك بغيرك من المؤمنين، نزاعا علنيا أو صمتا متبادلا، فكر فيما تستطيع أن تفعل لعلاج هذه العلاقات بمحبة خالية من الأنانية".^(١)

(وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض ، شفوئين متسامحين كما سامحكم الله ايضا في المسيح).^(٢)

وجاء في تفسير هذا النص: "هذا هو قانون المسيح للغفران كما جاء في الأناجيل (مت، مر) كما نجده في الصلاة الربانية: اغفر لنا ذنوبنا كما تغفر للآخرين، ولكنه يغفر لنا بناء على رحمته العظيمة، وكما فهمنا رحمته، نريد أن نكون مثله، وحيث أننا نلنا الغفران فلا بد أن نسعى لتوصيله للآخرين، والذين لا استعداد لديهم للغفران، لم يصبحوا بعد واحدا مع المسيح الذي كان على استعداد أن يغفر حتى للذين صلبوه... فعلينا أن نقلد المسيح، فقد قادته محبته العظيمة لنا إلى أن يبذل نفسه عنا لكي نحى نحن، فيجب أن تكون محبتنا للآخرين من هذا النوع، المحبة التي تتجاوز العواطف إلى خدمة التضحية بالذات".^(٣)

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ٢٥٦٦.

(٢) أفسس ٤ : ٣٢

(٣) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ٢٥٢٨.

(ومتى وقفتم تصلون ، فاغفروا ان كان لكم على احد شئ ، لكي يغفر لكم ايضا ابوكم الذى فى السموات زلاتكم وان لم تغفورا انتم لا يغفر لكم ابوكم الذى فى السموات ايضا زلاتكم).^(١)

(تقدم بطرس وقال ليسوع: يا سيد، كم مرة يخطأ إليّ أخي وأغفر له؟ أسبع مراتٍ؟ فأجابه يسوع: لا سبع مراتٍ، بل سبعين مرةً سبع مراتٍ).^(٢)

(فقال يسوع يا ابتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعرفون ما يفعلون).^(٣)
وقد أشكلت هذه النصوص على بعض المسيحيين المعاصرين، مما أدى القساوسة إلى إزالة هذا الإشكال، يقول القس أنطونيوس فكري:

" سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً. ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين. من سالك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده. قيل عين بعين= وصايا الناموس هذه تصلح لشعب بدائي، لا يملك النعمة التي تعطي المسيحي أن يحب أعداءه. ولكن هذه الوصايا كانت لازمة لمنع التوحش والانتقام الرهيب، إذ أن الإنسان البدائي مستعد أن يقتل من يفقده عينه. وجاء المسيح ليطلب أن نقابل الشر بالخير وهذه درجة عالية جداً، لا يملك الإنسان البدائي أن ينفذها، فما يساعدنا الآن على تنفيذها هو حصولنا على النعمة. لا

(١) (مرقس ١١: ٢٥-٢٦)

(٢) (متى ١٨: ٢١)

(٣) (لوقا ٢٤: ٣٤)

تقاوموا الشر = المقصود الشخص الشرير وتقاوم في اليونانية تعني أن تقف في حرب ضد من يقاومك مجاهدًا أن تنتصر عليه خدك الأيمن = المقصود به الكرامة الشخصية. الآخر = ربما يكون المقصود به هو أن تترك له سبب الخلاف الذي أدى للإهانة. فلو أهانك أحد بسبب خلاف على شيء: (١) سامحه؛ (٢) تنازل عن هذا الشيء.

نفهم من هذا أن لا نهتم بدرجة كبيرة بحقوقنا الشخصية بل نقبل البذل والتضحية والعطاء بحب، والتسامح مع حتى من يوجه لنا إهانة وإن أخذ أحدٌ منك شيء فاتركه واترك غيره لتستريح من مشاكل القضاء أي اشتر راحتك وسلامك = اترك الرداء أيضًا فترج وقتك وفكرك وربما تريح من يخاصمك بحبك له. والرداء عادة أغلى ثمنًا. عمومًا لن نستطيع هذا إلا من حسب مع بولس أن كل شيء في العالم نفاية.^(١)

* تعاليم المسيح في هذه الآيات ليس هدفها التطبيق الحرفي مثلما فهمنا عدم لزوم قطع اليد اليمنى... لكن الرب يقصد أن الأهم لنا أن نحفظ بسلام القلب بقدر إمكاننا، "فثمر البر يزرع في السلام"^(٢) أما الذي يتصارع على كل شيء فهو يحيا فاقداً سلامه. فيدفع ثمنًا غاليًا هو فقدان سلامه، وبالتالي يفقد ثمار البر؛ أي عمل الروح القدس فيه، فالروح يعمل في الهدوء القلبي كما سمع إيليا صوت الله في الهدوء.^(٣)

(١) (في ٨:٣)

(٢) (يع ١٨:٣)

(٣) شرح الكتاب المقدس / العهد الجديد، القس أنطونيوس فكري، تفسير إنجيل متى، العظة على الجبل.

الخاتمة

خلص الباحث من خلال الدراسة في هذه العجالة إلى ما يلي:

- الإسلام مشتق من مادة السلام، والقرآن الكريم والسنة المطهرة تشير نصوصهما بشكل واضح إلى تقديم التسامح والتعايش ونبذ العنف والكراهية.
- تدعو النصوص الدينية إلى التقارب والحوار والتفاهم والتلاقح الفكري، فهي دعوة للسير والالتقاء ودراسة المكونات الفكرية والتاريخية لأبناء البلد الواحد والهوية الوطنية الواحدة
- شريعة سيدنا عيسى عليه السلام، أقرت مبدأ التسامح خير إقرار، تشريعا وقولا وعملا وتطبيقا.
- الدّين ضرورة حياتية يطبع الإنسان بل يسير حركة حياته ونمائه وفق قواعده، والتدين موقف أساسي من مواقف القيم الإنسانية، بل من أعظمها والتي لا مندوحة له إلاّ به.
- إن للشباب دورا كبيرا في مناهضة الغلو والتطرف، وفي نشر فكر التسامح واللاعنف.
- يتميز المتخصص والباحث في علم الأديان عن غيره؛ بسبب اطلاعه المستفيض على الشرائع السماوية، والملل، والنحل الأخرى، فهو قد اطلع عليها وعلى تفاصيلها، وعرف كيفية التعامل مع كافة الناس.
- تتميز الرسائل السماوية عن غيرها من الأديان غير السماوية بتطبيق مبدأ التسامح والمحبة، وهي تنبذ كافة أشكال التطرف والغلو والإرهاب

● كثيرة هي النصوص الدينية في الإسلام التي تدعو إلى المسامحة والعفو والمغفرة عند القدرة، وتنهى عن الظلم والتطرف، وتدعو إلى الوسطية.

● مما تميزت به الديانة المسيحية كثرة النصوص التي تدعو إلى التسامح والعفو والمغفرة، فالعهد الجديد الذي بين أيدينا يؤكد على هذا المبدأ تأكيداً عظيماً، ولا يدع مجالاً للدعوة إلى العنف أو التطرف البتة.

قرايين الأمم السابقة بين العهد القديم والقرآن
الكريم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد،
والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، من بعثه الله تعالى رحمة
للعالمين، وبعد...

فإن دراسة علم الأديان من أشق الدراسات وأحدها! فمشقته
تكمُن في قلة المصادر المترجمة إلى اللغة العربية، ولذته تتبلور في
الارتقاء بالإيمان من التقليد إلى علم اليقين؛ فالباحث في علم الأديان،
يطلع على أخبار الأمم السابقة، وأحوال الأديان الأخرى، فيشكر الله
تعالى على نعمة الإسلام، وكيف أن المسلم لا واسطة بينه وبين ربه،
ويجدد إسلامه بقول (لا إله إلا الله).

وإن دراسات الكتاب المقدس - بعهديه القديم والجديد -
قليلة نادرة؛ لقلّة الباحثين في علم مقارنة الأديان، وبحكم تخصصي في
هذا المجال، فقد عقدت العزم متوكلاً على الله تعالى، على أن أبذل
جهدي في البحث في الكتاب المقدس؛ لأهميته، ولما له من قيمة معنوية
لدى ديّانتي اليهودية والمسيحية، ورأيت أن أستفتح بحوثي ودراساتي في
موضوع (القرايين) التي هي أشبه ما تكون (بالأضاحي) في الإسلام، إلا أنه
ثمة اختلافات كبيرة بين المصطلحين في المفهوم والتطبيق، ولأن القرآن
الكريم قد أقر بوجود القربان في الأمم السابقة، كما أصّل كيفية
تطبيقه في غابر الأزمان، رأيت أن أقوم بدراسة هذا الأمر في القرآن
الكريم والكتاب المقدس، لما له من أهمية كبيرة عند اليهود والمسيحيين
في السابق والحاضر.

فقسمت بحثي - بعد جرد المادة العلمية - إلى مبحثين،
يسبقهما تمهيد في تعريف القربان، وتكلمت في أولهما عن القربان في
القرآن الكريم، وبينت ما ذكره في معناه المفسرون، ثم عرجت في

المبحث الثاني على القرايين في الكتاب المقدس، وجعلته مطلبين: الأول في معنى القرايين في الكتاب المقدس وكيفية تقديمها، والثاني في أنواع الذبائح والقرايين في الكتاب المقدس، سائلا المولى عز وجل، أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، والحمد لله أولا وآخرا.

تمهيد.. في بيان حدّ القريان

أولا: القريان في اللغة

القريان في اللغة، فعلان من قرب يقرب قريبا، من الباب الخامس في أبواب التصريف للفعل الثلاثي في اللغة العربية، ويأتي بمعنى الدنو، وهو ضد البعد، قال في العين: "القَرَبُ: طلب الماء ليلًا. والقاربُ: سفينة صغيرة... والفعل قَرَّبْتُ قَرِباً وأَقْرَبْتُ أيضاً قَرِباً. والقُرَابُ: مُقارِبَةُ الشيء... وقَرِبانُ أي قارب الامتلاء. وهذا قُرْبَانٌ من قرايين الملك أي وزير... والقُرْبُ ضد البعد، والاقترابُ الدنو، والتَقَرُّبُ: التدني والتواصل بحق أو قَرَابَةٍ"^(١).

واشتق من القرب القاربة، وهم الأقارب في النسب من أم أو أب، قال في الجمهرة: "وَقَرَبَ الشَّيْءُ قَرِبا: ضد البعد. وَيُقَال: قَرِبتُ من فلان قريبا وَتَقَرَّبْتُ تقريبا وتقربا... وَقَرِيب الرجل: مدانيه من نسب أم أو أب وَالْجَمْعُ قَرَابَةٌ وقرباء وأقرباء."^(٢)

وقد يأتي القرب بمعنى الطلب، قال في تهذيب اللغة: "تقول: هَذَا قَدَحٌ قَرِبانُ ماء، وَهُوَ الَّذِي قد قَارَبَ الامتلاء... قَرِبتُ مِنْكَ أَقرب قريبا؛

(١) العين: ١٥٣/٥ مادة (ق ر ب).

(٢) جمهرة اللغة: ٣٢٤/١ مادة (ب ر ق).

وَمَا قُرْبُكَ؛ وَلَا أَقْرَبَكَ قُرْبَانًا. وَقُرِبَتِ الْمَاءُ أَقْرَبَهُ قُرْبًا، أَي: طلبته؛ وَذَلِكَ إِذَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَاءِ مَسِيرَةٌ يَوْمٌ".^(١)

وكانت العرب تطلق على الليلة التي ترد فيها الإبل الماء، ليلة القرب، أورد ذلك صاحب مجمل اللغة في قوله: "والقرب: ليلة ورود الإبل الماء، وذلك أن القوم يسمون الإبل وهم في ذلك يسيرون نحو الماء، فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه، فتلك الليلة ليلة القرب".^(٢)

والقربان - وهو محل البحث - يأتي لمعان عدة، منها جلساء الملك وخاصته، قال في الصحاح: "والقُرْبَان، بالضم: واحد قرايين الملك، وهم جلساؤه وخاصته. تقول: فلان من قُرْبَانِ الأمير، ومن بُعْدَانِهِ".^(٣)

"وَالْقُرْبَانُ، بِالضَّمِّ: مَا قُرِبَ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ. وَتَقَرَّبَتْ بِهِ، تَقُولُ مِنْهُ: قَرَّبْتُ لِلَّهِ قُرْبَانًا. وَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ أَيْ طَلَبَ بِهِ الْقُرْبَةَ عِنْدَهُ تَعَالَى... وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَمِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾... وَالْقُرْبَانُ مَصْدَرُ قُرْبَ يَقْرُبُ أَيْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِإِرَاقَةِ دِمَائِهِمْ فِي الْجِهَادِ، وَكَانَ قُرْبَانِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ذَبْحَ الْبَقَرِ، وَالْغَنَمِ، وَالْإِبِلِ".^(٤)

(١) تهذيب اللغة: ١١٠ / ٩ أبواب القاف والراء.

(٢) مجمل اللغة: ٧٥١ باب القاف والراء وما يثلثهما.

(٣) الصحاح: ١٩٩ / ١ مادة (ق ر ب).

(٤) لسان العرب: ١ / ٦٦٥ فصل القاف، وينظر: مقاييس اللغة: ٨١ / ٥ مادة (ق ر ب).

ثانياً: القربان في الاصطلاح

عرف الفقهاء القربة بتعريفات مختلفة، من ذلك ما جاء في حاشية ابن عابدين: القربة: فعل ما يثاب عليه بعد معرفة من يتقرب إليه به وإن لم يتوقف على نية.^(١)

وفي موضع آخر قال: القربة: ما يتقرب به إلى الله تعالى فقط، أو مع الإحسان إلى الناس، كبناء الرباط والمسجد.^(٢)

والقربان: اختص في المتعارف، بالذبيحة المتقرب بها، وإن كان في الأصل عاماً في كل ما يتقرب به.^(٣)

ثالثاً: الألفاظ ذات الصلة

أ - العبادة:

العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، قال ابن الأنباري: فلان عابد، وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره.^(٤)

وأما في الاصطلاح فهي - كما قال ابن عابدين - : هي ما يثاب على فعله ويتوقف على نية، أو هي: فعل لا يراد به إلا تعظيم الله تعالى بأمره.^(٥)

والصلة بين القربة والعبادة هي أن القربة أعم من العبادة، فقد تكون القربة عبادة وقد لا تكون، كما أن العبادة تتوقف على النية، والقربة التي ليست عبادة لا تتوقف على النية.

(١) حاشية ابن عابدين ١ / ٧٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢ / ٢٣٧.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني: ٤ / ٣٢٢.

(٤) لسان العرب.

(٥) حاشية ابن عابدين ١ / ٧٢، ٢ / ٢٣٧.

ب - الطاعة:

الطاعة في اللغة: الانقياد والموافقة، يقال: أطاعه إطاعة، أي انقاد له، والاسم: طاعة.^(١)

وعرفها الفقهاء بعدة تعريفات، منها ما جاء في الكليات: الطاعة فعل المأمورات ولو ندبا وترك المنهيات ولو كراهة، والصلة بين القربة والطاعة هي أن القربة أخص من الطاعة، لاعتبار معرفة المتقرب إليه في القربة.^(٢)

وقد نقل ابن عابدين عن شيخ الإسلام زكريا في التفريق بين القربة والعبادة والطاعة، أن القربة: فعل ما يثاب عليه بعد معرفة من يتقرب إليه به وإن لم يتوقف على نية. والعبادة: ما يثاب على فعله ويتوقف على نية. والطاعة: فعل ما يثاب عليه، توقف على نية أو لا، عرف من يفعله لأجله أو لا، فنحو الصلوات الخمس والصوم والزكاة والحج من كل ما يتوقف على النية قربة وطاعة وعبادة، وقراءة القرآن والوقف والعتق والصدقة ونحوها مما لا يتوقف على نية قربة وطاعة لا عبادة، والنظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى طاعة لا قربة ولا عبادة، والنظر ليس قربة، لعدم المعرفة بالمتقرب إليه؛ لأن المعرفة تحصل بعده.^(٣)

(١) لسان العرب ٨ / ٢٤٠، والمصباح المنير: ٢ / ٣٨٠ مادة (ط و ع).

(٢) الكليات للكفوي ٣ / ١٥٦.

(٣) حاشية ابن عابدين ١ / ٧٢.

المبحث الأول: القرابين في القرآن الكريم

من العبادات المقدسة في الأديان السماوية السابقة تقديم القرابين إلى الله تعالى، لأغراض شتى وفي مناسبات مختلفة، فكان تقديم القرбан من أمور الشريعة وصنوف العبادات، وكانت له طقوس خاصة، ونتائج يلمسها المرء، فكان من يتقرب إلى الله تعالى بقربان ما، يعرف بعد مدة وجيزة ما إذا كان قربانه مقبلاً أم لا، فقد "كانت القرابين إذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء فأكلتها، وإذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار، وأكلتها الطير والسباع".^(١)

أو كان "يقرب المقرب قربانه ويقوم يصلي ويسجد، فإن نزلت نار وأكلت القرбан فذلك دليل للقبول وإلا كان تركه دليل عدم القبول".^(٢)

وقد أقرّ القرآن الكريم القرابين في الأمم السابقة، بل منذ بدء الخليقة، فقد ورد ذكر القرбан في القرآن الكريم بهذا اللفظ ثلاث مرات فقط، وورد بغير لفظ في قصة واحدة، أما الآيات التي ورد فيها لفظ القرбан صراحة فهي:

الآية الأولى: وهي في القصة المشهورة لابني سيدنا آدم عليه السلام، فقد قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.^(٣)

(١) الكشف والبيان: ٤ / ٤٩.

(٢) المحرر الوجيز: ٢ / ١٧٨.

(٣) المائدة: ٢٧.

فالآية الكريمة صريحة في ذكر القربان، وكيف أنه كانت العادة في السابق أن يتبين لمن يقربه قبوله من عدمه في فترة وجيزة، قال في معاني القرآن: "وكان الرجل إذا قرب قُرباناً سجد وتَنَزَّل النار فتأكل قربانه، فذلك علامة قبول القُربان".^(١)

أما في سبب تقريب قابيل وهابيل لهذا القربان، فقد اختلف العلماء والمفسرون في ذلك، فمن قائل أنه بدون سبب، وقائل أن السبب زواج أبناء وبنات حواء عليها السلام، وقد ذكر في النكت والعيون قوله: "واختلف في السبب الذي قربا لأجله قرباناً على قولين: أحدهما: أنهما فعلاه لغير سبب. والثاني: وهو أشهر القولين إن ذلك لسبب، وهو أن حواء كانت تضع في كل عام غلاماً وجارية، فكان الغلام يتزوج من أحد البطنين بالجارية من البطن الآخر، وكان لكل واحد من ابني آدم هابيل وقابيل توأمه، فأراد هابيل أن يتزوج بتوأمه قابيل فمنعه، وقال أنا أحق بها منك، واختلف في سبب منعه على قولين: أحدهما: أن قابيل قال لهابيل أنا أحق بتوأمتي منك، لأننا من ولادة الجنة وأنت من ولادة الأرض. الثاني: أنه منعه منها لأن توأمته كانت أحسن من هابيل ومن توأمته، فقربا قرباناً وكان قابيل حراثاً، وهابيل راعياً، فقرب هابيل سخلة سمينه من خيار ماله، وقرب قابيل حزمة سنبل من شر ماله، فنزلت نار بيضاء فرفعت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، وكان ذلك علامة القبول ولم يكن فيهم مسكين يتقرب بالصدقة عليه وإنما كانت قُرْبُهُمْ هكذا".^(٢)

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٦٦/٢.

(٢) النكت والعيون: ٢٨/٢.

وذكر في التفسير الكبير عن الكلام عن هذه الآية الكريمة

مسائل، منها:

"المسألة الأولى: قيل: كانت علامة القبول أن تأكله النار، وهو قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد: علامة الرد أن تأكله النار، والأول أولى لا تفاق أكثر المفسرين عليه. وقيل: ما كان في ذلك الوقت فقير يدفع إليه ما يتقرب به إلى الله تعالى، فكانت النار تنزل من السماء فتأكله.

المسألة الثانية: إنما صار أحد القربان مقبولا والآخر مردودا لأن حصول التقوى شرط في قبول الأعمال. قال تعالى هاهنا حكاية عن المحق إنما يتقبل الله من المتقين وقال فيما أمرنا به من القربان بالبدن: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لَحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾^(١) فأخبر أن الذي يصل إلى حضرة الله ليس إلا التقوى والتقوى من صفات القلوب".^(٢)

الآية الثانية: التي ورد فيها لفظ القربان صراحة، هي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَمِدٌ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

وهذه الآية الكريمة تؤكد التفاسير للآية السابقة، والأخبار الواردة في أن القربان لدى الأديان السماوية السابقة كان يشترط لقبوله إتيان نار من السماء تأكله، قال في التفسير الوسيط: "كانت بنو

(١) الحج: ٣٧.

(٢) التفسير الكبير: ٣٣٨/١١.

(٣) آل عمران: ١٨٣.

إسرائيل يذبحون لله، فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها وسط البيت، والسقف مكشوف، فيقوم النبي ويناجي ربه، وبنو إسرائيل خارجون حول البيت، فتزل نار بيضاء لها حفيف ولا دخان لها، فتأكل ذلك القربان".^(١)

وقال في جامع البيان: "القربان: ما تقرب به العبد إلى ربه من صدقة، وهو مصدر مثل العدوان والخسران من قولك: قربت قربانا، وإنما قال: ﴿تأكله النار﴾؛ لأن أكل النار ما قرب به أحدهم لله في ذلك الزمان كان دليلا على قبول الله منه ما قرب له، ودلالة على صدق المقرب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال كما: حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾ «كان الرجل يتصدق، فإذا تقبل منه أنزلت عليه نار من السماء فأكلته».^(٢)

وقال في تفسير ابن المنذر: "قربان تأكله النار، قال: كان من قبلنا من الأمم يقرب أحدهم القربان، فتخرج النار، فينظرون أيتقبل منهم أم لا؟ فإن يقبل منهم جاءت نار من السماء بيضاء، فأكلت ما قرب، وإن لم يقبل لم تأت تلك النار، فعرف الناس أن لم يتقبل منهم، وإن لم يكن كل القوم يتقرب مخافة أن لا يتقبل منه".^(٣)

الآية الثالثة: التي ورد فيها لفظ القربان هي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّا نَصْرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٤) وهي لا تخص الموضوع الذي نحن بصدد،

(١) التفسير الوسيط: ١/ ٥٢٩.

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان: ٦/ ٢٨٤.

(٣) تفسير ابن المنذر: ٢/ ٥١٨.

(٤) الأحقاف: ٢٨.

فالقربان هنا بمعنى "الأوثان التي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عز وجل".^(١)

وأما القصة التي ورد فيها القربان بغير لفظه الصريح، فهي قصة إبراهيم الخليل مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، ووردت القصة في آيات عديدة وتحدثت تلك الآيات الكريمة عن القربان بلفظ الذبح ثم الفداء، مثل قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾.^(٢)

مما تقدم، يتبين لنا جليا أن التقرب إلى الله تعالى بالقرايين كان من أمور الدين، وكان يفعله الأنبياء وأبنائهم، والصالحون وغيرهم، وكان من يريد التقرب إلى الله تعالى يظهر له قبول عمله في اللحظة ذاتها، فيعرف أن الله تقبل عمله أو لم يتقبله!

المبحث الثاني: القرايين في الكتاب المقدس

المطلب الأول: معنى القرايين في الكتاب المقدس وكيفية تقديمها قبل البدء في خوض غمار هذا الموضوع في الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد) لابد من الإشارة إلى أنني هنا - كباحث - لست في معرض النقد أو بيان الخطأ من الصواب، فعملي هنا يقتصر على إيراد ما ذكر في الكتاب المقدس من أمور تخص القرايين، ثم التعليق عليها وشرحها، للاطلاع على أهمية هذه الشعيرة في الديانتين اليهودية والمسيحية في السابق والحاضر، وستكون دراستي لهذا المصطلح في الكتاب المقدس بشيء من التفصيل؛ بناء على كثرة النصوص والأوامر

(١) الكشف والبيان: ٢٠١/٤.

(٢) الصافات: ١٠٧.

والتعليمات الواردة في العهدين القديم والجديد في القرايين، فأقول
وبالله التوفيق:

لقد كانت القرايين من عبادات العبرانيين المهمة، وخير دليل
على ذلك تكرار كلمة (قربان) في العهدين القديم والجديد ثمانية
وتسعين مرة، كما تكررت كلمة (مذبح) ثلاثمئة وأربعة وستين مرة!
والقرايين وردت كثيرا في سفر التكوين، بل يمكن القول إن
القرايين تعد أولى العبادات التي ذكرها في الكتاب المقدس – العهد
القديم، فمما ذكر عن القرايين في الكتاب المقدس:

(١) عبادة ابني آدم: قايين وهابيل، حيث كانت بالقرايين.^(١)

(٢) عبادة نوح: بعد انتهاء الطوفان وانحسار الماء، ونزوله من
السفينة، حيث أورد سفر التكوين بناءه مذبحا للرب، ثم أصدع عليه
الهائم والطيور الطاهرة، لأجل تقديمها قرايين عن طريق حرقها.^(٢)
(٣) قربان رب العائلة: كما ورد في سفر الأيام، وهو عن طريق
تقديم الذبيحة والمحركة عن رب العائلة وكذلك عن عائلته، حيث كان
هارون وبنوه يصعد محركات.^(٣)

(١) وهي قوله: "٣" وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب. ٤ وقدم
هابيل أيضا من أبقار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه. ٥ ولكن إلى قايين
وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قايين جدا وسقط وجهه. ٦ فقال الرب لقايين: لماذا اغتظت ؟
ولماذا سقط وجهك. ٧ إن أحسنت أفلا رفع ؟ وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة،
وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها". تك ٤: ٣-٧.

(٢) وهي قوله: "٢٠" وبني نوح مذبحا للرب. وأخذ من كل الهائم الطاهرة ومن كل الطيور
الطاهرة وأصدع محركات على المذبح. ٢١ فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه: لا
أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حدثته. ولا
أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت". تك ٨: ٢٠-٢١.

أولاً: المادة التي يتقرب بها

القرايين ثلاثة أنواع (من ناحية مادتها) وهي:

- (١) الحيوانات المستأنسة: أي البقر والثيران الفتية والكبيرة، أو الغنم أي الضأن والماعز، بشرط أن يكون ابن سنة واحدة^(٢).
- (٢) الطيور: اليمام والحمام فقط.^(٣)
- (٣) بعض الحبوب والسوائل الزراعية.^(٤)

ومن سنة يوسف ومريم – حينما قرّبت عن يسوع – تقديم زوج يمام أو فرخي حمام، فأصبحت هذه سنة الفقراء، اقتداء بهما.^(٥)
أما غير الفقراء فقد كانوا يقدمون خروفا ذا سنة واحدة، مع طائر واحد.^(٦)

أما فيما يخص الذبائح البشرية، فهي محرمة في الشريعة الموسوية؛ لأن الله منع إبراهيم من ذبح ابنه وتقديمه قربانا،^(٧) كما ورد في سفر اللاويين من التحذير الشديد من تقديم الأولاد قرايين،^(٨)

(١) وهي قوله: "وَأَمَّا هَارُونَ وَبَنُوهُ فَكَانُوا يُوقِدُونَ عَلَى مَذْبَحِ الْمُخْرَقَةِ وَعَلَى مَذْبَحِ الْبُخُورِ مَعَ كُلِّ عَمَلٍ قُدْسٍ أَقْدَاسٍ، وَلِلتَّكْفِيرِ عَنْ إِسْرَائِيلَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى عَبْدُ اللَّهِ".
أي (١) ٦: ٤٩.

(٢) إلا أنه في بعض المناسبات لا تحدد الشريعة السن كما في حالة تقديم ذبيحة السلامة التي يجوز فيها أن تكون ذكرا أو أنثى من بقر أو غنم. خر ١٢: ٥ وعد ٢٨ و ٢٩.
(٣) لا ١٤: ١٤.

(٤) خر ٢٩: ٢٢.

(٥) لو ٢: ٢٤.

(٦) لا ١٢: ٦-٨.

(٧) تك ٢٢: ٩-١٤.

(٨) لا ١٨: ٢١، ٢٠: ٢ كما أنه لا يجوز التضحية بوحوش البرية أو الأسماك.

بسبب أن العموميين كانوا يقدمون لمولك - إلههم - الذبائح البشرية من الأطفال، كقرايين له.

ثانياً: طريقة تقديم الذبائح

ورد في الكتاب المقدس في كيفية تقديم القرايين الشروط الآتية:

(١) وضع اليد على الرأس.

(٢) الاعتراف بالخطيئة.^(١)

(٣) قيام المضحى بذبح قربانه بنفسه، هو أو الكاهن.^(٢)

(٤) قيام المضحى بسلخ ضحيته بنفسه، وإن لم يستطع يقوم اللاويون بالمساعدة.^(٣)

(٥) تقطيع الذبيحة.

(٦) رفع قطع الذبيحة وترديد الصلوات.

(٧) حرق جزء من الذبيحة على المذبح.^(٤)

ثالثاً: قسمة القرايين

القرايين إجمالاً نوعان: إحداهما يقدم للرب، وثانيتها ما يقدم في الأعياد المختلفة، وهي تخصص للرب وللكهنة والعابدين الذين قاموا بتقديمها.

فأما القرايين التي تقدم إلى الرب، فهي المحرقات،^(٥) والدقيق الذي يقدمه الكهنة،^(٦) والدقيق الملتوت بالزيت المقدم من العامة،

(١) لا ١: ٤، ٤: ٤.

(٢) لا ١: ٥ و ٢ أخ ٢٩: ٢٤.

(٣) ٢ أخ ٢٩: ٣٤.

(٤) لا ٦: ٨.

(٥) لا ١٢: ١٧.

(٦) لا ٦: ٢٢ و ٢٣.

وهذا النوع يقوم الكاهن بأخذ جزء منه قدر قبضة، ثم يقوم بإيقاد النار فيه تذكارا على مذبح الرب، وما تبقى يقوم الكهنة بتقسيمه بينهم، طعاما لهم.^(١)

وأما القرايين التي تقدم في الأعياد المتنوعة - وهي ما سنتحدث عنه بالتفصيل في المطلب التالي - فيقوم الكاهن - أحيانا - بأخذ الصدر منه والساق اليمنى والتي يطلق عليها (ساق الرفيعة)^(٢) ويردد الصلوات أمام الرب، ثم ما تبقى من الأضحية أو الذبيحة، يأكله المحتفلون بالعيد وهم أصحاب الذبيحة.^(٣)

رابعا: القرايين في العهد القديم

بمرور الوقت، أصبحت الذبائح من القرايين طقوسا شائعة جدا، وأهملت كثير من العبادات والطقوس الدينية الرئيسية، بل وانتشرت فكرة مفادها أن الدين عبارة عن طقوس تقديم القرايين المختلفة للرب، حتى قام الأنبياء بالتنديد بهذا العمل، وأكد صموئيل لشاول أفضلية الطاعة على تقديم الذبيحة قربانا،^(٤) وقال إشعياء: "لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ؟ ... بِدَمِ عُجُولٍ وَخِرْفَانٍ وَتَيْوُسٍ مَا أَسْرُّ ... تَعَلَّمُوا فِعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ..."^(٥) وكذلك بين لهم النبي هوشع أن الله يريد رحمة لا ذبيحة.^(٦)

(١) ١٠-٧: ٢٤-١٦.

(٢) ٧٤: ٣٠-٣٤.

(٣) ١ صم ٢٠: ٦.

(٤) ١ صم ١٥: ٢٢.

(٥) إش ١٠: ٢٠-١٠.

(٦) هو ٦: ٦، وينظر أيضا: عا ٢١-٢٣ ومي ٦: ٦-٨ ومز ٥١: ١٦ و ١٧.

مع ذلك، فإنّ الذمّ الحاصل من الأنبياء على الذبائح والقربان إنما كان ينصبّ على العاصين والأشرار، لا على المطيعين لله، المتصفين بالعدل والرحمة، جاء في سفر الأمثال "ذَبِيحَةُ الْأَشْرَارِ مَكْرَهُةُ الرَّبِّ، وَصَلَاةُ الْمُسْتَقِيمِينَ مَرْضَاتُهُ"^(١).

ويذكر العهد الجديد القربان، ويبين أنها تمّ تشريعها من أجل تذكير شعب بني إسرائيل بالخطايا التي ارتكبوها في الماضي، وهي كثيرة جدا، فيذكرهم العهد الجديد بها للتكفير عنها.^(٢)

خامسا: القربان في التقليد اليهودي

في الديانة اليهودية يطلق النذر أو القربان على ما ينذره البعض إلى الهيكل، فيحرم على غيره الانتفاع به مطلقا، فإذا ما أشار شخص إلى شيء ما يملكه، وقال: قربان، حرّم على غيره أن يأخذه أو يستفيد منه أبدا، وصار هذا المندور ملكا للهيكل، حتى وصل الحال إلى استغلال القربان أو النذر من قبل بعض الأبناء العاقين، فصاروا يقولون لأبائهم: "قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي"^(٣).

فيُحرّم الأب من الانتفاع من ابنه أو من أي شيء يخصه، وبهذا العمل يتخلص الابن العاق من واجب النفقة على أبيه، عن طريق دفع بعض المال إلى الهيكل، وقد بين المسيح لهم أنهم بهذا التقليد ينقضون وصية الله وهي الوصية الخامسة "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ" فكما هو معلوم أن (الوصايا العشر) من أساسيات الديانتين – اليهودية والمسيحية – وهي التي وردت في سفر التثنية في قوله: ١٤ وأما اليوم السابع فسبت للرب

(١) أم ١٥: ٨.

(٢) عب ١٠: ١-١٠.

(٣) مت ١٥: ٥.

إلهك، لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك، ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح، عبدك وأمتك مثلك ١٥ واذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت ١٦ أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك، لكي تطول أيامك، ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك ٧ لا تقتل ١٨ ولا تزني ١٩ ولا تسرق ٢٠ ولا تشهد على قريبك شهادة زور ٢١ ولا تشته امرأة قريبك، ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك".^(١)

المطلب الثاني: أنواع الذبائح والقرايين في الكتاب المقدس
وردت في الكتاب المقدس سبعة أنواع من القرايين، كل واحدة لها سبب معين وطقوس خاصة بها، وهي كالآتي:

(١) المحرقات

وقد شرع هذا القربان لغرض التكفير عن الخطايا والذنوب كما ورد في سفر العبور،^(٢) وكانت العادة أن يقدم في اليوم الواحد خروفان، في الصباح والمساء، يذبحان ويقدمان على المذبح، جاء في سفر الخروج: "وكانت تقدم كل يوم وهي المحرقة الدائمة" ٢٩: ٣٨ و هذا ما تقدمه على المذبح خروفان حوليان كل يوم دائما ٢٩: ٣٩ الخروف الواحد تقدمه صباحا و الخروف الثاني تقدمه في العشية ٢٩: ٤٠ و عشر من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرض و سكيب ربع الهين من الخمر

(١) تث ٥: ١٤ - ٢١.

(٢) عب ١٠: ١-٣.

للخروف الواحد ٢٩: ٤١ و الخروف الثاني تقدمه في العشية مثل مقدمة الصباح و سكيبه تصنع له رائحة سرور وقود للرب ٢٩: ٤٢ محرقة دائمة في اجيالكم عند باب خيمة الاجتماع امام الرب حيث اجتمع بكم لاكلكم هناك".^(١)

وكان ليوم السبت طقوس خاصة به، وتميز عن باقي الأيام، فقد كان يزداد على القرابين التي تذبح في الأيام الأخرى محرقة مخصصة ليوم السبت، جاء في سفر العدد: "٢٨: ٩ و في يوم السبت خروفان حوليان صحيحان و عشرين من دقيق ملتوت بزيت مقدمة مع سكيبه ٢٨: ١٠ محرقة كل سبت فضلا عن المحرقة الدائمة و سكيها".^(٢)

وكذلك ليوم التكفير طقوس خاصة في القربان، وهو يوم كييبور، يوم هاكييبوريم أو عيد الغفران (وبالعبرية יוֹם כִּיּוּבּוֹר או יוֹם כִּיּוּבּוֹר) وهو اليوم العاشر من شهر "تشرية"، الشهر الأول في التقويم اليهودي، وهو يوم مقدس عند اليهود مخصص للصلاة والصيام فقط، ويوم كييبور هو اليوم المتمم لأيام التوبة العشرة والتي تبدأ بيومي رأس السنة، أو كما يطلق عليه بالعبرية روش هاشناه، وحسب التراث اليهودي هذا اليوم هو الفرصة الأخيرة لتغيير المصير الشخصي أو مصير العالم في السنة الآتية.^(٣)

ومن طقوس قربان هذا العيد ما يلي:

(١) يكون القربان بتيسين من المعز، أو بثور وكبش.

(١) خر ٢٩: ٣٨-٤٢

(٢) عد ٢٨: ٩ و ١٠

(٣) الأعياد اليهودية، لعمر زكريا خليل، رقم الإيداع بدار الكتب العراقية (٢٠٧١٤)

٢٠٠٤ م: ٤٣.

(٢) يلبس المضحى ملابس كتان فقط، القميص والسروال والمنطقة والعمامة.

(٣) يعمل قرعة بين التيسين أمام المذبح.

(٤) يذبح التيس الذي خرجت عليه القرعة.

(٥) يملأ المجرمة بالبخور ويختر المكان.

(٦) يغطس إصبغه بدم الضحية ثم ينضح الدم من أصبعه سبع مرات.

(٧) يمسك بقرون التيس الآخر ويعدد ذنوب بني إسرائيل طلباً للمغفرة.^(١)

وفي سبب فرض هذا القربان عليهم جاء في سفر اللاويين: "و يكون لكم فريضة دهرية انكم في الشهر السابع في عاشر الشهر تذللون نفوسكم و كل عمل لا تعملون الوطني و الغريب النازل في وسطكم ١٦ :٣٠ لانه في هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم من جميع خطاياكم امام الرب تطهرون ١٦ :٣١ سبت عطلة هو لكم و تذللون نفوسكم فريضة دهرية ١٦ :٣٢ و يكفر الكاهن الذي يمسحه و الذي يملأ يده للكهانة عوضاً عن ابيه يلبس ثياب الكتان الثياب المقدسة ١٦ :٣٣ و يكفر عن مقدس القدس و عن خيمة الاجتماع و المذبح يكفر و عن الكهنة و كل شعب الجماعة يكفر ١٦ :٣٤ و تكون هذه لكم فريضة دهرية للتكفير عن بني اسرائيل من جميع خطاياهم مرة في السنة ففعل كما امر الرب موسى".^(٢)

(١) لا ١٦:٣-٣٤

(٢) لا ١٦:٣٠-٣٤

أما قربان الأعياد الثلاثة الكبرى فقبل الخوض في تفاصيله، يجب أن أبين أنه يتم حساب شهور السنة طبقا للأجرام السماوية (الشمس والقمر والأرض) فدورة الأرض حول الشمس تستمر ٣٦٥ يوم وهو العام، وتحدد السنة الشمسية فصول السنة الأربعة (الربيع الصيف الخريف والشتاء). أما القمر فيدور حول الأرض في ٢٩ يوم ونصف تقريبا، وخلال ١٢ شهرا يكون قد أكمل ٣٥٤ يوما تقريبا، أي أن الفرق بين السنة القمرية والسنة الشمسية ١١ يوما تقريبا، ويتبع التقويم العبري السنة القمرية لكن وفقا للأمر الإلهي،^(١) فيتم الحفاظ على السنة الشمسية حيث ذكر "احتفلوا دائما بفصح الرب إلهكم في شهر أبيب ففي هذا الشهر أخرجكم الرب إلهكم من مصر ليلا"^(٢).

وقد ورد في قربان الأعياد الثلاثة أن التضحية يجب أن تتم بثورين وكبش واحد وسبعة خراف، جاء في سفر العدد: "٢٨: ١١ و في رؤوس شهوركم تقربون محرقة للرب ثورين ابني بقر و كبشا واحدا و سبعة خراف حولية صحيحة ٢٨: ١٢ و ثلاثة اعشار من دقيق ملتوت بزيت مقدمة لكل ثور و عشرين من دقيق ملتوت بزيت مقدمة للكبش الواحد ٢٨: ١٣ و عشرا واحدا من دقيق ملتوت بزيت مقدمة لكل خروف محرقة رائحة سرور وقودا للرب".^(٣)

(٢) المقدمة

يجوز التضحية فيها بالدقيق مع الزيت، حيث يقوم المضحى بتقديمها إلى الكاهن، ويقوم الكاهن بدوره بأخذ جزء منها ويوقد بها على

(١) الخروج ١٢: ٢

(٢) التثنية ١٦: ١

(٣) عد ٢٨: ١١-١٣

المذبح، قال في سفر اللاويين: "٢: ١١ كل التقدّمات التي تقربونها للرب لا تصطنع خميرا لأن كل خمير و كل غسل لا توقدوا منهما وقودا للرب ٢: ١٢ قربان اوائل تقربونهما للرب لكن على المذبح لا يصعدان لرائحة سرور ٢: ١٣ و كل قربان من تقادمك بالملح تملحه و لا تخل تقدمتك من ملح عهد الهك على جميع قرايينك تقرب ملحا".^(١)

كما يجوز في التضحية تقديم الخمر معها، وكذلك تقديم الخرفان في المساء، جاء في سفر الخروج: "وكانوا يقدمون مع هذه التقدّمات سكبيا من الخمر، وكانت التقدّمات تقدم كل يوم مع المحرقة " ٢٩: ٤٠ و عشر من دقيق ملتوت برّيع الهين من زيت الرض و سكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد ٢٩: ٤١ و الخروف الثاني تقدمه في العشية مثل تقدمة الصباح و سكيبه تصنع له رائحة سرور وقود للرب".^(٢)

(٣) خبز الترديد وحزمة الترديد

ويكون تقديم الخبز في حزمة الترديد في عيد الفصح، وهو العيد الذي يحتفل فيه اليهود بالخروج من مصر، ويقع هذا العيد في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان ولمدة سبعة أيام، ويحتفل باليوم الأول واليوم السابع وتعتبر الأيام التي بين هذين اليومين هي باقي أيام العيد (حول هاموعيد) ويحتفل اليهود في باقي أنحاء العالم بأول يومين وآخر يومين.^(٣)

(١) لا ٢: ١ و ٤-١٣.

(٢) خر ٢٩: ٤٠ و ٤١.

(٣) الأعياد اليهودية، لعمر و زكريا خليل، رقم الإيداع بدار الكتب العراقية (٢٠٧١٤)

٢٠٠٤ م: ٧٨.

وفيما يخص القربان في هذا العيد، جاء في سفر اللاويين: ٢٣: ١٠: كلم بني اسرائيل و قل لهم متى جئتم الى الارض التي انا اعطيكم و حصدتكم حصيدها تاتون بحزمة اول حصيدكم الى الكاهن ٢٣: ١١: فيردد الحزمة امام الرب للرضا عنكم في غد السبت يردها الكاهن ٢٣: ١٢: و تعملون يوم ترديدكم الحزمة خروفا صحيحا حوليا محرقة للرب ٢٣: ١٣: و تقدمته عشرين من دقيق ملتوت بزيت وقودا للرب رائحة سرور و سكيبه ربع الهين من خمر ٢٣: ١٤: و خبزا و فريكا و سويقا لا تاكلوا الى هذا اليوم عينه الى ان تاتوا بقربان الهكم فريضة دهرية في اجيالكم في جميع مساكنكم".^(١)

وأما خبز التريدي فيقدمونه في عيد الخمسين، ويسمى عيد الأسابيع، وهو أحد أهم الأعياد اليهودية، يضم هذا العيد الكثير من الأفكار والرموز والعادات، ولهذا العيد ثمانية أسماء وردت كلها في التوراة وهي: عيد الحصاد، عيد البواكير، عيد الأسابيع، يوم الخمسين، عيد العنصرة، عيد تلقى الشريعة، ويوم الاجتماع (اجتماع الشعب اليهودي في طور سيناء عند تلقى موسى ألواح العهد).^(٢)

ويكون القربان في هذا اليوم بالخبز، وسبعة خراف، وثور واحد، وكبشين، وتيس، جاء في سفر اللاويين: ٢٣: ١٧: من مساكنكم تاتون بخبز تريدي رغيفين عشرين يكونان من دقيق و يخبزان خميرا باكورة للرب ٢٣: ١٨: و تقربون مع الخبز سبعة خراف صحيحة حولية و ثورا واحدا ابن بقر و كبشين محرقة للرب مع تقدمتها و سكيها وقود رائحة

(١) ٢٣: ١٠-١٤

(٢) الأعياد اليهودية، لعمر زكريا خليل، رقم الإيداع بدار الكتب العراقية (٢٠٧١٤)

٢٠٠٤ م: ٩٦.

سرور للرب ٢٣: ١٩ و تعملون تيسا واحدا من المعز ذبيحة خطية و
خروفيين حوليين ذبيحة سلامة ٢٣: ٢٠ فيردها الكاهن مع خبز الباكورة
ترديدا امام الرب مع الخروفيين فتكون للكاهن قدسا للرب".^(١)

(١) لا ٢٣: ١٧-٢٠

(٤) الرفيعة

وكان يقدم هذا النوع من القرابين بعد موسم الحصاد^(١) للمحاصيل الزراعية، وهذا النوع من القرابين يتم تقديم الخبز فيه، جاء في سفر العدد: "١٥: ٢٠ أول عجينةكم ترفعون قرصا رفيعة كرفيعة البيدر هكذا ترفعونه ١٥: ٢١ من أول عجينةكم تعطون للرب رفيعة في اجيالكم".^(٢)

(٥) ذبائح السلامة

كانت تقدم هذه القرابين تعبيراً عن الشكر على سلامة الشخص من حادث معين، أو مشكلة ما، وكانوا يضحون في هذا القران أحيانا باقراص الفطير، كما جاء في سفر اللاويين: "٧: ١١ و هذه شريعة ذبيحة السلامة الذي يقربها للرب ٧: ١٢ ان قربها لاجل الشكر يقرب على ذبيحة الشكر اقراص فطير ملتوتة بزيت و رفاق فطير مدهونة بزيت و دقيقا مربوكا اقراصا ملتوتة بزيت".^(٣) وأحيانا بالبقر أو الغنم، لكن بعد ذبح القران، يتم تقسيمه على نحو ما ورد في سفر اللاويين: "٣: ٣ و يقرب من ذبيحة السلامة وقودا للرب الشحم الذي يغشي الاحشاء و سائر الشحم الذي على

(١) يمكن أن تنقسم فترة الحصاد في فلسطين القديمة إلى قسمين: حصاد الشعير وحصاد القمح، والأول يسبق الأخير بنحو أسبوعين (راعوث ٢: ٢٣). وتكرس بداية الحصاد بإحضار حزمة الباكورات، أول الحصيد، للتردد (لاويين ٢٣: ١٠). وكان الحصاد يبدأ في الوديان والأراضي المنخفضة قبلما تنضج الغلال على التلال. وكان حصاد الشعير يبدأ في وادي الأردن في أبريل، عندما يكون الأردن ممتلئاً (يشوع ٣: ١٥ وقارنه مع ٥: ١٠)، فكان يحل مباشرة بعد فصل الأمطار (١ صموئيل ١٢: ١٧ و ١٨ وأمثال ٢٦: ١). وعندما كان يتم حصاد القمح في الأراضي المرتفعة يتأخر إلى شهر يونيه.

(٢) عد ١٥: ٢٠ و ٢١

(٣) لا ٧: ١١-١٣

الاحشاء ٣: ٤ و الكليتين و الشحم الذي عليهما الذي على الخاصرتين و زيادة الكبد مع الكليتين ينزعها ٣: ٥ و يوقدها بنو هرون على المذبح على المحرقة التي فوق الحطب الذي على النار وقود رائحة سرور للرب ٣: ٦ و ان كان قربانه من الغنم ذبيحة سلامة للرب ذكرا او انثى فصحيحا يقربه ٣: ٧ ان قرب قربانه من الضبان يقدمه امام الرب ٣: ٨ يضع يده على راس قربانه و يذبحه قدام خيمة الاجتماع و يرش بنو هرون دمه على المذبح مستديرا ٣: ٩ و يقرب من ذبيحة السلامة شحمها وقودا للرب الالية صحيحة من عند العصعص ينزعها و الشحم الذي يغشي الاحشاء و سائر الشحم الذي على الاحشاء ٣: ١٠ و الكليتين و الشحم الذي عليهما الذي على الخاصرتين و زيادة الكبد مع الكليتين ينزعها ٣: ١١ و يوقدها الكاهن على المذبح طعام وقود للرب...^(١).

(٦) ذبائح الخطيئة

وهي القربان التي كانت تقدم تكفيرا عن الخطايا والذنوب الكبيرة، ويختلف هذا القربان عن القربان التي سبقته في أمور ثلاثة، هي:

١- أنها لا يجوز للمضحي أن يأكل منها؛ إذ هي خاصة بالرب، ممنوع على من يقدمها أن يشاركه فيها، فهو مخطئ فخر استحقاقه للشركة معه، وقد أشار النبي حزقيال إلى ذبائح الخطيئة في نبواته، حيث جاء فيها: "٤٣: ١٩ فتعطى الكهنة اللاويين الذين من نسل صادوق المقترين الي لخدموني يقول السيد الرب ثورا من البقر لذبيحة خطية ٤٣: ٢٠ و تاخذ من دمه و تضعه على قرونيه الاربعه و على اربع زوايا الخصم و على الحاشية حوالها فتطهره و تكفر عنه ٤٣

(١) لا ٣: ١ - ١١.

٢١: و تاخذ ثور الخطية فيحرق في الموضع المعين من البيت خارج المقدس...".^(١)

٢- يقوم المضحى - أو الكاهن - برش الدم على أعمدة البيت وزوايا المذبح، وعلى قوائم باب الدار الداخلية، وقرون المذبح، ويتم بعد هذا كله حرق الضحية خارج المحلة؛ وذلك إذا كانت الخطيئة واقعة من جماعة لا مفرد، جاء في سفر اللاويين: "٤: ١٢ فيخرج سائر الثور الى خارج المحلة الى مكان طاهر الى مرمى الرماد و يحرقها على حطب بالنار على مرمى الرماد تحرق ٤: ١٣ و ان سها كل جماعة اسرائيل و اخفي امر عن اعين المجمع و عملوا واحدة من جميع مناهي الرب التي لا ينبغي عملها و اثموا".^(٢)

٣- يقوم الكاهن بأخذ قليل من دم قربان الخطيئة، وينضح بأصبعه الدم إلى الشرق، شرق مرات، تعبيرا عن نبذ الخطايا والذنوب، وطلباً للتكفير عنها، جاء في سفر اللاويين: "١٦: ١٤ ثم يأخذ من دم الثور وينضح بأصبعه على وجه الغطاء الى الشرق و قدام الغطاء ينضح سبع مرات من الدم باصبعه ١٦: ١٥".^(٣)

(٧) ذبائح الإثم

وهي القرابين التي تقدم عن الذنوب الصغيرة، أو الخطايا الشخصية، أو الذنوب التي يقتربها الشخص عن طريق السهو، جاء في سفر اللاويين: "٥: ١٥ اذا خان احد خيانة وأخطأ سهوا في اقداس الرب

(١) حز ٤٣: ١٩ - ٢١.

(٢) لا ١٣: ١٢ - ١٣.

(٣) لا ١٦: ١٤ - ١٥.

يأتي الى الرب بذبيحة لإثمه كبشا صحيحا من الغنم بتقويمك من شواقل فضة على شاكل القدس ذبيحة اثم".^(١)

ويشمل هذا القربان التوبة من سبعة ذنوب، وهي:

١- الخطأ الصغير.

٢- الخيانة.

٣- جحد الوديعة أو الأمانة.

٤- سلب الحق.

٥- اغتصاب حق الآخر.

٦- أخذ اللقطة وجحد حق صاحبها.

٧- اليمين الكاذبة.

جاء في سفر اللاويين: " ٦: ١ و كلم الرب موسى قائلا ٦: ٢ اذا اخطا احد و خان خيانة بالرب و جحد صاحبه وديعة او امانة او مسلوبا او اغتصب من صاحبه ٦: ٣ او وجد لقطة و جردها و حلف كاذبا على شيء من كل ما يفعله الانسان مخطئا به".^(٢)

فإذا أراد المذنب أن يقرب قربانا للتكفير عن خطئه، فلا بد عليه أولا أن يرد الحقوق إلى أصحابها، ويجب عليه أن يعيد العين التي غصبها، مع دفع خمس قيمته، كتعويض للمغصوب حقه، قال في سفر اللاويين: " ٦: ٤ فاذا أخطأ و اذنب يرد المسلوب الذي سلبه او المغتصب الذي اغتصبه او الوديعة التي اودعت عنده او اللقطة التي وجدها ٦: ٥ او كل ما حلف عليه كاذبا يعوضه براسه و يزيد عليه خمسه الى الذي هو له يدفعه يوم ذبيحة اثمه ٦: ٦ و يأتي الى الرب بذبيحة لإثمه كبشا

(١) لا ٥: ١٥

(٢) لا ٦: ١ - ٣.

صحيحاً من الغنم بتقويمك ذبيحة اثم الى الكاهن ٦: ٧ فيكفر عنه
الكاهن امام الرب فيصفر عنه في الشيء من كل ما فعله مذنباً به".^(١)
ويفضل في هذا النوع من القرابين أن تكون الذبيحة من كبشاً،
حسبما ورد في سفر اللاويين: "٥: ١٨ فيأتي بكبش صحيح من الغنم
بتقويمك ذبيحة اثم الى الكاهن فيكفر عنه الكاهن من سهوه الذي سها
وهو لا يعلم فيصفر عنه".^(٢)

وطريقة تقرب قربان في ذبيحة الإثم، هي نفسها طريقة
تقرب قربان في ذبيحة الخطيئة، قال في سفر اللاويين: "٧: ٧ ذبيحة
الاثم كذبيحة الخطيئة لهما شريعة واحدة الكاهن الذي يكفر بها تكون
له".^(٣)

(١) لا ٦: ٤ - ٧.

(٢) لا ١٨: ٥.

(٣) لا ٧: ٧.

الخاتمة

في ختام هذا البحث المختصر، يمكن القول إن الباحث توصل إلى النتائج الآتية:

- القربان هو كل ما يتقرب به إلى الله تعالى، من عمل صالح ونسك وعبادة، أو مساعدة فقير أو محتاج.
- أقر القرآن الكريم وجود القرايين في الشرائع السماوية التي سبقت نبينا عليه الصلاة والسلام.
- بين القرآن الكريم صراحة أن من كان يقرب قربانا في الأمم السابقة، كان يحصل على الرد الفوري بالقبول أو عدمه من الله سبحانه وتعالى، عن طريق النار التي تأتي وتأكّل ما قربه.
- ورد ذكر القربان ثلاث مرات صراحة، ومرة واحدة بغير لفظ في قصة إبراهيم الخليل مع ابنه إسماعيل عليهما السلام.
- اهتم الكتاب المقدس بالقرايين اهتماما كبيرا، حيث ورد ذكر القربان في العهدين القديم والجديد ثمانية وتسعين مرة، كما ورد ذكر المذبح ثلاثمئة وأربعة وستين مرة!
- يورد الكتاب المقدس أنه مادة القرايين أنواع ثلاثة، يجوز التقرب بها إلى الرب، وهي الذبائح من الحيوانات المستأنسة التي يجوز أكلها، ومن الطيور الحمام واليمام فقط، وبعض الحبوب الزراعية والمشروبات.
- قسم الكتاب المقدس القرايين إلى سبعة أنواع، لكل نوع منها وقت معين، وشروط محددة، وطقوس خاصة به، بينها جميعها في بحثي هذا. ولله الحمد والفضل والمنة.

قيم المواطنة في الدين الإسلامي والديانة المسيحية -
قيمة العدل والمساواة أنموذجا

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيعتبر مفهوم المواطنة من المفاهيم الحضارية التي أفرزها الفكر الحديث من خلال النتاج الفكري للإنسان، ومن خلال تراكم المنجزات الحضارية والتي ساهمت في رفع الإنسان وجعلته قيمة عليا بعدما غاب وغُيِّب لفترات طويلة وتحت مسميات مختلفة.

ولقد تطور مفهوم المواطنة مع تطور المجتمعات البشرية، وبدأت الجماعات البشرية التي تقوم على تعاقد أفراد الجماعة الواحدة، لمواجهة التحديات التي قد تتعرض لها بالتكتل نظرا لشعور أفرادها بالحاجة إلى الآخرين، والعيش في جماعة ينتسب إليها.

وأما المواطنة في الإسلام، فتتظر الشريعة الإسلامية للمواطنة على أنها تعبير عن العلاقة التي تربط الفرد المسلم بأفراد الأمة، كما تعبر عن العلاقة بين أرض الوطن ومن يعيشون عليها، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وقد تجلّى هذا المفهوم منذ نشأة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وشكلت البداية لتعايش المواطنين من غير المسلمين مع المسلمين، وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، لذلك أصدر النبي ﷺ الوثيقة السياسية الأولى، المعروفة تاريخيا باسم (صحيفة المدينة) أو ما سمي في السيرة النبوية بكتاب النبي ﷺ إلى أهل المدينة المنورة.

وإن قيم المواطنة المتفق عليها هي: المساواة، والحرية، والعدل، والمشاركة، والمسؤولية الاجتماعية، وإني في بحثي هذا حاولت تسليط الضوء على قيمة العدل وقيمة المساواة، من خلال تشريعات الدين الإسلامي وتعاليم المسيحية.

وقد اقتضت المادة العلمية أن يتم تقسيم البحث إلى تمهيد في مفهوم المواطنة، وثلاثة مطالب: تكلمت في المطلب الأول عن قيمة المساواة، وبينت في هذا المبحث مفهوم المساواة، ثم تطرقت إلى مجالات المساواة في المواطنة وهي المساواة أمام القانون، وفي المرافق العامة، وأمام المنافع الاجتماعية... وأما المطلب الثاني فقد خصصته لقيمة العدل، في الديانتين، وكيف أن العدل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمساواة... وأما المطلب الثالث فجعلته في العدل والمساواة في الديانة المسيحية... ثم ختمت بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع ذكر التوصيات، وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله أولاً وآخراً.

تمهيد في مفهوم المواطنة وقيمها

فأما المواطنة في اللغة:

فقد اشتقت من كلمة وطن، ومعنى الوَطَنُ: مَوْطِنُ الْإِنْسَانِ وَمَحَلُّهُ^(١).

"الْوَطَنُ فكلّ مَكَانٍ قَامَ بِهِ الْإِنْسَانُ لِأَمْرٍ فَهُوَ مَوْطِنٌ لَهُ"^(٢).

"أَوْطَنْتُ الْأَرْضَ، وَوَطَنْتُهَا تَوْطِيناً وَاسْتَوْطَنْتُهَا، أَيِ اتَّخَذْتُهَا وَطَناً. وكذلك الْإِطْطَانُ، وهو افْتِعَالٌ منه. وتوطنين النفس على الشيء، كالتمهيد. ويقال: من أين مِطَانُكَ، أي: غايَتِكَ"^(٣).

"الْوَطَنُ: الْمَنْزِلُ تُقِيمُ بِهِ، وَهُوَ مَوْطِنُ الْإِنْسَانِ وَمَحَلُّهُ؛ وَقَدْ حَقَّقَهُ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ:

(١) العين: ٧/ ٤٥٤ مادة (و ط ن).

(٢) تهذيب اللغة: ١٤/ ٢١ مادة (و ط ن).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٢١٤ مادة (و ط ن).

أَوْطَنْتُ وَطَنًا لَمْ يَكُنْ مِنْ وَطَنِي، ... لَوْ لَمْ تَكُنْ عَامِلَهَا لَمْ أَسْكُنِ
بِهَا، وَلَمْ أَرْجُنْ بِهَا فِي الرَّجَنِ
وَالْجَمْعُ أَوْطَان. وَالْمَوْطِنُ: مَفْعِلٌ مِنْهُ، وَيُسَمَّى بِهِ الْمَشْهَدُ مِنْ
مَشَاهِدِ الْحَرْبِ، وَجَمْعُهُ مَوَاطِن. وَالْمَوْطِنُ: الْمَشْهَدُ مِنْ مَشَاهِدِ
الْحَرْبِ".^(١)

وأما المواطنة في الاصطلاح

عرف الباحثون والمختصون المواطنة اصطلاحاً بتعريفات عدة،
من أهمها:

المواطنة: هي علاقة بين فرد ودولة يحددها قانون تلك الدولة،
وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة.^(٢)

وقيل: المواطنة هي البلد الواحد، الذي يعيش فيه الفرد، وهي
التي تحدد للمواطن حقوقه وواجباته، ومعنى الولاء لبلاده وخدمتها في
أوقات السلم والحرب، والتعاون مع الآخرين في تحقيق الأهداف
القومية.^(٣)

وقيل: إن المواطنة تعبير عن التعلق والارتباط الروحي والنفسي
القائم بين الفرد ووطنه ومواطنيه الذين تربطهم به علاقات وروابط
لغوية وثقافية وروحية واجتماعية وسياسية وهذا التعلق أو الارتباط
يكون إخلاص المواطن لوطنه وقيامه بواجباته ومسؤولياته نحوه.^(٤)

أو يمكن تعريفها بأنها: صورة من صور التفاعل بين أفراد
المجتمع الواحد من جهة، والمجتمع الإنساني العالمي من جهة أخرى،

(١) لسان العرب: ١٣ / ٤٥١ مادة (و ط ن).

(٢) القاموس السياسي، لأحمد عطية: ١٢٦٨.

(٣) المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، لبشير نافع: ٢٤٧.

(٤) تربية المواطن، لمحمد الشيباني: ٣٥.

والتي تقوم على أساس الحقوق والواجبات والإخاء وحب الخير للناس،
والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضي الله.^(١)

فالمواطن إذن هو الإنسان الذي يستقر في بُقْع أرض معينة،
وينتسب إليها، أي مكان الإقامة أو الاستقرار أو الولادة أو التربية،
فالمواطنة نسبة إلى الوطن وهو المكان الذي ينتمي إليه الفرد
والجماعة، تراثيا وتاريخيا وجغرافيا، كذا الشعور بالتعلق به أكثر من
غيره، فالمواطنة حقوق وواجبات، ومبادرة الإنسان ومسؤولياته تجاهه
وتجاه الجماعة التي ينتمي إليها، وهذه الحقوق والواجبات لا تمارس إلا
في مجتمع عادل وديمقراطي، يحرص على المساواة وتكافؤ الفرص
وتحمل أعباء التضحية، من أجل ترسيخ هذه المبادئ وحمايتها وفتح
آفاق تحسين ممارستها، برؤية تتطلع إلى المستقبل، وبحماس لا تطغى
فيه العاطفة على العقل والحكمة.^(٢)

ولا شك أن الحق في المواطنة هو من أهم الحقوق الدستورية
التي تتمحور حولها سائر الحقوق المدنية والسياسية والفردية سواء
منها والاجتماعية، وإن الحق الدستوري يعني القاعدة التي تعتمد عليها
الهيئات القائمة بالسلطتين العليا في الدولة التشريعية والتنفيذية في
مجال تعيين الأجهزة التي تجسدها والعلاقات التي تقوم بينها، مستقبة
إياه من نص تضعه سلطة مكلفة بذلك، أو من أعراف قائمة ذات صلة
بهذا النص.^(٣)

(١) حب الوطن من منظور شرعي، د. زيد عبد الكريم الزيد: ٥٣.

(٢) ينظر: المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية: ١١.

(٣) حق الجنسية في الدستور العراقي المؤقت: ١٧.

وإن الحق في المواطنة له أهمية كبيرة في الحياة السياسية للشعوب، وفي تكوين أي نظام سياسي، فهو من الأركان الأساسية التي يستند عليها النظام السياسي، ولذلك فإنه لا تقل أهميتها عن تلك التي تحظى بها الحقوق المدنية والسياسية التي تعترف بها الدساتير.^(١)

إلا أن هذا لا يعني أن الحق في المواطنة ليس هو الحق الوحيد الذي تقره النظم الدستورية، فيوجد إلى جانبه العديد من الحقوق المدنية والسياسية، ومنها الحق في المساواة والحق في الجنسية، ونظراً لأن الحقوق والحريات تؤثر وتتأثر ببعضها البعض، بحيث لا يوجد حق معزول عن الحقوق والحريات الأخرى.^(٢)

أما المواطنة من منظور إسلامي، فقد عبر النبي ﷺ عن حب الوطن والارتباط به بقوله لما هم بالخروج من مكة: ((ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي، لولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك))^(٣) ويمكن القول إن مفهوم المواطنة في الإسلام يتجاوز علاقة المواطن بوطنه مسقط رأسه فقط، إلى المجتمع الإنساني ككل، فالمواطنة عبارة عن مستويات ودوائر متعددة من العلاقات، تبدأ من علاقة المواطن المسلم بمجتمعه المحلي مروراً بالمجتمع العربي والإسلامي، انتهاءً بالمجتمع الإنساني العالمي، وهذه العلاقات حيث امتدت أنبتت حقوقاً وواجبات محكومة بضوابط شرعية، فالمواطنة في الإسلام هي صورة من صور التفاعل الإنساني بين أفراد المجتمع الواحد من جهة، والمجتمع الإنساني العالمي من جهة أخرى، والتي تقوم على أساس الحقوق

(١) ينظر: النظم السياسية في العالم المعاصر: ١٩ / ٢.

(٢) نسبية الحريات العامة وانعكاساتها على التنظيم القانوني: ٧٦.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب في فضل مكة، ٦ / ٢٠٨ برقم (٣٩٢٦) وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

والواجبات والإخاء وحب الخير للناس والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضي الله تعالى.^(١)

وتنظر الشريعة الإسلامية للمواطنة بأنها العلاقة التي تقوم بربط المسلم الفرد بباقي أفراد الأمة الإسلامية، وكذلك تعبر المواطنة عن العلاقة بين أرض الإسلام (أي الوطن) ومن يعيشون عليها سواء أكانوا مسلمين وغيرهم، وقد تجلى هذا المفهوم منذ نشأة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وشكلت البداية لتعايش المواطنين غير المسيحيين مع الدولة الإسلامية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، لذلك أصدر الرسول ﷺ الوثيقة السياسية الأولى المعروفة تاريخياً باسم (صحيفة المدينة) أو ما سمي في السيرة النبوية (كتاب النبي ﷺ إلى أهل المدينة المنورة)^(٢) أو كما تسمى في العصر الحديث بدستور المدينة، الذي منح فيه حق المواطنة لغير المسلمين، وتولي الوظائف في الدولة شريطة توفر الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة، باعتبارهم جزءاً من نسيج هذه الدولة، وقد حافظت الخلافة الإسلامية – عبر العصور – على معابد غير المسلمين وكنسهم، وعملت على رعاية حرمة شعائرهم^(٣)، وهذا ما ورد في عهد رسول الله ﷺ لأهل نجران ((إن لهم جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم)).^(٤)

وأما قيم المواطنة... فإن لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات، والقيم أحد مكونات الثقافة، ومن ثم فإن

(١) المواطنة الصالحة – السمات والواجبات: ١٦.

(٢) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ: ٣٣٥.

(٣) المواطنة وتعزيز العمل التطوعي، د. شروق بنت عبد العزيز، و.د. محمد بن خليفة

إسماعيل، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣ م: ٣٤.

(٤) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة، ٦٨/٥ برقم (٢٨٥٤).

القيم تختلف من مجتمع لآخر، فقد أكدت الدراسات على وجود اختلاف في القيم وأولوياتها من مجتمع لآخر، فعلى سبيل المثال وجدت فروق بين قيم المجتمع الأمريكي وقيم المجتمع الكندي، وهما مجتمعان غربيان متجاوران، فهناك ظاهرة التمسك بالقيم التقليدية في كندا، مقابل التحررية في الولايات المتحدة، والتمسك بإعطاء قيمة أو مكانة خاصة للصفوة في كندا، مقابل التحررية في الولايات المتحدة، وإعلاء القيم الجمعية في كندا، مقابل الفردية في الولايات المتحدة، وهكذا.^(١)

ورغم هذا الاختلاف فإن هناك قيما تمثل القاسم المشترك بين مختلف المجتمعات وأغلب الثقافات لدى الشعوب على مر العصور، مثل: (الحرية، المساواة، العدل، المشاركة، المسؤولية الاجتماعية) فهذه القيم تمثل الجانب الإنساني والعالمي لمفهوم المواطنة، وقد يضاف إليها ويحذف منها، كما قد تختلف ترجمة هذه القيم من الناحية التطبيقية من مجتمع لآخر.^(٢)

أما عناصر المواطنة فتتجلى في مختلف مناحي الحياة، فنجد أن القوانين النافذة في مختلف الدول تتضمن بيان حقوق وواجبات المواطن، فنظم التنشئة الاجتماعية والتربوية تستهدف تعزيز الوعي بقيم المواطنة، فضلا عن دور المؤسسات التي تعمل على إشراك المواطنين في البنية الوطنية الديمقراطية للدولة، ويرى الخبراء التربويين أن المواطنة تشمل العديد من القيم والتقاليد والمهارات

(١) مفهوم وقضايا المواطنة في النصوص التعليمية بين منهجيات التمكين ومحتويات التعبئة، أحمد يوسف سعد، مجلة عالم التربية، القاهرة، العدد (٨) ٢٠٠٢ م: ١٧.

(٢) الوطنية كائن هلامي، سفر محمود، وآخرون، وزارة المعارف، الرياض، ١٤٢١ هـ: ٧٣

والأفعال المترابطة، وتشتمل المواطنة على هذه العناصر: (الولاء، الحقوق، الواجبات، المشاركة المجتمعية، والقيم العامة).^(١)

المطلب الأول: المساواة

تعريف المساواة في اللغة:

من معاني المساواة: المماثلة، والمعادلة، وهو لفظ مرادف لهما: جاء في العين: "ساويت هذا بهذا، أي: رفعته حتى بلغ قدره ومبْلَغَه، كما قال الله عز وجل: **يُجِبِي بِي تَج تَح تَخ تَم تِي تِي** ^(٢) **چ** أي: الجَبَلين، أي: ردم طريقيّ يأجوج ومأجوج بالقِطْر، أي: سوى أحدهما بالآخر، أي: رفعه حتى بلغ طوله طولَهما".^(٣)

وقال في المعجم الوسيط: "(ساواه) ماثله وعادله، ويُقال ساوى فلان قرنه في العلم وغيره لحق به وهذا بذالك رفعه حتى بلغ قدره ومبْلَغَه وبَيْنَهُمَا جَعْلُهُمَا يَتِمَاثِلَانِ ويتعادلان".^(٤)

المساواة اصطلاحاً:

تعرف المساواة اصطلاحاً بأنها: " تماثل كامل أمام القانون، وتكافؤ كامل إزاء الفرص، وتوازن بين الذين تفاوتت حظوظهم من الفرص المتاحة للجميع".^(٥)

أو هي: جعل الناس جميعاً في الواجبات والحقوق العامة متماثلين تماثلاً مطلقاً.^(١)

(١) ينظر: المواطنة وتعزيز العمل التطوعي: ٥٣.

(٢) سورة الكهف، من الآية: ٩٦.

(٣) العين: ٣٢٦/٧.

(٤) المعجم الوسيط: ٤٦٦/١.

(٥) الإسلام والأمن الاجتماعي: ٩٥.

والمواطنة والمساواة مفهوما مترابطات ومتماسكان، ولا يمكن فصلهما عن بعضهما، ولا يمكن تحقق أحدهما من دون الأخرى، فإن طغى أحدهما على الآخر، اختل نظام المجتمع فأصبح أقل عدالة.^(٢)

ويعد كل من هذين المفهومين أساسا فكريا وفلسفيا للأنظمة الدستورية والديمقراطية، إذ يعد الكثير من الكتاب الحق في المساواة والحق في المواطنة بمثابة حجر الزاوية للحريات العامة، والأساس الذي تقوم عليه، وهما من أقوى الضمانات التي تكفل التوازن في الدولة الديمقراطية وتحقق قانونيتها الحقوق والحريات الأساسية.^(٣)

ذلك أن المساواة وما يتفرع عنها تعد بحق الركيزة الأساسية لكل الحقوق، ينتفي بانتفاء القول بوجود حريات قائمة أو مصانة في المجتمع.^(٤)

أما فيما يخص الأديان السماوية، فتعد قيمة المساواة من القيم الأساسية التي أكدتها كافة الأديان السماوية، وكان آخرها الإسلام، فقد نادى الإسلام - منذ ظهوره - بالمساواة بين الناس في المعاملات، دون تفرقة أو تمييز بينهم، على أساس العرق أو الجنس أو اللون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٥) فالشريعة الإسلامية أكدت على المساواة وخضوع جميع

(١) السياسة الشرعية (نظام الدولة الإسلامية): عبد الوهاب خلاف، دار السلام للطباعة

والنشر والتوزيع والترجمة: ط ١، ٢٠١٢ م.: ٤٢ - ٤٣.

(٢) الأحزاب السياسية - أهميتها نشأتها نشاطها: ١٦.

(٣) النظم السياسية في العالم المعاصر: ٢٩.

(٤) النظام الدستوري المصري: ١٧.

(٥) سورة الحجرات: ١٣.

البشر للقانون السماوي فلا فرق بين شخص وآخر، فالجميع يتمتعون بالحقوق ويتحملون بالواجبات، فعلى هذا لا يوجد أي إشكال في مفهوم المساواة، فقد أقرها الإسلام بهذه الصورة، وبين حدودها، في الكتاب والسنة، كما أكدت ذلك المواثيق الدولية المقررة لحقوق الإنسان والأحكام والدساتير الوضعية الداعية إلى الديمقراطية الصحيحة وبدونها ينتفي كل معنى للديمقراطية وينهار كل مدلول للحرية.^(١)

مجالات المساواة في المواطنة:

(١) المساواة أمام القانون

ويقصد به أن الناس يولدون ويعيشون أحراراً وسواسية على أساس المساواة الكاملة أمام القانون، فيما يخص الكرامة والحقوق والوظائف العامة، وأيضاً لهم الحق في الحماية المتكافئة ضد أي تفرقة تحريض أو عنصرية، فالجميع متساوون أمام أنظمة وشرعية الدولة.^(٢)

(٢) المساواة في المرافق العامة

ويقصد بالمرافق العامة: كل المرافق التي وجدت لهدف إشباع الحاجات العامة لجميع المواطنين، يشمل ذلك مرفق التعليم والأمن والصحة والمياه والكهرباء وغيرها تقتضي هذه القيمة ضرورة استمرارية، وتجهيز المرافق العامة بالكيفية التي تمكن المنتفعين من الانتفاع منها بصورة متساوية، مع تحمل الأعباء والتكاليف والرسوم التي تفرضها هذه المرافق دون أي محاباة أو تحيز.

(٣) المساواة أمام المنافع الاجتماعية

(١) المواطنة ومفهوم العمل التطوعي: ٤٦.

(٢) مبدأ المساواة أمام المرافق العام: ٢٤٠.

وتعني التمتع بكافة الحقوق بدون تفاوت فيها، فمثلما للمواطن حقوق محفوظة، عليه واجبات يؤديها للدولة، نظير الخدمات التي يتمتع بها كغيره من المواطنين.^(١)

(٤) المساواة في تولي الوظائف العامة

فكل مواطن يستطيع تولي أي وظيفة، بحسب مؤهلاته وقدراته وبناء على معايير محددة ومحايدة.^(٢)

وأما مبدأ المساواة في الإسلام، فلقد جاء الإسلام في وقت، كان الناس فيه طبقات، ودرجات، يتميز بعضهم على البعض الآخر، ويتفاضل شريفهم على وضيعهم، وغنيهم على فقيرهم، وأبيضهم على أسودهم، وذكرهم على أنثاهم، فجاء الدستور الإسلامي، بإلغاء هذا التمييز المجحف بالحقوق، ليبين أن الناس جميعهم سواء بإنسانيتهم، وكما سنبينه في ما يأتي:

وفيما يخص مفهوم المساواة في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) ﴿٣﴾.

وقوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (٤).

يتضح من الآيتين الكريمتين أن الله سبحانه وتعالى ينادي الناس قاطبة، ويردهم إلى الأصل الذي انبثقوا منه، ليقرر أن هذه البشرية

(١) نظام الحكم في الإسلام، محمد فاروق النبهان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨ م: ٢٣.

(٢) مبدأ المساواة أمام المرافق العامة: ٢٤٣.

(٣) سورة الحجرات: ١٣

(٤) سورة النساء: ١

جنسها واحد، ونسبها يتصل من رحم واحد، ومن اجتمعت فيهم هذه الأصول فلا مجال لأن يدعي أحدهم العلو بالفروق الطارئة على الإنسانية، فريهم واحد، وأبوهم واحد، وأصلهم واحد، وهم متساوون في جميع الحقوق والواجبات، فليست هذه الشعوب والقبائل لتتفاخر أو تتناكر، بل لتتعارف وتتآلف، كلها عند الله تعالى سواء، لا تتفاضل إلا بالتقوى، لأن الناس كلهم سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

(١)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) ﴾ ^(٢) وكذلك أرسله رحمة للعالمين: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣).

يتبين من الآيتين الكريمتين: أن النبي ﷺ أرسل للناس كافة، ولم يختص به فئة دون فئة، أو أمة دون أخرى، فقد أبان الله تعالى عموم الرسالة المحمدية للناس جميعا، فليست ذات نزعة عنصرية، ولا حكرا على العرب وحدهم... ومعنى الآيتين: وما أرسلناك أيها النبي لقومك العرب خاصة، بل أرسلناك للناس قاطبة، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم وأحمرهم... ^(٤)

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام: ٤٥.

(٢) سورة سبأ: ٢٨

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧

(٤) ينظر: التفسير المنير: ١٨٣/٢٢.

أما المساواة في السنة النبوية:

فلقد أكد النبي ﷺ على مبدأ المساواة الذي قرره القرآن الكريم،
والأمثلة على ذلك كثيرة في السنة النبوية المطهرة.

١. ففي حجة الوداع خطب رسول الله ﷺ بالناس فقال: ((يا أيها
الناس، ألا إن إلهكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على
أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على
أحمر إلا بالتقوى...)).^(١)

فالإسلام الذي جمع الأبيض والأسود والأحمر والأصفر وسائر
الألوان الإنسانية على صعيد واحد، يقرر في القواعد الأولى لتكوين
الجماعة الإسلامية أنه لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على
أسود إلا بالتقوى أو عمل صالح، وأن الناس كلهم على اختلاف
أعراقهم وألوانهم ولغاتهم في الحقوق الإنسانية سواء، وأن كل واحد
منهم أهل لأن يرتقي بكفاءاته وأهليته أعظم منصب سياسي أو ديني في
الإسلام.^(٢)

٢. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((لينتهين أقوام
يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون
على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم
عبية الجاهلية، إنما هو مؤمن تقي، وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم،
وآدم خلق من تراب)).^(٣)

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٤٧٤/٣٨، برقم (٢٣٤٨٩) وقال عنه شعيب الأرنؤوط:
"حديث صحيح".

(٢) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة: ٢٢٩.

(٣) سنن الترمذي، باب فضل في الشام واليمن، برقم (٣٩٥٥): ٧٣٤/٥، ومعنى الحديث:
(الذي يدهده الخراء أي: يدرجه (بأنفه): صفة كاشفة له، والخراء بفتح الخاء والراء

لقد أصبحت الطبقات والأجناس في المجتمع الإسلامي متعاونة متعاضدة، لا يبغى بعضها على بعض، وبينه قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١). ووصف حال النساء فقال سبحانه: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)، وأصبح كل واحد في المجتمع راعياً ومستولاً عن رعيته.^(٣)

٣. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال عليه الصلاة والسلام: ((أتشفع في حد من حدود الله؟)) ثم قام فخطب ثم قال: ((إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)).^(٤)

مقصوداً، وهو العذرة، والحاصل أنه - صلى الله عليه وسلم - شبه المفتخرين بأبائهم الذين ماتوا في الجاهلية بالجعل، وأبأهم المفتخر بهم بالعذرة، ونفس افتخارهم بهم بالدهمة بالأنف. ينظر: مرقاة المفاتيح: ٣٠٧٢/٧ - ٣٠٧٣.

(١) سورة النساء: ٣٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٣) ينظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ٩٥/١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، برقم (٣٢٨٨) ١٧٥/٤، وصحيح مسلم، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، برقم (١٦٨٨) ١٣١٥/٣.

فهذه صورة من أروع صور المساواة في حياته ﷺ، " المساواة أمام القضاء، وإقامة الحدود، وإن كان من أقرب الناس إليه، وهي ابنته فاطمة رضي الله عنها.

٤. روى ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزيرة، حليف بني عدي بن النجار وهو مستتل من الصف، فطعن بطنه بالقدح وقال: ((استو يا سواد)) فقال: يا رسول الله، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقطني! فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: ((استقد)) قال: فاعتنقه فقبل بطنه، فقال: ((ما حملك على هذا يا سواد؟)) قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك...^(١).

من هذا الحديث الشريف، يتبين لنا أن النبي ﷺ كان يطبق مبدأ المساواة حتى مع نفسه! فإن من أهداف التمكين إقامة المجتمع الإسلامي الذي تسود فيه قيم العدل والمساواة ورفع الظلم ومحاربه بكل أشكاله وأنواعه، فإذا نظرنا لتاريخ الدولة الإسلامية في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، ومن سار على هديهم من التابعين رأينا صوراً مشرفة - مثل هذه الصورة - تدل على عظمة هذا الدين، وحب هذه الأمة للعدل.^(٢)

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٦٢٦/١، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير): ٤١٠/٢، البداية والنهاية: ٢٧١/٣، السيرة الحلبية: ٤٠٣/٢ والقدح: السهم، والمستتل: المتقدم.

(٢) ينظر: تبصير المؤمنين: ٥٥٥.

المطلب الثاني: العدل

العدل في اللغة:

يأتي بمعنى: الحكم المرضي، والاستقامة، والتساوي، والتسوية، والمثل، والقيمة، والفداء...

ذهب الخليل بن أحمد إلى أن " العَدْلُ: المَرْضِيُّ من الناسِ قَوْلُهُ وَحُكْمُهُ... والعَدْلُ: الحُكْمُ بالحقِّ... وَعِدْلُ الشيء: نظيره، هو عِدْلُ فلان... " ^(١).

ويرى الأزهري أن " العَدْل والعِدْل وَاحِد في معنى المِثْل... والعَدْلُ: الاستِقَامَةُ... " ^(٢).

وقال الفراء: " العَدْلُ بالفتح ما عادَلَ الشيء من غير جنسه... والعَدِيلُ: الذي يُعادِلُكَ في الوزن والقَدْر... " ^(٣).

ويقول ابن سيده: " العَدْلُ: الفِدَاءُ... وَقِيلَ: العَدْلُ: الكَيْل. وَقِيلَ: العَدْلُ: المِثْلُ... " ^(٤).

أما ابن منظور فيرى أن: " العَدْلُ: مَا قَامَ فِي النُّفُوسِ أَنَّهُ مُسْتَقِيمٌ، وَهُوَ ضِدُّ الْجَوْرِ... وفي أسماء الله سبحانه العدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل وهو أبلغ منه؛ لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً... وَقُلَانٌ يَعْدِلُ فُلَانًا، أَي: يُساويه... وَقِيلَ: العَدْلُ تَقْوِيمُكَ الشيءَ بالشيءِ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ حَتَّى تَجْعَلَهُ لَهُ مِثْلًا... والعَدْلُ الاستقامة... " ^(٥).

(١) العين: ٣٨/٢ مادة (عدل).

(٢) تهذيب اللغة: ١٢٣/٢، مادة (هدل).

(٣) الصحاح: ١٧٦١/٥ مادة (عدل).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم: ١٤/٢ مادة (عدل).

(٥) لسان العرب: ٤٣١/١١، ٤٣٣، وينظر: القاموس المحيط: ١٠٣٠/١.

العدل اصطلاحاً:

لا يخرج معنى العدل في الاصطلاح عن معانيه اللغوية، فهو يدور حولها بحسب ما يضاف إليه أو ما يستعمل له:

فقد عرفه الجرجاني بأنه: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط... أو: هو من اجتنب الكبائر ولم يصر على الصغائر، وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيسة كالأكل في الطريق والبول.^(١) وجاء العدل في اصطلاح الفقهاء بمعنى: من تكون حسناته غالبية على سيئاته^(٢)، وهو ذو المروءة غير المتهم^(٣).

وتعد قيمة العدل قيمة سامية دعت إليها جميع الأديان السماوية، فالعدل يعني القسط والموازنة والإنصاف، وإيصال كل حق إلى مستحقه، كما أن قيمة العدل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقيمة المساواة، فلا تتحقق المساواة إلا بتحقيق العدل ليكون الجميع أمام القانون سواء، فكلما اتسع نطاق تطبيقه عم الخير والأمن والاستقرار، وكلما انتشرت العدالة الاجتماعية زاد انتماء الناس لوطنهم وحبهم له وإخلاصهم وتفانيهم في سبيل رفعة وحمايته والتضحية في سبيله، في جميع الظروف والأوقات.^(٤)

إن ركائز العدل عندما تتعمق في النفوس، وترجم في السلوك اليوم للإنسان على مختلف المستويات، ستترك الأثر العميق والفعال لنهوض الأوطان، وتحقيق التنمية المستدامة في ظل مناخ يسوده الأمن

(١) التعريفات للجرجاني: ١/١٩١.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: ٤/٤٢٧، القوانين الفقهية: ٣٠٣، ومجلة الأحكام العدلية: ٣٤٤ مادة ١٧٠٥، كشف القناع: ٦/٤١٨.

(٣) معين الحكام: ص ٨٢.

(٤) موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية: ٤٨.

والاستقرار والطمأنينة وفي المقابل فإن تدني قيمة العدالة أو غيابه أو انحيازها، ستخلق مناخا اجتماعيا يجعل مشاركة المواطن واهتمامه بالمصلحة العامة وبشؤون وطنه ومجتمعه أمرا ثانويا لا يعنيه، وهذا يعني أن أجهزة الأمن ستفقد أهم مقوم من مقومات نجاحها وهو المواطن، لذلك فعلى الدولة الرشيدة القائم بتطبيق العدالة من خلال إتاحة الفرص بالتساوي، بين أبناء ومناطق الوطن على قدم المساواة ودون تحيز أو محاباة، بحيث يشمل ذلك جميع المجالات الاقتصادية والتعليمية والصحية والاجتماعية والثقافية، وكافة الخدمات التي توفر للجميع حياة معيشية كريمة، إضافة إلى التقيد بمبدأ تكافؤ الفرص للجميع، وصولا إلى ضمان المشاركة المجتمعية الذاتية، التي يكون الدافع لها هو المواطنة الصالحة، التي تهدف إلى تحقيق مصلحة الجميع تحت مظلة المصلحة العليا للوطن، وذلك من جميع فئات ومذاهب المجتمع دون استثناء.^(١)

وإن العدل من أهم الحقوق الإسلامية التي تحقق سعادة الفرد والمجتمع، وهو من القيم الأساسية وركيزة من الركائز المهمة التي يقوم عليها المجتمع، وغيابه يؤدي إلى انهيار الأسر والمجتمعات والأمم، فبوجوده يعيش الناس بسلام وأمان، وبفقدانه يعم المجتمع الخراب والظلم ويسيطر القوي على الضعيف، إذ الظلم مؤذن بخراب العمران، كما يقول ابن خلدون.^(٢)

(١) المجتمع المدني - قضايا المواطنة وحقوق الإنسان: ٩١.

(٢) ينظر: المقدمة: لابن خلدون: ٤٥/١.

ولما كانت قيمة العدل عظيمة عند الله اشتق اسما له منها وهو (الحكم العدل) ^(١)، فبإقامة العدل، تستقيم أمور الناس، وفي ظله تعيش الشعوب بسلام وأمان، وهو من أهم عناصر مقومات الحكم ودوامه ونصره، وقد أمر الله سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية بتحقيق العدل في الأرض، وأن تبني حياتها كلها على أصوله، وتحيا الشعوب والأمم والأفراد حياة حرة عادلة آمنة مطمئنة، وشواهد ذلك في القرآن الكريم كثيرة، وقد أوصلها بعض الباحثين إلى قرابة ثلاثمائة آية تتعلق بالعدل وما يرادفه من ألفاظ ومعاني ^(٢).

ولقد قمت بجرد آيات العدل في القرآن الكريم، فوجدتها أربعاً وعشرين آية، تذكر العدل، سواء كان بلفظه أو ما اشتق منه، أو ما كان بمعناه، وهذا يبين لنا مدى أهمية إقامة العدل عند الله تعالى، وقيمته العظيمة.

لقد كان النبي ﷺ خير مثال للإمام العادل بين أفراد رعيته، ومع أصحابه، وفي بيته مع أهله، وفي تطبيق حدود الله... وامتد عدله ﷺ إلى غير المسلمين، وبذلك رسخ قيم العدل قولاً وعملاً، وصور ذلك كثيرة في سيرته ﷺ فقد حرم الظلم الذي هو ضد العدل، فعن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا...)) ^(٣)

(١) المستدرك على الصحيحين، باب حديث معمر، برقم (٤١) ٦٢/١، وقال عنه: "هَذَا حَدِيثٌ قَدْ خَرَّجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحَةٍ دُونَ ذِكْرِ الْأَسْمَاءِ فِيهِ" وقال عنه الذهبي في التلخيص: لم يخرجوا الأسماء لتفرد الوليد بها وليس ذا بعلة فالوليد أوثق وأحفظ من أبي اليمان وعلي بن عياش".

(٢) ينظر: نظرية العدل في الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي: ٣٥.

(٣) صحيح مسلم، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧) ١٩٩٤/٤.

المطلب الثالث: قيم العدل والمساواة في المسيحية

إن الكتاب المقدس بعهديه - القديم والجديد - مليء بالنصوص التي تؤسس لمبدأ المساواة بين بني البشر، والعدل في كل شيء، من ذلك ما ورد في المساواة بين الأجناس، وبين العبيد والأحرار، وبين الرجل والمرأة، ما يلي:

١- "لا فرق بين يهودي ويوناني؛ لأن رباً واحداً للجميع ...".^(١)

٢- "لا فرق الآن بين يهودي وغير يهودي، بين عبدٍ وحر، بين رجلٍ وامرأة، كلكم واحد في المسيح يسوع...".^(٢)

٣- "ففي الرب لا تكون المرأة من دون الرجل، ولا الرجل من دون المرأة...".^(٣)

أما ما يخص المساواة بين الأغنياء والفقراء، فقد جاء في الكتاب المقدس:

١- "الغني والفقير يتلاقيان، فكلاهما صنعهما الرب ...".^(٤)

٢- "لا تقهر الفقير؛ لأنه فقير، ولا تسحق المسكين في القضاء...".^(٥)

٣- "اسمعوا يا إخوتي الأحباء: أما اختار الله فقراء هذا العالم ليكونوا أغنياء بالإيمان.... وأنتم تحتقرون الفقراء...، أحب قريبك مثلما تحب نفسك...".^(٦)

(١) رومية ١٠: ١٢.

(٢) غلاطية ٣: ٢٨.

(٣) كورنثوس ١١: ١١.

(٤) أمثال ٢٢: ٢.

(٥) أمثال ٢٢: ٢٢.

(٦) يعقوب ٢: ٥-٩.

وما يخص حرية الاختيار وتقرير المصير، جاء في الكتاب المقدس قوله:

١- "وانا أشهدُ عليكم اليومَ السماءَ والارضَ بأني جَعَلْتُ بين أيديكمُ الحياةَ والموتَ والبركةَ.. فأختاروا الحياةَ لتحيوا أنتم وذريتكم.."^(١)

٢- "ها أنا واقِفُ على البابِ أدقهُ، فإن سَمِعَ أَحَدُ صَوْتِي وفتحَ البابَ دخلتُ اليه وتعشيتُ معه وتعشى هو معي.." ^(٢)

٣- "يَعِدُونَكُمْ بالحرية وهم عبيد للمفاسد، لأن الإنسان عبد لما استولى عليه.." ^(٣)

٤- "أما الذي أَكَبَ على الشريعة الكاملة، شريعة الحرية، ولزَمَها، لا شأن من يسمع ثم ينسى، بل شأن من يَعْمَل، فذاك الذي سيكون سعيداً في عَمَله.." ^(٤)

وأما مبدأ العدالة ف هناك تسعة وأربعين آية في الكتاب المقدس تدعو الى العدل والعدالة، منها ما يلي:

١- "لتفرح الأمم وتُهللِ لَأَنَّكَ بِالْعَدْلِ تدينُ بالاستقامة تدين الشعوب وفي الأرضِ تهدي الأمم سلام ... " ^(٥)

٢- "إن رأيتَ ظلمَ الفقير وما يخالفُ العدلَ في بعض الأقاليم فلا تعجب من الأمرِ فإن فوقَ العاليِ أعلى منه يسهر وفوقهما من هو أعلى منهما.." ^(١)

(١) تث ٣٠: ١٩.

(٢) رؤ ٣: ٢٠.

(٣) بط ٢ ف ٢ آية ١٩.

(٤) يع ١ آية ٢٥.

(٥) مزامير ٦٧ آية ٥.

٣- إجراء العدل والحق أفضل عند الرب من الذبيحة.. " (٢).

٤- "افتح فَمَكَ وأحكم بالعدل وأنصف البائسَ والمسكين.. " (٣).

الخاتمة

بعد هذه الرحلة العطرة في قيم العدل والمساواة المندرجة تحت المواطنة، يمكن القول إن البحث توصل إلى النتائج التالية:

- يعتبر مفهوم المواطنة من المفاهيم الحضارية التي أفرزها الفكر الحديث من خلال النتاج الفكري للإنسان، ومن خلال تراكم المنجزات الحضارية والتي ساهمت في رفع الإنسان وجعلته قيمة عليا بعدما غاب وغُيِبَ لفترات طويلة وتحت مسميات مختلفة.

- تطور مفهوم المواطنة مع تطور المجتمعات البشرية، وبدأت الجماعات البشرية التي تقوم على تعاقد أفراد الجماعة الواحدة، لمواجهة التحديات التي قد تتعرض لها بالتكتل نظرا لشعور أفرادها بالحاجة إلى الآخرين، والعيش في جماعة ينتسب إليها.

- تتعدى المواطنة العلاقات والروابط الاجتماعية كالعشائرية والمذهبية والقومية والعرقية والإثنية والدينية وغيرها، غير أن الفرد من حيث هو عضو في طائفة فهو موجود إذن في محيط يحيط به من جميع الجهات

- المواطنة فالإسلام، عبّر عنها النبي ﷺ بحب الوطن والارتباط به، بقوله لما هم بالخروج من مكة: ((ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، لولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك)) وروي أنه عليه

(١) جافه آية ٧.

(٢) أمثال ف٢١ آية ٣.

(٣) أمثال ف٣١ آية ٩.

الصلاة والسلام نظر ذات مرة إلى جبل أحد فقال: ((أُحَدِّثُ جِبْلًا يَحْبُنَا وَنَحْبُهُ)) مما يدل على الارتباط الشعوري بالوطن وأهميته بالنسبة للإنسان.

- تنظر الشريعة الإسلامية للمواطنة على أنها تعبير عن العلاقة التي تربط الفرد المسلم بأفراد الأمة، كما تعبر عن العلاقة بين أرض الوطن ومن يعيشون عليها، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.
- قيم المواطنة المتفق عليها هي: المساواة، والحرية، والعدل، والمشاركة، والمسؤولية الاجتماعية، وإني في بحثي هذا حاولت تسليط الضوء على قيمة العدل وقيمة المساواة، من خلال تشريعات الدين الإسلامي وتعاليم المسيحية.

حوار الأديان والقوميات والطوائف في العراق ودوره
في تعزيز التقارب الثقافي

المقدمة

يعد العراق من أقدم الدول الحضارية في العالم، ويتميز بتنوعه الثقافي والديني والقومي. فعلى مر التاريخ، عاش على أرضه العديد من الشعوب والحضارات، الأمر الذي أدى إلى وجود تنوع ديني وقومي وطائفي كبير. وقد ساهم هذا التنوع في إثراء الثقافة العراقية، لكنه كان أيضًا سببًا للعديد من التوترات والصراعات.

يأتي حوار الأديان والقوميات والطوائف كوسيلة مهمة لتعزيز التقارب الثقافي والوئام الاجتماعي في العراق. فمن خلال الحوار، يمكن للأشخاص من مختلف المعتقدات والخلفيات أن يتبادلوا الأفكار والآراء، وأن يتعلموا المزيد عن بعضهم البعض، وأن يبنوا جسورًا من التفاهم والاحترام المتبادل.

أهمية البحث:

يُعد هذا البحث ذا أهمية كبيرة لفهم دور حوار الأديان والقوميات والطوائف في تعزيز التقارب الثقافي في العراق. فهو يهدف إلى:

تحديد أهمية حوار الأديان والقوميات والطوائف في العراق.
تحليل التحديات التي تواجه حوار الأديان والقوميات والطوائف في العراق.

عرض نماذج ناجحة لحوار الأديان والقوميات والطوائف في العراق.

تقديم توصيات لتعزيز حوار الأديان والقوميات والطوائف في العراق.

منهجية البحث:

سيتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في هذا البحث. وسيتم جمع البيانات من خلال المراجعة الأدبية؛ إذ ستتم مراجعة الكتب والمقالات والدراسات المتعلقة بحوار الأديان والقوميات والطوائف في العراق.

المطلب الأول: العراق دينيا وثقافيا

أولاً: تاريخ العراق الثقافي

يُعدّ العراق من أقدم بلدان العالم حضارةً وتاريخاً، حيث شهد نشأة العديد من الحضارات العريقة، مثل الحضارة السومرية والأكدية والبابلية والآشورية، وازدهرت فيه مختلف الديانات والثقافات على مر العصور.

تاريخ العراق الديني والثقافي يمثل رحلة مليئة بالتنوع والغنى، حيث يتلاقى فيها مختلف الثقافات والأديان والتقاليد عبر العصور. تشكل العراق الحاضنة التي أسست لحضارات عظيمة وأديان عالمية، مما جعلها واحدة من أهم الوجهات الثقافية والدينية في التاريخ. سنستكشف في هذه المقالة سلسلة الأحداث والتطورات التي شكلت هوية العراق الدينية والثقافية عبر العصور.

الحضارات القديمة:

تعتبر منطقة العراق موطنًا لإحدى أقدم الحضارات في التاريخ، حيث انبثقت حضارة سومر الشهيرة في الفترة ما بين ٤٥٠٠ إلى ١٩٠٠ قبل الميلاد، والتي تميزت بتطورها الثقافي والديني الكبير. كانت السومريين يؤمنون بعبادة العديد من الآلهة، وقد أسسوا أول نظام كتابة في العالم، مما جعلهم روادًا في الحضارة والثقافة.

الحضارة السومرية: نشأت في جنوب العراق حوالي عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد، وتُعدّ من أوائل الحضارات في العالم، حيث اخترعت

الكتابة المسمارية، وبنيت المدن الأولى، ووضعت أسس القانون والأنظمة الاجتماعية.

الحضارة الأكادية: سيطرت على بلاد ما بين النهرين في القرنين ٢٤ و ٢٣ قبل الميلاد، واشتهرت بنظامها الإداري المركزي، وقوانينها المتطورة، وإنجازاتها المعمارية والفنية.

الحضارة البابلية: برزت في القرن ١٨ قبل الميلاد، وخلفت إرثاً حضارياً عظيماً، بما في ذلك شريعة حمورابي، إحدى أقدم القوانين المكتوبة في التاريخ، وحدائق بابل المعلقة، إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة.

الحضارة الآشورية: سيطرت على بلاد ما بين النهرين في القرنين ٩ و ٧ قبل الميلاد، واشتهرت بقوتها العسكرية، ونظامها الإداري المحكم، وإبداعاتها الفنية والarchitecturale.

العصر الإسلامي: مع انتشار الإسلام في القرن السابع الميلادي، شهد العراق تحولاً كبيراً في الهوية الدينية والثقافية. أصبح بغداد عاصمة الخلافة العباسية ومركزاً حضارياً مهماً في العالم الإسلامي، حيث شهدت ازدهاراً في العلوم والفلسفة والأدب. تأثرت الثقافة العراقية بالعديد من التيارات الفكرية والدينية، مما جعلها مركزاً للتبادل الثقافي بين الشرق والغرب.

ثانياً: الدين في العراق:

(١) الإسلام

تأثر العراق بالإسلام بشكل كبير منذ بداية الدعوة النبوية، حيث كان العراق جزءاً من الدولة الإسلامية الأموية والعباسية. بغداد كانت مركزاً للعلم والثقافة الإسلامية في العصور الوسطى، حيث شهدت ازدهاراً في العلوم والفلسفة والأدب. يشكل الإسلام اليوم

الديانة الرئيسية في العراق، وينتسب معظم العراقيين إلى الطوائف الإسلامية الرئيسية، وهي الشيعة والسنة.

(٢) المسيحية

يعود تاريخ المسيحية في العراق إلى القرون الأولى الميلادية، حيث كانت المنطقة موطنًا لمجتمعات مسيحية مزدهرة. بعض المدن العراقية مثل الموصل والموصل كانت مراكز مسيحية هامة. على مر العصور، تأثرت المسيحية في العراق بالعديد من التغييرات السياسية والثقافية، وشهدت فترات من الاضطهاد والتمييز. تعتبر اليوم الأقلية المسيحية جزءًا من التركيب الديني في العراق.

(٣) الإيزيدية

تعتبر الإيزيدية ديانة مستقلة تمتزج فيها العناصر الدينية من مختلف الأديان مثل الزرادشتية والمسيحية والإسلام. يشكل الإيزيديون أقلية دينية في العراق، ويتوزعون بشكل رئيسي في مناطق شمال العراق مثل سنجار.

(٤) اليهودية

كانت اليهودية تاريخيًا جزءًا من التركيب الديني والثقافي في العراق، حيث كان هناك مجتمع يهودي كبير في بغداد ومدن أخرى. ومع ذلك، فإن معظم اليهود هاجروا من العراق خلال القرنين العشرين والوجود اليهودي في العراق اليوم قليل.

(٥) البهائية والزرادشتية والديانات الأخرى:

توجد أقليات دينية أخرى في العراق مثل البهائية والزرادشتية وبعض الديانات الأخرى، التي تشكل جزءًا صغيرًا من التركيب الديني في البلاد.

الثقافة العراقية:

الأدب: قدّم العراق للعالم العديد من كبار الأدباء والشعراء،
مثل ألف ليلة وليلة، والملحمة الملحمية "جملكا".
الفن: ازدهرت الفنون في العراق، بما في ذلك الفنون التشكيلية
والموسيقى والرقص.
الحرف اليدوية: اشتهر العراق بصناعاته اليدوية التقليدية،
مثل صناعة النسيج والسجاد والنحاس.
المطبخ: يُعدّ المطبخ العراقي من أغنى المطابخ العربية، حيث
يتميز بتنوعه ونكهاته المميزة.

ثالثاً: التركيب الديمغرافي للعراق والقوميات والطوائف

يتسم العراق بتنوعه الديمغرافي، حيث يتكون سكانه من خليط
من القوميات والطوائف الدينية المختلفة. فالعرب: يُشكل العرب
الغالبية العظمى من سكان العراق، ويُشكل الأكراد المجموعة القومية
الثانية في العراق، والقوميات الأخرى: يتواجد في العراق العديد من
القوميات الأخرى، مثل التركمان والسريان والصابئة المندائية
واليزيديين، وتُشكل هذه القوميات مجتمعةً ما نسبته ٥% من مجموع
السكان.

أما الطوائف الدينية: فالإسلام: يُعدّ الإسلام الدين الأكثر
انتشاراً في العراق، حيث يُشكل المسلمون حوالي ٩٧% من مجموع
السكان. والمسيحية: تُشكل المسيحية ثاني أكبر ديانة في العراق، حيث
يتواجد فيها العديد من الطوائف المسيحية، مثل الكاثوليك
والأرثوذكس والبروتستانت. والديانات الأخرى: تتواجد في العراق بعض
الديانات الأخرى، مثل الديانة اليهودية والصابئة المندائية واليزيدية،
لكنّ أعدادها قليلة نسبياً.

ويتوزع العرب في جميع أنحاء العراق، لكنهم يتركزون بشكل خاص في وسط وجنوب البلاد. بينما يتركز الأكراد بشكل رئيسي في إقليم كردستان العراق، الذي يتمتع بحكم ذاتي. وتتوزع القوميات الأخرى في مختلف أنحاء العراق، لكنها تتركز بشكل خاص في بعض المناطق، مثل محافظة نينوى وكركوك (للتركمان) ومحافظة البصرة (للسريان).

ويتميز العراق بتنوع ثقافي غني يعكس تاريخه العريق والتأثيرات المتعددة على مر العصور. تتجلى هذه التنوعات في اللغات المحكية والتقاليد والعادات والفنون والأدب. وعلى الرغم من التنوع الديمغرافي والثقافي الغني للعراق، إلا أنه يواجه التحديات المتعددة منها الصراعات السياسية والاقتصادية والأمنية، والتي تؤثر على توازن العيش المشترك بين الطوائف والقوميات. تحتاج هذه التحديات إلى جهود مشتركة من جميع أطراف المجتمع العراقي لتعزيز التعايش والتضامن والاستقرار في البلاد.

ويتميز التركيب الديمغرافي للعراق بالتنوع والغنى، ويعكس ذلك التاريخ العريق والتأثيرات المتعددة على مر العصور. يتطلب الحفاظ على هذا التنوع جهوداً مستمرة لتعزيز التعايش والتضامن بين مختلف أطراف المجتمع العراقي وتحقيق السلام والاستقرار في البلاد.

أولاً: الحوار لغة:

أصله من الحور، وهو الرجوع عن الشيء إلى الشيء، قال ابن فارس^(١): "الحاء والواو والراء ثلاثة أصول، أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث إن يدور الشيء دورا.. فأما الأول فالحور: شدة بياض العين في شدة سوادها.. ويقال: حورت الثياب أي بيضتها.. ويقال لأصحاب عيسى عليه السلام حواريون لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها، هذا هو الأصل ثم قيل: لكل ناصر حوارى.. وأما الرجوع، فيقال: حار إلى: رجع، قال تعالى: **يَرْجِعْ بَنَاتُنِي تُرْجَى**^(٢)

والعرب تقول: الباطل في حور، أي رجوع ونقص، وكل نقص ورجوع حور.. وتقول: كلمته فما رجع إلي حورا أو حورا أو محورة وحويرا..
والأصل الثالث: المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة."

قال ابن منظور: "الحور: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء...
والمحاورة: المجاورة والمجادلة، والتحاور: التجاوب، والمحاورة: مراجعة
المنطق، والكلام في المخاطبة وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، ومنه
قولهم: لم يحر جواباً أي: لم يرد ولم يرجع الجواب فمرجع الحوار
للتخاطب والكلام المتبادل بين اثنين فأكثر، فالحوار هو تراجع الكلام.
(٣)"

مما سبق ذكره تبين ان كلمة الحوار تتردد بين المرادة في الكلام ومراجعتة والت تردد فيه.

(١) مقاييس اللغة: احمد بن فارس، مادة: حور: (١١٧-١١٥/٢).

(٢) سورة الانشقاق: الآية (١٤)

(۳) لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، ۲۱۷/۴-۲۱۹

ثانياً: الحوار في الاصطلاح:

لقد أخذ المعنى الاصطلاحي للحوار تعريفات متعددة عند أهل الاصطلاح اذكر منها ما يترتب عليه تلاقٍ أو اختلاف بين المتحاورين، فمنهم من عرفه بأنه: هو التراجع بين طرفين والتحاور فيما بينهما للوصول إلى الغاية المطلوبة.^(١)

وعرفه آخرون إنَّه سلوك حضاري مبني على منظومة من القيم الكونية كالقبول بالتعددية والاختلاف، واعتبار التعايش بين الأمم والشعوب، والتعاون في ما بينها لرفع تحديات الفقر.^(٢)

وبين الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد الحوار والجدل في مصطلح الناس بإنَّه: "مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي".^(٣)

وهناك من قال إنَّه: "محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب بطريقة تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر".^(٤)

(١) حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل: موسى إبراهيم الابراهيم، (٢٩).

(٢) ثقافة الحوار في الإسلام من التأسيس إلى التأصيل، محمد الكتاني، (٥).

(٣) أصول الحوار وآدابه في الإسلام: د. صالح بن عبد الله بن حميد، (٢).

(٤) الحوار الإسلامي المسيحي (المبادئ- التاريخ - الموضوعات - الأهداف): د. بسام داود

عجك، (٢٠).

وقال آخرون: إنَّه أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به ويراجع الطرف الآخر في منطقته وفكره قاصد بيان الحقائق وتقديرها من وجهة نظره.^(١)

وعرفته منظمة (كايسيد)^(٢): "إنَّه شكل من أشكال التفاعل شخصين أو أكثر من الهويات المختلفة التي تؤكد على التعبير على الذات والاستماع المتبادل دون إصدار حكم في جو وروح من الرأفة والانفتاح على التعلم المتبادل مع إمكانية تحول عميقة".

ومع تعدد تعاريف الحوار إلا أن جل هذه التعريفات تتفق على إن الحوار في الاصطلاح لا يخرج عن المعنى اللغوي له وهو مراجعة الكلام بشأن ما، أو رأي ما، بهدف الوصول إلى التفاهم والاتفاق.

ثالثاً: دور حوار الأديان في تشكيل الهوية الوطنية والثقافية

يعد مصطلح حوار الأديان من أهم المصطلحات في شكلها، القديمة في مضمونها قدم الأديان السماوية بل بقدّم الرسالات السماوية التي أرسلها الله عز وجل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى، ومما تقدم يمكننا إيجاد توضيح لمصطلح حوار الأديان: بأنه مركب إضافي سبق بيان المراد بشقيه لغةً واصطلاحاً^(٣)، إلا إن حاصل جمع معانيهما لا يظهر بيان المقصود من التركيب، لأن الحوار هو صفة إنسانية أو هو اسم مشتق من فعل

(١) حوار الذات والآخر: ضمن سلسلة كتاب الأمة ط ١، السنة الرابعة والعشرون العدد: ٩٩، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر (٤٠).

(٢) كايسيد: هو مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين الأديان والثقافات، فيينا عاصمة النمسا تأسست المنظمة عام ٢٠١٢ م. www.kaiciid.org

(٣) يُنظر المطالبان السابقان (٦-٣٦).

(الإنسان أو كل ذي روح)، بينما الأديان هي عبارة عن معتقدات وأفعال وأقوال؛ وكلها داخلية في مسمى الفعل عند النحويين، ولا يستقيم ولا يصح معنى التركيب إلا بتقدير محذوف ليصبح المركب كقولنا (حوار أتباع الأديان) أو (حوار أصحاب الأديان) لعدم إمكانية تجريد الأفعال عن فاعليها. وعند الكلام على مفهوم حوار الأديان أو كما يطلق عليه أحياناً (حوار أتباع الأديان) يعني حواراً بين المنتمين لمختلف الأديان السماوية: كالإسلام، والنصرانية (المسيحية)، واليهودية وغيرها من الأديان الوضعية والبشرية: كالבודהية، والهندوسية وهنالك بعض الرؤى لبيان هذا المفهوم سأذكر قسماً منها: منهم من ذكر: "حوار الأديان: بأنه محاولة الفرد المحمل بقيم تقاليد وأفكار وعقائد مسبقة استكشافها الآخر المختلف دينياً _ كما هو _ وأدركه وبلوره رؤية فلسفية غير نمطية إزائه دون اللجوء إلى إصدار أحكام قيمة متحيزة ضده" ^(١).

ومن هذا تبين أن الباحثين قد اظهروا أن حوار الأديان من خلال نظرتهم إلى جهة واحدة بأنه محاولة التعرف على الآخر واستكشافه من خلال عقائده وأفكاره دون الحكم عليه أو محاولة إرشاده أو التأثير عليه بما يراه.

وإذا ذهبنا إلى الحوارات التي ذكرها القرآن الكريم سنجد وجهاً آخر وصور تحمل معاني مختلفة لهذا الحوار، كما ذكر ابن عاشور ^(٢) حوار الأديان: بأنه (أسلوب قرآني يحكي محاورة كلامية بين طرفين أو

(١) حوارات الأديان ضرورة إنسانية أم مؤامرة عالمية، للباحث المصري حسام تمام، موقع إسلام أون لاين.

(٢) المفسر محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: صاحب تفسير: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» (المتوفى: ١٣٩٣هـ).

يخبر عنها هادف إلى بيان معان إسلامية محددة ومقصودة ^(١)، وإذا تتبعنا ودققنا بالحوارات القرآنية مع أصحاب الديانات الأخرى فيمكننا القول بأن حوار الأديان هو: (أسلوب دعوي يخاطب به أتباع الأديان غايته إيصال الحقيقة والكشف عنها مدعمة بالأدلة والبراهين الصحيحة)، واعتبر بسام عجك في حديثه عن الحوار الإسلامي المسيحي بأنه: "تلك اللقاءات الحوارية على مستوى الأفراد والجماعات، سواء كانت حكومات أم مؤسسات أم جمعيات، والتي تتم بين طرفين: الأول منهما يدين بالإسلام، والثاني يدين بدين المسيحية، من حيث التعريف بها، ودراستها" ^(٢) وذكر الدكتور يوسف الحسن في مناويلته للحوار الإسلامي حيث قال "الحوار الذي نعينه في هذا البحث هو أن يتبادل المتحاورون من أهل الديانتين الأفكار والحقائق والمعلومات والخبرات، التي تزيد من معرفة كل فريق بالآخر بطريقة موضوعية، تبين ما قد يكون بينهما من تلاق أو اختلاف، مع احتفاظ كل طرف بمعتقداته، في جو من الاحترام المتبادل والمعاملة بالتي هي أحسن بعيداً عن نوازع التشكيك ومقاصد التجريح، بل ما يرجى منه هو إشاعة المودة وروح المسالمة والتفاهم الوئام، والتعاون فيما يقع التوافق فيه من أعمال النفع العام للبشرية" ^(٣) ومنهم قال بأنه "اللقاءات المنظمة التي تعقدها مراكز الحوار العالمية والمنظمات الدولية المهتمة بالحوار بين أتباع الأديان لممثلي الأديان من أتباع الديانات

(١) التحرير والتنوير: لابن عاشور، ١/١٢٠.

(٢) الحوار الإسلامي المسيحي: بسام داود عجك، (٢٩)، ينظر حوار الأديان: د. عبد الحليم آيت أمجوض، (٧٤).

(٣) الحوار الإسلامي المسيحي، الفرص والتحديات: يوسف الحسن، (١٣) منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط: ١٩٩٧، ١م، حوار الأديان: د. عبد الحليم آيت أمجوض، (٧٦-٧٨).

السماوية ومعتنقي المذاهب والفلسفات الأخرى وفق إستراتيجية محددة وواضحة الرؤية والرسالة والأهداف والأساليب"^(١) وعرفه (كايسيد) بأنه: "حوار جماعة متعددة الهويات الدينية تسعى وتصل إلى التفاهم والاحترام المتبادل الذي يسمح لهم بالعيش والتعاون مع بعضهم البعض على الرغم من خلافاتهم"^(٢).

جملة القول: حوار الأديان: هو عملية تواصلية إقناعية تعاونية أو تفاوضية بين طرفين فأكثر مختلفين في الدين حول الأديان ومذاهبها وما يتعلق بها من عقائد وشرائع وأخلاق وأثرها في المجتمع روحيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا وأمنياً.

رابعاً: أهمية تعزيز التقارب الثقافي في المجتمعات المتعددة

الثقافات

لقد أصبح اليوم الحوار بين أتباع الأديان من الضرورات الحتمية. . لأنه تعبير أصيل عن إبراز قيم الحضارة الإسلامية، وسمات الشخصية الإسلامية المتزنة، وهذا يتطلب توفير النوايا الحسنة والاحترام المتبادل، والالتزام بالأهداف التي تعزز القيم والمبادئ الإنسانية المشتركة بين جميع الأديان والحضارات، ولا يعني احترام الرأي الآخر القبول به في المطلق، فقد اتفق أو اختلف معك. . . ولكن في النهاية الاحترام هو السائد. ونظراً لما يمثله الدين في أتباعه من قدسية عظيمة، كما يعد الدين المكون والمقوم الأساسي للحضارة الإنسانية وذاتيتها، باعتباره الوحيد الذي يوفر لها ويمدها بالقيم والمثل، التي

(١) اثر الحوار بين أتباع الأديان والثقافات في تحقيق استقرار المجتمعات الإنسانية: وجهة نظر طالبات كلية التربية بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، مجلة مؤتة للدراسات - العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج (٣١) العدد (١)، (٣٣٣).

(٢) كايسيد: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات.

تحقق بها وجودها وشرعيتها وقوتها وديمومتها في التاريخ، والتي بانعدامها يختل ذلك كله إن لم ينعدم . ومع هذه الأهمية للدين في حياة المجتمع البشري، إلا انه يجد نفسه في بؤرة الاتهام بأنه سبب في حدوث الصراع والإبادة بين الجماعات البشرية، وانه المسؤول الأول عن وقوع تلك الماسي الإنسانية ^(١) ولهذا نجد الناس توجهوا بأنظارهم إلى الأديان معلقين آمالهم في الوصول إلى حل تلك الماسي التي حلت بالإنسانية، جراء المشكلات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي وقع بها أتباع الديانات، وأصبح للأديان موقفا لتلك المشكلات إنسانها وقضاياها المعاصرة . وهذا كله لا يتحقق إلا من خلال التعاون بينها من خلال الحوار الفعال بين أتباع الأديان، وقد عبر عن هذا عالم اللاهوت الكاثوليك الألماني المعروف هانز كونغ بقوله: " لن يكون هنالك سلام بين الأمم ما لم يكن هنالك سلام بين الأديان، ولن يكون سلام بين الأديان ما لم يكن هنالك حوار بين الأديان " ^(٢) . وأكد آخر بقوله " يعتبر بين المسلمين وأهل الكتاب والحضارات المختلفة في ضل الظروف الراهنة ضرورة ملحة إذا أردنا أن نجنب العالم أخطاراً لا يحمد عقباها " ^(٣) ، وما هذه إلا إشارات إلى إن الحوار بين أتباع الأديان في عصرنا هذا ضرورة إنسانية في صد الأخطار التي تهدد البشرية كلها. والحوار هو اختيار العقل، وسبيل يسلكه الحكماء، ومسؤولية يتحملها بصورة خاصة

(١) ينظر حوار الأديان بين جسور التفاهم وحفظ الهوية: طه أنيس مالك، مجلة التجديد،

الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا، المجلد (١٤)، العدد (٢٧)، (١٣٧) سنة (٢٠١٠).

(٢) kung,Hans et al (١٩٨٦). Christianity and World Religions: path to Dialogue With Islam Hinduism, and Buddhism, translated into English by

Heinegg ,new York: Orbit ,Books,p.١٣

(٣) حوار الحضارات: منشأة المعارف، منصور الحلو، (٣).

أصحاب القرار والنخب من العلماء في العالم اجمع... من اجل المشاركة في بناء السلام في الحاضر والمستقبل، ولا يكون ذلك من خلال الدين الإسلامي، فالإسلام دين سلام، يعترف بجميع الديانات السماوية، ويعترف بالأنبياء والرسل كافة، والحضارة الإسلامية تقوم على الاعتدال والتعايش السلمي، والإيمان بالقيم الصحيحة المشتركة بين أتباع الديانات. و المسلمون دعاة للحوار... لان مبادئ ديننا الحنيف تدعو إلى ذلك، فقد استخلف الله الإنسان في هذه الأرض لعمارتها ومنحه قدرات ذاتية تعينه في أداء مهمته.

وأرسل إليه رسلا تدله على ما يحتاج إليه مما قصرت قدراته عن إدراكه والمتأمل في هذه القدرات التي امتن الله بها إليه، يجدها كلها أدوات للحوار، فالسمع والبصر والفؤاد كلها وسائل للحوار، فهي أدوات بيان وإقناع بها تبلغ الرسل ما أرسلت به، وهي وسائل فهم وإقناع بها يفهم المرسل إليهم الخطاب، ثم إننا نجد اهتمام القرآن الكريم بالحوار اهتماما كبيرا، بلغت الانتباه إلى أهميته، فهو الأسلوب الأمثل لإقناع المستهدفين بالخطاب الشرعي ولذا وردت لفظة: (قال) التي تنصدر مادة الحوارات في القرآن الكريم (٥٢٧) مرة^(١).

جملة القول:

على ضوء ما سبق يمكن إدراك أهمية الحوار بين أتباع الأديان في الوقت الحاضر، وأصبح أكثر إلحاحا من أي وقت مضى، ويتوجب استثمار الحوارات الايجابية في الدعوة إلى الله ومعالجة المشكلات التي تعاني منها البشرية، وعليه يتلخص أهمية الحوار في الأمور الآتية:

(١) ينظر الحوار: آدابه ومنطلقاته: شمس الدين خوجة، (٢٠)، والمسلم المعاصر: من مقال الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري، (١١٨).

- ١- من خلال الحوار بين أتباع الديانات يتم تحقيق الأهداف الدينية والتوصل إلى النتائج المرجوة منه.
- ٢- تعزيز التعايش المجتمعي السلمي بين معتنقي الأديان، من خلال دعم ثقافة الحوار بين أتباع الأديان، والمساهمة في نشر ثقافة التسامح الديني لمواجهة والقضاء على كافة مظاهر التطرف والتعصب والعنف الديني.
- ٣- احترام المعتقدات الدينية، وهذا لا يعني قبولها بالمطلق، والمشاركة في بناء منظومة أخلاقية تساهم في إيجاد حلول متنوعة وفعالة لمشكلات المجتمعات الإنسانية، والقضاء على المفسد الاجتماعية والحد من انتشار الرذيلة والأمراض الناتجة عنها
- ٤- المساهمة في الوصول إلى حلول فعالة ومتنوعة لمشكلات الناس، وتعزيز احترام الاختلاف في الرأي، والإعلاء من الكرامة الإنسانية، وبناء مستقبل أفضل لهم.

المطلب الثالث: نموذج من الجهود المبذولة لتعزيز التقارب الثقافي والديني

المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول^(١):

عقد هذا المؤتمر في ضاحية (بحمدون)، قرب بيروت بلبنان، بإشراف جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية في ٢٢-٢٧ / ١٩٥٤م، وكان من أبرز الشخصيات الإسلامية المدعوة لهذا المؤتمر من (٢٥) شخصية من كافة أنحاء العالم الإسلامي من علماء وأساتذة جامعات هم: جواد علي ومحمد مهدي الخالصي من العراق، ومحمد خلف الله من مصر، عمر فروخ من لبنان، غلام صوفي من باكستان، محمد بهجة البيطار ومصطفى السباعي ومصطفى الزرقا من سورية وسعيد رمضان من فلسطين، وكانت رئاسة المؤتمر من الجانب الإسلامي من العراق (جواد علي)، وكان (كارلند ايفانز هوبكنز) عن الجانب النصراني، وكانت من الموضوعات التي بحثت في المؤتمر، وهي عبارة عن محاضرات، يقوم احد المشاركين من الجانب النصراني والجانب الإسلامي بعرضها، ثم يتم حوار مفتوح حول تلك المحاضرات التي تناولت الموضوعات الآتية:

١ - قيمة القيم الروحية، وتقدير القيم الروحية في الإسلام وفي المسيحية.

٢ - القيم الروحية للمجتمع، والقيم الروحية للعائلة في الإسلام وفي المسيحية.

٣ - العمل الاجتماعي في الإسلام وفي المسيحية.

(١) ينظر: مضابط جلسات المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول بحمدون، الحوار الإسلامي المسيحي، بسام عجك، (٢٤٢)

٤ - جواب الإسلام على الشيوعية - وقد ألقى محاضرتان لتبين وجهة نظر الإسلام -، وكذلك جواب المسيحية على الشيوعية.

٥ - وسائل إيجابية لنشر دعوة التعاون. إلى غير ذلك من المواضيع.

وقد صدر في نهاية المؤتمر ميثاق موقع من قبل الأعضاء المشاركين، تم بموجبه تشكيل لجنة باسم: لجنة مواصلة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي.

ووجهت الكثير من الاعتراضات على هذا المؤتمر، وشكك الكثيرون في الجهة المنظمة له، ودعت إليه، وفي الأهداف التي انعقد هذا المؤتمر لأجلها.

ويلق الشيخ مصطفى السباعي أحد أعضاء المؤتمر وهو من سوريا^(١)، إن الوفد السوري تردد في أول الأمر في قبول دعوة هذا المؤتمر، ولكن في النهاية وافق على الحضور لإحباط ما قد يكون وراء هذا المؤتمر من مناورات سياسية، حيث كان القصد من الدعوة لهذا المؤتمر هو إنشاء كتلة عالمية باسم الإسلام والمسيحية ضد الاتحاد السوفيتي، ولم يكن للعرب مصلحة في الانقياد وراء المناورات الغربية لإنشاء تلك الكتلة، لأن الاتحاد السوفيتي آنذاك ينتصر لبعض قضايا العرب في المحافل الدولية.

وقد رفض بعض العلماء دعوة الحضور لهذا المؤتمر منه من العراق الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء من النجف وهاجم المؤتمر، ومن الذين هاجموا المؤتمر أيضاً مفتي فلسطين آنذاك، الشيخ: الحاج أمين الحسيني، وسعى إلى كشف أهدافه الخفية، والذي

(١) ينظر: اشتراكية الإسلام: مصطفى السباعي، (٢٣٧) وما تليها

بين أن كل دعوة إلى التقارب الديني بين الإسلام والمسيحية، تقوم من جانب الغرب، هي دعوة مجندة لمصالحها السياسية ولهذا فهي دعوة مرفوضة.

وأشار إلى أن الداعي إلى المؤتمر (كارلند هوبكنز) هو قسيس برتستاني معادي للإسلام، إلى غير ذلك من السلبيات التي بينها والتي تخص فلسطين، واغتصاب الصهاينة للأراضي العربية بدعم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا.

المطلب الرابع: التحديات التي تواجه حوار الأديان والقوميات والطوائف في العراق

في العصور الحديثة، عانى العراق من حروب وصراعات داخلية أثرت على الحياة الدينية والثقافية في البلاد. شهدت العراق تأثيرات الاستعمار والصراعات السياسية، مما أثر سلباً على التنوع الثقافي والديني في البلاد. ومع ذلك، لا يزال للعراق إرث ثقافي وديني غني، يستمر في تشكيل الهوية الوطنية للشعب العراقي.

التحديات:

الحروب والصراعات: عانى العراق من العديد من الحروب والصراعات خلال العقود الماضية، مما أدى إلى تراجع دوره الحضاري والثقافي.

التطرف الديني: تعرض العراق لظاهرة التطرف الديني، مما أثر سلباً على التنوع الديني والثقافي في البلاد.

الهجرة: غادر العديد من العراقيين بلادهم بسبب الحروب والاضطرابات، مما أدى إلى فقدان الكفاءات والخبرات.

من خلال تتبع آراء الرافضين والمعارضين لحوار الأديان الحديث (المعاصر) ومسايرهم وجدت أنهم قسمان:

الأول: معارض للحوار انطلاقاً من قناعة راسخة بعدم جدواه لعدة أسباب سأذكر بعضها فيما سيأتي.

والثاني: قبله ومارسه لفترة زمنية ثم تبين له من خلال تجربته السلبية أن هذه الحوارات ليس من ورائها أمل ولا رجاء^(١).

القسم الأول:

اعترض بعض أهل العلم والفكر من المسلمين ابتداءً على الحوار الديني لجملة من الأسباب سأذكرها بصورة موجزة ومنها:

١ - التنصير الذي أصبح يتم تحت راية الحوار الذي لم يعد مفهومه مثلما جرى به العرف^(٢).

٢ - زعزعة العقائد والتعرض للشبهات: ارتباط الحوار بالتشكيك في أصول الإسلام بالقول^(٣).

٣ - الاختراق الديني والفكري والثقافي: من خلال الحوار الذي يوفر البيئة المناسبة لفكرة الغرس الثقافي كوسيلة تقبل، وتفسير، وامتصاص، وتوافقات،....^(٤) فالحوار في مفهوم الكنيسة إنما هو ذريعة لكسب الوقت بغية التسلسل إلى الأديان الأخرى بلا مقاومة تذكر.

٤ - سلبية مخرجات الحوار الديني: يمثل ذلك بعض الندوات ومؤتمرات الحوار الإسلامي، حيث تندرج تحت قائمة المؤتمرات

(١) ينظر: فقه المواجهة بين الغرب والإسلام: محمد عمارة، (١٤٩).

(٢) ينظر: الفاتيكان والإسلام: زينب عبد العزيز، (٨).

(٣) ينظر: التبشير والاستعمار في لبلاد العربية: مصطفى الخالدي وعمر فروخ، (١٥٧).

الحوار بين الأديان أسرار وخفايا: عبد الودود شلبي، (٣) وما بعدها.

(٤) ينظر: تنصير العالم: زينب عبد العزيز: (١٠٧).

المشبوّهة، لأنها على الأقل لا تحترم ولا تنفذ توصياتها من الجانب المسيحي من الناحية العلمية^(١).

٥ - التناقض بين شعارات الحوار وبين مواقف وأعمال الداعين إليه والجهات المنظمة له.^(٢)

٦ - تحولت بعض المؤتمرات والندوات إلى منبر للدعوة إلى تجديد الإسلام، وإعادة تعريف القرآن، وإلغاء السنة، وإعادة النظر في الكثير من الأحكام الشرعية التي لم تعد تسير الواقع المعاصر من جهة نظرهم من مثل حقوق الإنسان كأحكام الردة والرجم،....^(٣)

٧ - غالبا ما تكون هذه الحوارات أداة في إستراتيجية إدارة الصراع في أيدي القوى المهيمنة على العالم.^(٤)

٨ - حوار الأديان بعد من أبعاد المؤامرة الغربية على الأمة الإسلامية فهي على الجملة مؤامرات لا مؤتمرات، يقول أحمد علي المجدوب: " وما هي إلا مجرد تغيير في الأسلحة مع الإبقاء على نوايا الإقصاء والترصص والتشويه والتخطيط للاختراق"^(٥). وذلك بغية نقل المعركة إلى داخل الأمة الإسلامية بإحداث مزيد من التمزق والفرقة بين

(١) ينظر: ظاهرة المؤتمرات الإسلامية: عبد الحليم أويس، مجلة المسلم المعاصر، مجلة دورية محكمة، (١٣٦ - ١٣٧) العدد: ١٥، الاثنين ١١ سبتمبر، ١٩٧٨ م.

(٢) ينظر: المثل العليا في الإسلام لا في يحمدون: محمد الحسين آل كاشف الغطاء، (١٧).

(٣) ينظر اللقاءات الإسلامية المسيحية، شهاب ومحاذير: أحمد علي المجدوب، مجلة الأمة، (٥٨)، العدد (٧٠)، ٦ شوال، ١٤٠٦ هـ.

(٤) ينظر: الحوار الإسلامي المسيحي: رضوان السيد، مجلة الاجتهاد، (١٥ - ١٦)، العدد (٣١، ٣٢).

(٥) ينظر اللقاءات الإسلامية المسيحية، شهاب ومحاذير: أحمد علي المجدوب، مجلة الأمة، (٥٨)، العدد (٧٠)، ٦ شوال، ١٤٠٦ هـ.

أبنائها^(١). ذلك أن ما يقتضيه الحوار من مجاملات وتنازلات عن مبادئ إسلامية مقررة لابد أن يلقي معارضة من بعض الجهات الإسلامية، ثم تتولى النتائج عللا وآفات بين المسلمين والانقسامات والصراعات^(٢).

٩ - بالإضافة إلى إشكالية الأجندة التي توجه الحوار الديني، وإشكالية الفعالية التي تجعله يراوح في مكانه، هنالك إشكالية الكفاءة التي ترهن الحوار الديني والمتمركزة حول من يمثل من؟ وكيف يكون التمثيل؟ ومن له الحق في الاختيار والترجيح؟^(٣).

القسم الثاني:

ويمثل في من قبل مبدأ الحوار الديني وممارسه لفترة زمنية ثم تبين له من خلال تجربته السلبية أن هذه الحوارات ليس من ورائها أمل ولا رجاء، في هذا الاتجاه نجد المفكر الإسلامي محمد عمارة: وهو أحد الذين دعوا وشاركوا في مؤتمرات الحوار الديني وندواته ويلخص لنا تجربته الحوارية بالقول: " تجربتي مع الحوارات الدينية وخاصة مع ممثلي النصرانية الغربية، تجربة سلبية،...، قد فقدت ولا تزال تفقد أهم شرط من شروط أي حوار من الحوارات، وهو شرط الاعتراف المتبادل والقبول المشترك بين أطراف الحوار..."^(٤). ويرى محمد عمارة أن من أهداف الكنيسة الغربية من الحوار الديني هو علمنة الإسلام وطي

(١) ينظر: بعض معوقات الحوار الإسلامي المسيحي، وشروط تجاوزها: عبد المجيد الصغير، (١٤٢).

(٢) الحوار بين الأديان: عبد الودود شلبي، (١٩)، وهذا البند أسئلة المؤلف من وثيقة حصل عليها من إحدى السفارات المهمة بالفاتيكان ومؤسساتها.

(٣) ينظر: ندوة حوار الأديان، مراجعة وتقويم: سيف الدين عبد الفتاح، نادية مصطفى، (٢١٦).

(٤) ينظر: فقه المواجهة: محمد عمارة، (١٤٧).

صفحته من الوجود، حيث يقول: " فرفض الإسلام والمسلمين للعلمنة - ومن ثم التبعية للنموذج الغربي - هو السبب الجوهرى لإعلان الغرب أن العدو الجديد - الذي حل محل الشيوعية - هو الإسلام، وهو السبب الذي جعل الحوارات الدينية - مع الكنائس الغربية - حوارات طرشان!،....." (١).

الخاتمة

في الوقت الحالي، يواجه العراق تحديات عديدة على الصعيدين الثقافي والديني، ولكن مع ذلك، يظل للتاريخ العراقي العريق دور هام في تشكيل الهوية الوطنية والثقافية. يبقى العراق مصدر إلهام للعالم بتنوعه الثقافي وتاريخه العريق، ويتطلع العراقيون إلى مستقبل مشرق يجمع بين الحفاظ على التراث الثقافي والديني وتحقيق التطور والازدهار.

إن تاريخ العراق الديني والثقافي يمثل رحلة مميزة عبر العصور، حيث اندمجت فيها مختلف الثقافات والأديان لتشكل الهوية الوطنية العراقية الفريدة. على الرغم من التحديات التي مر بها العراق عبر التاريخ، يظل للتاريخ العراقي العديد من الدروس والقصص التي تستمر في إلهام الأجيال القادمة وتشكل جزءاً أساسياً من تراث البشرية.

(١) المصدر نفسه: (١٥٦)، وبعض نتائج الحوارات التي شارك فيها محمد عمارة ودفعته الى الاعتقاد بعدم جدوى الحوار الديني مع الكنيسة الغربية خصوصاً، (١٥٢).